









# تفسير القرطبي

الجامع لأحكام القرآن  
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

تتميز بذكر من غلب القرآن  
أحمد بن محمد

١٣

دار الشريعة  
الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ

إذا كان « القرطبي » سيجلد في مجلد واحد فننزع هذه الورقة

ثبت قدمه في الإيمان فقط فكيف مجربة النبوة والخلة، والأنبياء معصومون من الكناز ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعاً . وإذا تأملت سؤاله عليه السلام وسائر ألفاظ الآية لم تعط شكاً، وذلك أن الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حالة شيء موجود منقّر الوجود عند السائل والمستنول، نحو قولك : كيف علم زيد؟ وكيف تسج الثوب؟ ونحو هذا . ومتى قلت : كيف توبك؟ وكيف زيد؟ فإنما السؤال عن حال من أحواله . وقد تكون « كيف » خبراً عن شيء شأنه أن يستفهم عنه بكيف ، نحو قولك : كيف شئت فكن ، ونحو قول البخاري : كيف كان بدء الوحي . و« كيف » في هذه الآية إنما هي استفهام عن هيئة الإحياء، والإحياء منقّر ، ولكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبرون عن إنكاره بالاستفهام عن حالة لذلك الشيء ، يعلم أنها لا تصح ، فيلزم من ذلك أن الشيء في نفسه لا يصح ؛ مثال ذلك أن يقول مدع : أنا أرفع هذا الجبل ؛ فيقول المكذب له : أرني كيف ترفعه ! فهذه طريقة مجاز في العبارة ، ومعناها تسليم جدلي ، كأنه يقول : افرض أنك ترفعه ، فأرني كيف ترفعه ! فلما كانت عبارة الخليل عليه السلام بهذا الاشتراك المجازي ، خلص الله له ذلك وحمله على أن يبين له الحقيقة فقال له : « أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالِ بَلَى » فكل الأمر وتخلص من كل شك ، ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمأنينة .

قلت : هذا ما ذكره ابن عطية وهو بالغ ، ولا يجوز على الأنبياء صلوات الله عليهم مثل هذا الشك فإنه كفر، والأنبياء متفقون على الإيمان بالبعث . وقد أخبر الله تعالى أن أنبياءه وأوليائه ليس للشيطان عليهم سبيل فقال : « إِنَّ عِبَادِي لَيَسْأَلُنَّكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا <sup>(١)</sup> » وقال اللعين : إلا عبادك منهم المخلصين ؛ وإذا لم يكن لهم عليهم سلطنة فكيف يشككهم ، وإنما سأل أن يشاهد كيفية جمع أجزاء الموتى بعد تفريقها وإيصال الأعصاب والجلود بعد تمزيقها ؛ فأراد أن يترقى من علم اليقين إلى علم اليقين ؛ فقوله : « أرني كيف » طلب مشاهدة الكيفية . وقال بعض أهل المعاني : إنما أراد إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي القلوب ؛ وهذا فاسد

مردود بما عقبه من البيان ، ذكره الماوردي . وليست الألف في قوله « أَوَلَمْ تُؤْمِن »

ألف استفهام وإنما هي ألف إيجاب وتقرير كما قال جرير :

• أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا •

والواو واو الحال . و « تُؤْمِن » معناه إيمانا مطلقا ، دخل فيه فضل إحياء الموتى .

(قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي) أى سألتك ليطمئن قلبي بمحصل الفرق بين المعلوم برهانا

والمعلوم ميانا . والطمانينة : اعتدال وسكون ، فطمأنينة الأعضاء معروفة ، كما قال عليه

السلام : « ثم أركع حتى تطمئن رأكما » الحديث . وطمأنينة القلب هي أن يسكن فكره

في الشيء المعتقد . والفكر في صورة الإحياء غير محظور ، كما لنا نحن اليوم أن نفكر فيها إذ هي فكر <sup>(١)</sup>

فيها غير فأراد الخليل أن يعين فيذهب فكره في صورة الإحياء . وقال الطبري : معنى « ليطمئن

قلبي » ليوقن ، وحكى نحو ذلك عن سعيد بن جبير ، وحكى عنه ليزداد يقينا ، وقاله إبراهيم

وقنادة . وقال بعضهم : لأزداد إيمانا مع إيماني . قال ابن عطية : ولا زيادة في هذا المعنى

تمكن إلا السكون عن الفكر والآفاقين لا يتبعض . وقال السدي وابن جبير أيضا : أو لم

تؤمن بأنك خليل ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي بالخلقة . وقيل : دعا أن يريه كيف يحيي

الموتى ليعلم هل تستجاب دعوته ، فقال الله له : أو لم تؤمن أني أحيي دعائك ، قال : بلى

ولكن ليطمئن قلبي أنك تحيي دعائي <sup>(٢)</sup> .

واختلف في المحرك له على ذلك ، ف قيل : إن الله وعده أن يتخذة خليلا فأراد آية على

ذلك ، قاله السائب بن يزيد <sup>(٣)</sup> . وقيل : قول النروذ : أنا أحيي وأميت . وقال الحسن : رأى

جيفة نصفها في البر توزعها السباع ونصفها في البحر توزعها دواب البحر ، فلما رأى تفزعها

أحب أن يرى انضمامها فسأل ليطمئن قلبه برؤية كيفية الجمع كما رأى كيفية التفريق ، ف قيل له :

(خُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ) قيل : هي الديك والطاوس والحمام والغراب ، ذكر ذلك ابن إسحاق

عن بعض أهل العلم ، وقاله مجاهد وابن جريج وعطاء بن يسار وابن زيد . وقال ابن عباس

مكان الغراب الكركي ، وعنه أيضا مكان الحمام النسر . فأخذ هذه الطير حسب ما أمر وذكأها

(١) في جوده وب . (٢) في ب وجه : فذهب فكرة . بصفة الجمع . (٣) في ب : تستحيب .

(٤) كذا في ه وب وجه وهو الصواب كافي التهذيب والاستيعاب ، وفي ج و د : زيد . (٥) في ه : اختار .



ثم قطعها قطعاً صغاراً ، وخلط لحوم البعض إلى لحوم البعض مع الدم والريش حتى يكون  
 أعجب ، ثم جعل من ذلك المجموع المختلط جزءاً على كل جبل ، ووقف هو من حيث يرى  
 تلك الأجزاء وأمسك رموس الطير في يده ، ثم قال : تعالين بإذن الله ، فطاربت تلك الأجزاء  
 وطار الدم إلى الدم والريش إلى الريش حتى التأمت مثل ما كانت أولاً وبقيت بلا رموس ، ثم كرر  
 النداء بغائه سعيًا ، أى مدّواً على أرجلهم . ولا يقال للطائر : «سعى» إذا طار إلا على التمثيل ؛  
 قاله النحاس . وكان إبراهيم إذا أشار إلى واحد منها بغير رأسه تباعد الطائر ، وإذا أشار إليه  
 برأسه قُرب حتى لقي كل طائر رأسه ، وطاربت بإذن الله . وقال الزجاج : المعنى ثم أجعل  
 على كل جبل من كل واحد جزءاً . وقرأ أبو بكر عن عاصم وأبو جعفر «جُزْأً» على فُعْل .  
 وعن أبي جعفر أيضاً «جُزْأً» مشددة الزاى . الباقون مهموز مخفّف ، وهى لغات ، ومعناه  
 النصيب . (بِأَيْتِكَ سَعِيًا) نصب على الحال . و (صُرْهُنَّ) معناه قطعهن ؛ قاله ابن عباس  
 ومجاهد وأبو عبيدة وابن الأنبارى ؛ يقال : صار الشيء يصُورُه أى قطعه ؛ وقاله ابن إسحاق .  
 وعن أبي الأسود الدؤلى : هو بالسريانية التقطيع ؛ قال توبة بن الحمير يصفه :  
 فلما جذبت الحبل أطلت نسوعه • بأطراف عيدان شديد سيورها  
 فادنت لى الأسباب حتى بلغتها • بنهضى وقد كاد ارتفأى بصورها

أى يقطعها . والصُّور : القطع . وقال الضحاك وعكرمة وابن عباس فى بعض ما روى عنه :  
 إنها لفظة بالنبطية معناه قَطْعُهم . وقيل : المعنى أَمْلَهُنَّ إِلَيْكَ ، أى اضممن وأجمعن إليك ؛  
 يقال : رجل أَصُورٌ إذا كان مائل السنق . وتقول : إنى إليكم لأَصُور ، يعنى مشتاقاً مائلاً .  
 وأمرأة صُوراء ، والجمع صور مثل أسود وسُود ؛ قال الشاعر :  
 الله يعلم أَنَا فى تَلَفْتِنَا • يومَ الفراق إلى جيراننا صُورُ

فقوله «إِلَيْكَ» على تأويل التقطيع متعلق بـ«حُدِّدْ» ولا حاجة إلى مضمّر ، وعلى تأويل الإمالة  
 والضم متعلق بـ«صُرْهُنَّ» وفى الكلام متروك : فَأَمْلَهُنَّ إِلَيْكَ ثم قطعهن . وفيها خمس قراءات :  
 ثنتان فى السبع وهما ضم الصاد وكسرهما وتخفيف الراء . وقرأ قوم «فَصُرْهُنَّ» بضم الصاد

وشد الزاء المفتوحة ، كأنه يقول فشدهن ، ومنه صُرَّة الدنانير . وقرأ قوم « فصرهن » بكسر  
الصاد وشد الزاء المفتوحة ، ومعناه صرحهن ، من قولك : صر الباب والقلم إذا صوت ،  
حكاه النقاش . قال ابن جني : هي قراءة غريبة ، وذلك أن يفعل بكسر العين في المضاعف  
المتعدى قليل ، وإنما بابه بفعل بضم العين ، كشد يشد ونحوه ، لكن قد جاء منه ثم الحديث  
يتمه ويتمه ، وهو الحرب يهرها ويهرها ، ومنه بيت الأعشى :  
لَيَمْتَوِرَنَّكَ الْقَوْلُ حَتَّى تَهْرَهُ <sup>(١)</sup> .

إلى غير ذلك في حروف قليلة . قال ابن جني : وأما قراءة عكرمة بضم الصاد فيجتمل في الزاء  
الضم والفتح والكسر [ كذ وشد <sup>(٢)</sup> ] والوجه ضم الزاء من أجل ضمة الهاء من بعد .

القراءة الخامسة « صرهن » بفتح الصاد وشد الزاء مكسورة ، حكاه المهدوي وغيره  
من عكرمة ، بمعنى فاحسبن ، من قولهم : صرى يصرى إذا عيس ، ومنه الشاة المصرة . وهنا  
اعتراض ذكره الماوردي [ وهو <sup>(٣)</sup> ] يقال : فكيف أجيب إبراهيم إلى آيات الآخرة دون موسى  
في قوله « رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ » <sup>(٤)</sup> ؟ فنه جوابان : أحدهما أن ما سأل به موسى لا يصح مع بقاء  
التكليف ، وما سأل به إبراهيم خاص يصح معه بقاء التكليف . الثاني أن الأحوال تختلف فيكون  
الأصلح في بعض الأوقات الإجابة ، وفي وقت آخر المنع فيما لم يتقدم فيه إذن . وقال ابن عباس :  
أمر الله تعالى إبراهيم بهذا قبل أن يولد له وقبل أن ينزل عليه الصحف ، والله أعلم .

قوله تعالى : مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ  
أُتْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ  
وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ <sup>(٥)</sup>  
فيه خمس مسائل :

الأولى — لما فص الله سبحانه ما فيه من البراهين ، حث على الجهاد ، وأعلم أن من  
جاهد بعد هذا البرهان الذي لا يأتي به إلا نجي فله في جهاده الثواب العظيم . روى البستي

(١) الذي في الديوان : ليستدركك القول حتى تهز . وتعلم أن منك ليست بمجرم

(٢) الزيادة من « وب وبن عليه » (٣) من « وب وبن »

(٤) ف : ب : قه .

(٥) راجع ٧ ص ٢٧٨

في صحيح مسنده عن ابن عمر قال : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « رب زد أمتي » فزلت « مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرُضُ اللَّهُ قَرَضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً »  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رب زد أمتي » فزلت « إِنَّمَا يَوَىُّ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ  
 حِسَابٍ » . وهذه الآية لفظها بيان مثال لشرف النفقة في سبيل الله ولحسنها ، وضمنها التحريض  
 على ذلك . وفي الكلام حذف مضاف تقديره مثل نفقة الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله  
 كمثل حبة . وطريق آخر : مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل زارع زرع في الأرض حبة  
 فأنبتت الحبة سبع سنابل ، يعني أخرجت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، فشبه المتصدق  
 بالزارع وشبه الصدقة بالبذر فيعطيه الله بكل صدقة له سبعمائة حسنة ، ثم قال تعالى :  
 ﴿ وَآلَهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ يعني على سبعمائة ؛ فيكون مثل المتصدق مثل الزارع ، إن كان  
 حاذقا في عمله ؛ ويكون البذر جيدا وتكون الأرض عامرة يكون الزرع أكثر ؛ فكذلك  
 المتصدق إذا كان صالحا والمال طيبا ويضمه موضعه فيصير الثواب أكثر ؛ خلافا لمن  
 قال : ليس في الآية تضعيف على سبعمائة ، على ما نبهته إن شاء الله .

الثانية - روى أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن حوف  
 رضي الله عنهما ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حث الناس على الصدقة  
 حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك جاءه عبد الرحمن بأربعة آلاف فقال : يا رسول الله ،  
 كانت لي ثمانية آلاف فأمسكت لنفسى ولعالي أربعة آلاف ، وأربعة آلاف أفرضتها لرى .  
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت » . وقال  
 عثمان : يا رسول الله على جهاز من لا جهاز له ؛ فزلت هذه الآية فيهما . وقيل : نزلت في نفقة  
 التطوع . وقيل : نزلت قبل آية الزكاة ثم أسخت آية الزكاة ، ولا حاجة إلى دعوى النسخ ؛  
 لأن الإتيان في سبيل الله مندوب إليه في كل وقت . وسبيل الله كثيرة وأعظمها الجهاد  
 تكون كلمة الله هي العليا .

الثالثة - قوله تعالى : ( كَتَبَ حَبَّةً ) الحبة اسم جنس لكل ما يزود به ابن آدم ويقناته ، وأشهر ذلك البرُّ فكثيرا ما يراد بالحبِّ ؛ ومنه قول المتنبيّ :

أَلَيْتُ حَبَّ الْعِرَاقِ لَتَهَرَّ أَطْعَمَهُ • وَالْحَبُّ يَأْكُلُهُ فِي الْقَرْيَةِ السُّوسُ

وحبة القلب : مويذاؤه ، ويقال ثمرته وهو ذاك . والحبة ( بكسر الحاء ) : بذور البقول مما ليس بقوت ؛ وفي حديث الشفاعة : " فينبئون كما تنبت الحبة في حبل السيل " والجمع حبيب . والحبة ( بضم الحاء ) الحبُّ ؛ يقال : نَمَّ حُبَّةً وكرامة . والحبُّ المحبة ، وكذلك الحبيب ( بالكسر ) . والحب أيضا الحبيب ؛ مثل خِذْنِ وَخِدَيْنِ . وسنبلة فتعلة من أسبل الزرع إذا صار فيه السنبلة ، أى استرسل بالسنبيل كما يسترسل الستر بالإسبال ، وقيل : معناه صار فيه حَبٌّ مستور كما يستر الشيء بإسبال الستر عليه . والجمع سنابل . ثم قيل : المراد سنبل الدُّخْنِ فهو الذى يكون في السنبلة منه هذا العدد .

قلت : هذا ليس بشيء ، فإن سنبل الدُّخْنِ يحى في السنبلة منه أكثر من هذا العدد بضعفين وأكثر ، على ما شاهدناه . قال ابن عطية : وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مائة حبة ، فأما في سائر الحبوب فأكثر ولكن المثال وقع بهذا القدر . وقال الطبري في هذه الآية : إن قوله ( فِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ) معناه إن وجد ذلك ، وإلا فعلى أن يفرضه ، ثم نقل عن الضحاك أنه قال : « فِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ » معناه كل سنبلة أنبتت مائة حبة . قال ابن عطية : بفعل الطبري قول الضحاك نحو ما قال ، وذلك غير لازم من قول الضحاك . وقال أبو عمرو الداني : وقرأ بعضهم « مائة » بالنصب على تقدير أنبتت مائة حبة .

قلت : وقال يعقوب الحضرمي : وقرأ بعضهم « في كل سنبلة مائة حبة » على : أنبتت مائة حبة ، وكذلك قرأ بعضهم « وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ » على « وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ » (١٣) وأعدنا للذين كفروا عذاب جهنم . وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي « أنبتت سبع سنابل » بإدغام التاء في السين ؛ لأنهما مهموستان ، ألا ترى أنهما يتعاقبان . وأشد أبو عمرو :

بِالْمَنَ اللَّهُ تَبَى السُّعْلَاءُ<sup>(١)</sup> • عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ لَتَامَ النَّاسَ

أَرَادَ النَّاسَ خَوَلُ السَّيْنِ نَاءَ • الْبَاقُونَ بِالْإِظْهَارِ عَلَى الْأَصْلِ لِأَنَّهُمَا كَلِمَتَانِ •

الرابعة — ورد القرآن بأن الحسنة في جميع أعمال البر بعشر أمثالها، وانقضت هذه الآية أن تفقة الجهاد حسنتها بسبعائة ضعف • واختلف العلماء في معنى قوله (وَأَنَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ) فقالت طائفة : هي مبنية مؤكدة لما تقدم من ذكر السبعائة، وليس ثم تضعيف فوق السبعائة • وقالت طائفة من العلماء : بل هو إعلام بأن الله تعالى يضاعف لمن يشاء أكثر من سبعائة ضعف •

قلت : وهذا القول أصح لحديث ابن عمر المذكور أول الآية • وروى ابن ماجه حدثنا هارون بن عبد الله الجمال حدثنا ابن أبي قُديك عن أنخليل بن عبد الله عن الحسن<sup>(٢)</sup> [عن] علي ابن أبي طالب وأبي الدرداء وعبد الله بن عمرو وأبي أمامة الباهلي وعبد الله بن عمرو وجابر ابن عبد الله وعمران بن حصين كلهم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه فله بكل درهم سبعائة ألف درهم — ثم تلا [هذه الآية] <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> والله يضاعف لمن يشاء الله " • وقد روى عن ابن عباس أن التضعيف [يتمى] لمن شاء الله إلى ألف • قال ابن عطية : وليس هذا بثابت الإسناد عنه •

الخامسة — في هذه الآية دليل على أن أخذ الزرع من أعلى الحرف التي يتخذها الناس بالمكاسب التي يشتغل بها المال؛ ولذلك ضرب الله به المثل فقال : « مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ » الآية • وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم : " ما من مسلم يفرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له صدقة " • وروى هشام بن عروة

(١) السُّعْلَاءُ : أحببت الفيلان • إذا كانت المرأة تتبع الرجل حتى الخلق شئت بالسُّعْلَاءِ •

(٢) الذي في كتب الفقه (مادة نوت) : « عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ » • (٣) عن جوب، وابن ماجه، وروى

في السنن : وأبي هريرة • (٤) في ابن ماجه : « في وجه ذلك » • (٥) عن جوب وروى

عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اتمسوا الرزق في خبايا الأرض"  
يعنى الزرع ، أنوجه الترمذى . وقال صلى الله عليه وسلم في النخل : "هى الراسخات فى الوحل  
المطعمات فى المحل" . وهذا خرج مخرج المدح . والزراعة من فروض الكفاية فيجب على  
الإمام أن يجهز الناس عليها وما كان فى معناها من غرس الأشجار . ولحق عبد الله بن عبد الملك  
ابن شهاب الزهرى فقال : دلتى على مال أعالجه ، فأنشأ ابن شهاب يقول :

أقول لعبد الله يوم لقيناه • وقد شد أحلاس المطى مشرقا

تتبع خبايا الأرض وأدع ملكها • لعلك يوما أن تجاب فترقا

فيؤتيك مالا واسعا ذا متابة • إذا مامياه الأرض غارت تدققا

وحكى عن المتضد أنه قال : رأيت على بن أبى طالب رضى الله عنه فى المنام يأولنى مسعاة  
وقال : خذها فإنها مفاتيح خزان الأرض .

قوله تعالى : **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ**  
**مَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ**  
**يَحْزَنُونَ** (٢١٦)

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : **(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)** قيل : إنها نزلت فى عثمان  
ابن عفان رضى الله عنه . قال عبد الرحمن بن سبيرة : جاء عثمان بألف دينار فى جيش العسرة  
فصبتها فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدخل يده فيها ويقلمها ويقول : "ما ضرت  
أبى عفان ما عمل بعد اليوم اللهم لا تنس هذا اليوم لعثمان" . وقال أبو سعيد الخدري :  
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم رافعا يديه يدعو لعثمان يقول : "يا رب عثمان إني رضىت  
من عثمان فأرض عنه" . فزال يدعو حتى طلع الفجر فنزلت : **«الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ**  
**فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَنًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ**  
**يَحْزَنُونَ** الآية .

الثانية - لما تقدم في الآية التي قبل ذكر الإنفاق في جهل الله على المومنين في هذه الآية أن ذلك الحكم والثواب إنما هو لمن لا يتبع إفاقته متلاً ولا أفعى<sup>(١)</sup> لأن الله تعالى لا يطلع ثواب الصلوة كما أخبر تعالى في الآية بعد هذا، وإنما على المومنين أن يريد وجه الله تعالى وثوابه بإفاقته على المتفق عليه، ولا يرجو منه شيئاً ولا ينظر من أحواله في حاله سوى أن يراعى استحقاقه، قال الله تعالى: «لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا» . وفي آفاق ليريد من المتفق عليه جزاء بوجه من الوجوه فهذا لم ير وجه الله، لهذا إذا اختلف ظنه فيه من بإفاقته وأدى . وكذلك من آفاق مضطراً دفع غريم إتماماً لمتفق عليه أو لقربة أخرى من اعتناء معنى فهذا لم ير وجه الله . وإنما يقبل ما كان عطاؤه له وأكثر قصده ابتغاء ما عند الله، كالذي حكى من عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن أميراً اباه قال :

يا عمر الخبير جِزَيْتِ الْجَنَّةَ • أَكُنْ بِبَنَاتِي وَأَهْنِئَتِهِنَّ

وَكُنْ لَنَا مِنَ الزَّمَانِ جَنَّةَ • أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَتَفْعَلَنِي

قال عمر : إن لم أفضل يكون ماذا ؟ قال :

• إِنْ أَمَا حَفِصَ لِأَهْنِئَتِهِ •

قال : إذا ذهبت يكون ماذا ؟ قال :

تكون من حالي تَسْأَلُنِي • يَوْمَ تَكُونُ الْأَعْطِيَاتُ هَتَّةَ

وَمَوْقِفُ الْمَسْئُولِ يَنْهِنِي • إِنَّمَا إِلْنِ نَارٍ وَإِنَّمَا جَنَّةُ

(١) عبارة ابن حبان في تفسيره : «... وذلك أن المتفق في جهل الله إنما يكون على أحد ثلاثة أوجه : إما أن يريد وجه الله تعالى ويرجو ثوابه فهذا لا يرجو من المتفق عليه شيئاً . ولا ينظر من أحواله في حاله سوى أن يراعى استحقاقه . وإما أن يريد من المتفق عليه جزاء بوجه من الوجوه فهذا لم ير وجه الله ، بل تنظر إلى هذه الحال من المتفق عليه . وهذا هو القصد من إفاقته وأدى .

وإما أن يتفق مضطراً دفع غريم إتماماً لمتفق عليه أو لقربة أخرى من اعتناء معنى فهذا لم ير وجه الله ، لهذا قد تنظر في حال ليست لوجه الله ، وهذا هو الذي من نوع ويرجى بوجه من وجوه الجرح أدى . فالن والأذى يكلفان من ظهره أنه إنما كان على ما ذكرناه من القاصدة ، وأنه لم يخلص لوجه الله تعالى . فهذا كان المزمع والأذى مطلقاً للصدقة من حيث بين كل واحد منهما أنها لم تكن صدقة » . (٢) راجع ج ١٩ ص ١٢٨

فَكَرِهِي لِحَضَّتِ حَيْثُ، ثُمَّ قَالَ : يَا غَلامُ، أَعْطِهِ قِصِي هَذَا لَذَلِكَ الْيَوْمِ لَا لِسَعْرِهِ !  
وَأَنَّهُ لَا مَلِكَ شَيْءٍ . قَالَ الْمَسْأُودِيُّ : وَإِذَا كَانَ الْعَطَاءُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ خَالِبًا مِنْ طَلَبِ جِزَاءٍ  
وَشُكْرٍ وَغَيْرِهِمَا مِنْ كَمَتَانِ وَتَشِيرِ كَانَ ذَلِكَ أَشْرَفَ لِلْبَازِلِ وَأَهْنَأَ لِلْقَابِلِ . فَاِمَّا الْمَعْطَى إِذَا اتَّسَعَ  
بِعَطَائِهِ الْجِزَاءُ، وَطَلَبَ بِهِ الشُّكْرَ وَالنَّاءَ، كَانَ صَاحِبَهُ مُنْعَمًا وَرِيَاءً، وَفِي هَذَيْنِ مِنَ الذَّمِّ مَا يَنَافِي  
السَّخَاءَ . وَإِنَّ طَلَبَ الْجِزَاءِ كَانَ تَابِعًا مُرَبِّحًا لَا يَسْتَحِقُّ حَمْدًا وَلَا مَدْحًا . وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ  
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : «وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ» أَيْ لَا تُعْطِ عَطِيَّةً تَتَمَسَّ بِهَا أَفْضَلَ مِنْهَا . وَذَهَبَ  
أَبْنُ زَيْدٍ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ إِنَّمَا هِيَ فِي الَّذِينَ لَا يُخْرِجُونَ فِي الْجِهَادِ بَلْ يَنْفِقُونَ وَهُمْ فَعُودٌ ،  
وَأَنَّ الْآيَةَ الَّتِي قَبْلَهَا هِيَ فِي الَّذِينَ يُخْرِجُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، قَالَ : وَلِذَلِكَ شَرَطَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَلَمْ يَشْرُطْ  
فِي الْأَوَّلِينَ . قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ : وَفِي هَذَا الْقَوْلِ نَظَرٌ، لِأَنَّ التَّحَكُّمَ فِيهِ بَادٍ .

الثَّالِثَةُ - قَوْلُهُ تَعَالَى : (مَتَّأ وَلَا أَدَى) الْمَنَّ : ذِكْرُ النِّعْمَةِ عَلَى مَعْنَى التَّعْدِيدِ لَهَا وَالتَّفْرِيعِ  
بِهَا، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ : قَدْ أَحْسَنْتَ إِلَيْكَ وَتَشَبَّهَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْمَنَّ : التَّحَدُّثُ بِمَا أُعْطِيَ  
حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ الْمَعْطَى فَيُؤْذِيهِ . وَالْمَنَّ مِنَ الْكِبَارَةِ، ثَبَتَ ذَلِكَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ، وَأَنَّهُ أَحَدُ  
الْثَلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَرْكِبُهُمْ وَلَهُمْ مَذَابٌ أَلِيمٌ، وَرَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ ابْنِ عَسْرٍ قَالَ،  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَاقُ لَوَالِدِيهِ وَالْمَرْأَةُ  
الْمُتَرَجِّلَةُ تَشَبَّهُ بِالرِّجَالِ وَالِدُبُّوثُ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ الْعَاقُ لَوَالِدِيهِ وَالْمَدْمِنُ الْخَمْرَ وَالْمَنَانُ  
يَمَا أُعْطِيَ» . وَفِي بَعْضِ طُرُقِ مُسْلِمٍ : «الْمَنَانُ هُوَ الَّذِي لَا يُعْطَى شَيْئًا إِلَّا مَنَةً» . وَالْأَدَى : السَّبُّ  
وَالْتَشْكِي، وَهُوَ أَهَمُّ مِنَ الْمَنَّ ؛ لِأَنَّ الْمَنَّ جِزَاءٌ مِنَ الْأَدَى لَكِنَّهُ نَصٌّ عَلَيْهِ لِكَثْرَةِ وَقُوعِهِ . وَقَالَ  
ابْنُ زَيْدٍ : لَئِنْ ظَنَنْتَ أَنَّ سَلَامَكَ يَنْقُلُ عَلَى مَنْ أَنْفَقْتَ عَلَيْهِ تَرِيدَ وَجْهَ اللَّهِ فَلَا تَسْلَمْ عَلَيْهِ . وَقَالَتْ  
لَهَا امْرَأَةٌ : يَا أَبَا أُسَامَةَ دَلَّنِي عَلَى رَجُلٍ يُخْرِجُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَقًّا فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يُخْرِجُونَ بِأَكْلُونِ  
لَا فَوَاقِهِ فَإِنَّ عِنْدِي أَصْهَامًا وَجَعَةً . فَقَالَ : لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي أَصْهَمِكَ وَجَعَيْتَ فَقَدْ آذَيْتَهُمْ قَبْلَ أَنْ  
تُعْطِيَهُمْ . قَالَ طَلِمْذَا وَرَحِمَهُ اللَّهُ طَلِيمٌ : فَمَنْ أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَمْ يُبْعِهِ مَتًّا وَلَا أَدَى كَقَوْلِهِ :  
مَا أَشَدَّ الْخَالِكَ ! وَخَلَصْنَا اللَّهُ مِنْكَ ! وَأَمثالُ هَذَا فَقَدْ تَضَمَّنَ اللَّهُ لَهُ بِالْأَجْرِ وَالْإِجْرَ الْجَنَّةَ .



وحي عنه الخوف بعد موته لما يستقبل، والحزن على ما سلف من دنياه؛ لأنه ينتبط بأثره  
 فقال: ﴿لَمْ أَجْزَمْ جَنَدِيهِمْ وَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. وكثير من الفضلاء ومنها  
 للنفقة في سبيل الله تعالى. وفيها دلالة لمن فضل الشيء على التقصير حسب ما يأتي به  
 إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا إِذَى وَاللَّهُ  
 عَنِّي حَلِيمٌ ﴿٢١٦﴾  
 فيه ثلاث مسائل:

الأولى — قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ ابتداء والخبر محذوف، أي قول معروف أولى  
 وأمثل؛ ذكره النحاس والمهدوي. قال النحاس: ويجوز أن يكون «قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ» خبر  
 استدعاء محذوف، أي الذي أمرتم به قَوْلٌ معروف. والقول المعروف هو الدعوة والتأييد  
 والترجية بما عند الله، خير من صدقة هي في ظاهرها صدقة وفي باطنها لا شيء؛ لأن ذكر  
 القول المعروف فيه أجر وهذه لا أجر فيها. قال صلى الله عليه وسلم: «الكلمة الطيبة صدقة»  
 وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طَلِقٍ «أخرجه مسلم. فينأى السائل بالبشر والترحيب،  
 ويقابله بالطلاقة والتقريب؛ ليكون شكورا إن أعطى ومعدورا إن منع. وقد قال بعض  
 الحكماء: ألقى صاحب الحاجة بالبشر فإن صدمت شكره لم تصدم عذره. وحكى ابن لنكك  
 أن أبا بكر بن دُرَيْدٍ قصد بعض الوزراء في حاجة لم يقضها وظهر له منه خيبر فقال:

لا تدخلنك حَقِيرَةٌ من سائل • فلخير دهرك أن ترى مَسْئولا  
 لا تجبهنَّ بالردِّ وجهه مُؤْثِل • فبقضاء عِرْكَ أن ترى مَأْمولا  
 تلقى الكريم فتستدلَّ ببشره • وترى العُيُوسَ على اللئيم ذليلا  
 وأعلم بأنك من قليل صائر • خيرا فكن خيرا يروق جبلا

وروى من حديث عمر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسأله حتى يصرخ منها ثم ردوا عليه بوقار ولين أو يبذل يسير أو رد جميل فقد يأتكم من ليس بإنس ولا جان ينظرون صنيعكم فيها خولكم الله تعالى " .

قلت : دليله حديث أبرص وأقرع وأعمى ، خرج به مسلم وغيره . وذلك أن ملكا تصور في صورة أبرص مرة وأقرع أخرى وأعمى أخرى استحاثا للسؤل . وقال بشر بن الحارث : رأيت عليا في المنام فقلت : يا أمير المؤمنين ! قل لي شيئا ينفعني الله به ؛ قال : ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء رغبة في ثواب الله تعالى ، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بموعد الله . فقلت : يا أمير المؤمنين زدني ؛ فولى وهو يقول :

فدكنت ميتا فصرثت حيا • وعن قليل تصير ميتا

فأخرب بدار الفناء بيتا • وأبى بدار البقاء بيتا

الثانية - قوله تعالى : ﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ المغفرة هنا : الستر لخلعة وسوء حالة المحتاج ؛ ومن هذا قول الأعرابي - وقد سأل قوما بكلام فصيح فقال له قائل : يمين الرجل ؟ فقال له : اللهم جفرا ! سوء الاكتساب يمنع من الاقتساب . وقيل : المعنى تجاوز عن السائل إذا ألح وأغلظ وجنى خير من التصديق عليه مع المن والأذى ؛ قال معناه النقاش . وقال النحاس : هذا مشكل بينه الإعراب . « مغفرة » رفع بالابتداء والخبر ( خيرين صدقة ) . والمعنى والله أعلم وفعل يؤدي إلى المغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، وتقديره في العربية فضل مغفرة . ويموز أن يكون مثل قولك : تفضل الله عليك أكبر من الصدقة التي تمن بها ، أي غفران الله خير من صدقتك هذه التي تمنون بها .

الثالثة - قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ أخبر تعالى عن غناه المطلق أنه غني عن صدقة العباد ؛ وإنما أمر بها ليثيبهم ، وعن حلمه بأنه لا يعاجل بالعقوبة من من وأذى بصدقته .

قوله تعالى : يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطِلُوا صَلٰتِكُمْ وَالْمِنَ وَالْأَذَى  
كَالَّذِي يُنْفِقُ مَلَكُهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَنَزَّلَهُ  
كَغَلِيٍّ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ قَاسٍ وَأَيْلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ  
شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٢٩﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى - قوله تعالى : (يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) قد تقدم معناه . وقبر تعالى من عدم القبول  
وحرمان الثواب بالإبطال ، والمراد الصدقة التي يُؤْتِي بها وَيُؤْذَى ، لا غيرها . والعقيدة أن  
السيئات لا تُبطل الحسنات ولا تُعْطِهَا ، فالمن والأذى في صدقة لا يُبطل صدقة غيرها .  
قال جمهور العلماء في هذه الآية : إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يؤذى  
بها فإنها لا تُقبل . وقيل : بل قد جعل الله لذلك ظهيرا أماره فهو لا يكتبها ، وهذا حسن .  
والعرب تقول لما يُؤْتَى به : يَدٌ سوداء . ولما يُعطى عن غير مسألة : يَدٌ بيضاء . ولما يُعطى  
عن مسألة : يَدٌ خضراء . وقال بعض البلغاء : مَنْ مَنَّ بِمَعْرُوفِهِ سَقَطَ شُكْرُهُ ، وَمَنْ أَعْجَبَ  
بِعَمَلِهِ حَبَطَ أَجْرُهُ . وقال بعض الشعراء :

ومصاحب سلفت منه إلى يَدٍ • أبطل عليه مكاناتي فناداني

لما تيقن أن الدهر حاربي • ألبسني الندامة فيما كان أولاني

وقال آخر :

أفسدت بالمن ما أسديت من حسن • ليس الكريم إذا أسدى بئاني

وقال أبو بكر الوراق فأحسن :

أحسن من كل حسن • في كل وقت وزمن

صبيحة مرسوبة • خالية من المن

وسمع ابن سيرين رجلاً يقول لرجل : فعلت إليك وفعلت ! فقال له : اسكت فلا خير في المعزول إذا أُخِص . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إياكم والأستنان بالمعروف فإنه يطل الشكر ويحق الأجر » - ثم تلا - لَا تَبْتَاطِرُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى .  
 الثانية - قال علماؤنا رحمة الله عليهم : كره مالك لهذه الآية أن يعطى الرجل صدقته الواجبة أثار به ثلاث يقتاض منهم الحمد والثناء ، ويظهر منه عليهم ويكافؤوه عليها فلا تخلص لوجه الله تعالى . واستحب أن يعطيا الأجانب ، واستحب أيضاً أن يولى غيره ففريقها إذا لم يكن الإمام عدلاً ، ثلاث تحبط المنة والأذى والشكر والثناء والمكافأة بالخدمة من المعطى . وهذا بخلاف صدقة التطوع السرى لأن ثوابها إذا حبط سلم من الوعيد وصار في حكم من لم يفعل ، والواجب إذا حبط ثوابه توجه الوعيد عليه لكونه في حكم من لم يفعل .

الثالثة - قوله تعالى : ( كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ ) الكاف في موضع نصب ، أي إبطال « كالذي » فهي نعت لاصدر المحذوف . ويجوز أن تكون موضع الحال . مثل الله تعالى الذي يمن ويؤذى بصدقته بالذي ينفق ماله رياء الناس لا لوجه الله تعالى ، وبالكافر الذي ينفق ليقال جواد وليتقى عليه بأنواع الثناء . ثم مثل هذا المنفق أيضاً بصقوان عليه تراب فيظنه الطائن أرضاً مبنية طيبة ، فإذا أصابه وأبل من المطر أذهب عنه التراب وبقي صلباً ، فكذلك هذا المرائي . فالمنق والأذى والرياء تكشف عن النية في الآخرة فتبطل الصدقة كما يكشف الوابل عن الصقوان ، وهو الحجر الكبير الأملس . وقيل : المراد بالآية إبطال الفضل دون الثواب ، فالقاصد بنفقته الرياء غير مثاب كالكافر ؛ لأنه لم يقصد به وجه الله تعالى فيستحق الثواب . وخالف صاحب المنة والأذى القاصد وجه الله المستحق ثوابه وإن كرر عطاءه وبأبطل فضله . وقد قيل : إنما يبطل من ثواب صدقته من وقت منته وإيدائه ، وما قبل ذلك يكتب له ويضاعف ؛ فإذا من وأدى انقطع التضعيف ؛ لأن الصدقة تُرَبَّى لصاحبها حتى تكون أعظم من الجبل ، فإذا خرجت من يد صاحبها خالصة على الوجه المشروع ضوعفت ، فإذا جاء المن بها والأذى وقف بها هناك وانقطع زيادة التضعيف عنها ؛ والقول الأول أظهر والله أعلم .

وَالصَّفَوَانُ جَمْعٌ وَاحِدُهُ صَفْوَانَةٌ قَالَهُ الْأَخْفَشُ . قَالَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : صَفْوَانٌ وَاحِدٌ ؛ مِثْلُ  
 حَجَرٍ . وَقَالَ الْكَسَائِيُّ : صَفْوَانٌ وَاحِدٌ وَجَمْعُهُ صَفْوَانٌ وَصُفِيٌّ وَصُفِيٌّ ؛ وَأَنكَرَ الْمُبَرِّدُ وَقَالَ :  
 إِنَّمَا صُفِيٌّ جَمْعٌ صَفَا كُفِفَا وَفُتِيَ ، وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى الصَّفَوَاءُ وَالصَّفَا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ . وَفِي  
 سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ وَالزَّهْرِيِّ « صَفْوَانٌ » بِتَحْرِيكِ الْفَاءِ ، وَهِيَ لَفَةٌ . وَحِكْيٌ قُطِرْبُ صَفْوَانٍ .  
 قَالَ النَّحَّاسُ : صَفْوَانٌ وَصَفْوَانٌ يَمْجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعًا وَيَمْجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا ، إِلَّا أَنَّ الْأَوَّلَى  
 بِهِ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ( عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ) وَإِنْ كَانَ يَمْجُوزُ تَذْكِيرُ الْجَمْعِ  
 إِلَّا أَنَّ الشَّيْءَ لَا يَخْرُجُ عَنْ بَابِهِ إِلَّا بِذَلِيلٍ قَاطِعٍ ؛ فَأَمَّا مَا حَكَاهُ الْكَسَائِيُّ فِي الْجَمْعِ فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ  
 عَلَى حَقِيقَةِ النَّظَرِ ، وَلَكِنْ صِفْوَانٌ جَمْعٌ صَفَاً ، وَصَفَاً بِمَعْنَى صَفْوَانٍ ، وَنَظِيرُهُ رَدْلٌ وَرَدْلَانٌ وَأَخْ  
 وَإِخْوَانٌ وَكَرَاً وَكَرَوَانٌ ؛ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

لَنَا يَوْمٌ وَلِلْكَرَوَانِ يَوْمٌ • تَطْيِيرُ الْبَاسَاتِ وَلَا تَطْيِيرُ

وَالضَّعِيفُ فِي الْعَرَبِيَّةِ كَرَوَانٌ جَمْعُ كَرَوَانٍ ؛ وَصُفِيٌّ وَصُفِيٌّ جَمْعٌ صَفَاً مِثْلُ بَصَاً . وَالْوَابِلُ :  
 الْمَطَرُ الشَّدِيدُ . وَقَدْ وَبَّتِ السَّمَاءُ تَبِيلًا ، وَالْأَرْضُ مَوْبُولَةٌ . قَالَ الْأَخْفَشُ : وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :  
 « أَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا » (١) أَيَّ شَدِيدًا . وَضَرْبٌ وَبِيلٌ ، وَعَذَابٌ وَبِيلٌ أَيْ شَدِيدٌ . وَالصَّلْدُ :  
 الْأَمْلَسُ مِنَ الْجِمَارَةِ . قَالَ الْكَسَائِيُّ : صَلْدٌ يَصْلَدُ صَلْدًا بِتَحْرِيكِ اللَّامِ فَهُوَ صَلْدٌ بِالْإِسْكَانِ ؛  
 وَهُوَ كُلُّ مَا لَا يَنْبُتُ شَيْئًا ؛ وَمِنْهُ جَبِينٌ أَصْلَدٌ ؛ وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ لِرُؤْبَةٍ  
 • بَرَأَى أَصْلَادِ الْجَبِينِ الْأَجْلَةَ (٢)

قَالَ النَّفَّاسُ : الْأَصْلَدُ الْأَجْرَدُ بِلَفْظِ هُذَيْلٍ . وَمَعْنَى ( لَا يَقْدِرُونَ ) بِمَعْنَى الْمَرَاتِي وَالْكَاتِرِ وَالْمَاتِ  
 ( عَلَى شَيْءٍ ) أَيَّ عَلَى الْإِنْتِفَاعِ بِثَوَابِ شَيْءٍ مِنْ إِنْتِفَاقِهِمْ وَهُوَ كَسْبُهُمْ عِنْدَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ ؛ إِذْ كَانَ  
 لغير الله ، فَيَعْبُرُ عَنِ النِّفَاقَةِ بِالْكَسْبِ ؛ لِأَنَّهُمْ قَصَدُوا بِهَا الْكَسْبَ . وَقِيلَ : ضَرْبٌ هَذَا مِثْلًا  
 لِلرَّائِي فِي إِبْطَالِ ثَوَابِهِ ، وَلِصَاحِبِ الْمَتْنِ وَالْأَذَى فِي إِبْطَالِ فَضْلِهِ ؛ ذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ .

(١) رَاجِعِ الْمَسْأَلَةَ الثَّانِيَةَ جَد ٢ ص ١٧٩ (٢) الْوَرَلُ (بِالتَّحْرِيكِ) : دَابَّةٌ عَلَى خَلْقَةِ النَّهْبِ إِلَّا أَنَّهَا أَكْثَرُ  
 مِمَّا تَكُونُ فِي الرَّمَالِ وَالصَّعَارِي ، وَالْعَرَبُ تَسْتَعْبِثُ الْوَرَلَ وَتَسْتَفْرِدُهُ فَلَا تَأْكُلُهُ . (٣) رَاجِعِ ج ١٩ ص ١٧  
 (٤) الْجِلَّةُ : أَشَدُّ مِنَ الْجَلْحِ وَهُوَ ذَهَابُ الشَّعْرِ مِنْ مَقْدَمِ الْبُحَيْنِ .

قوله تعالى : وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ رِيْوَةٍ أَصْلَابُهَا وَإِبِلٌ فَخَاتٌ أَكْلُهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَرَّ يُصِيبَهَا وَإِبِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦٥﴾

قوله تعالى : ( وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ) « ابْتِغَاءَ » مفعول من أجله . « وَتَثْبِيْتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ » عطف عليه . وقال مكي في المشكل : كلاماً مفعول من أجله . قال ابن عطية : وهو مردود ، ولا يصح في « تَثْبِيْتًا » أنه مفعول من أجله ، لأن الإنفاق ليس من أجل التثبیت . و « ابْتِغَاءَ » نصب على المصدر في موضع الحال ، وكان يتوجه فيه النصب على المفعول من أجله ، لكن النصب على المصدر هو الصواب من جهة عطف المصدر الذي هو « تَثْبِيْتًا » عليه . ولما ذكر الله تعالى صفة صدقات القوم الذين لا خلاق لصدقاتهم ، ونهى المؤمنين عن مواقة ما يشبه ذلك بوجه ما ، عقب في هذه الآية بذكر نفقات القوم الذين تركو صدقاتهم إذ كانت على وفق الشرع ووجهه . و « ابْتِغَاءَ » معناه طلب . و « مَرْضَاتِ » مصدر من رَضِيَ يَرْضَى . « وَتَثْبِيْتًا » معناه أنهم ينتهون أين يضعون صدقاتهم ، قاله مجاهد والحسن . قال الحسن : كان الرجل إذا هم بصدقة شهت ، فإن كان ذلك لله أمضاه وإن خالطه شك أمسك . وقيل : معناه تصديقا وقينا ، قاله ابن عباس . وقال ابن عباس أيضا وقادة : معناه واحتسابا من أنفسهم . وقال الشعبي والسدي وقادة أيضا وابن زيد وأبو صالح وغيرهم : « وَتَثْبِيْتًا » معناه وثيقنا أى أن نفوسهم لها بصائر فهم تثبتهم على الإنفاق في طاعة الله تعالى تثبينا . وهذه الأقوال الثلاث أصوب من قول الحسن ومجاهد ؛ لأن المعنى الذى ذهبوا إليه إنما عبارته « وَتَثْبِيْتًا » مصدر على غير المصدر . قال ابن عطية : وهذا لا يسوغ إلا مع ذكر المصدر والإفصاح بالفعل المتقدم ، كقوله تعالى : « وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا » ، « وَتَهْتَلُ إِلَيْهِ تَهْبِيلًا » . وأما إذا لم يقع إفصاح بفعل فليس لك أن تأتى بمصدر في غير معناه ثم تقول : أحمله على معنى كذا وكذا ، لفعل لم يتقدم له ذكر . قال ابن عطية : هذا مهيج كلام العرب فيما علمته . وقال النحاس :

لو كان كما قال مجاهد لكان وثبتا من تثبت كثرهما، وقول قتادة : أصاباه لا يعرف  
إلا أن يراد به أن أنفسهم تثبتهم غنسية، وهذا بعيد . وقول الشعي حسن، أي تثبتا من  
أنفسهم لم يل اتفاق ذلك في طاعة الله عز وجل، يقال : تثبت فلانا في هذا الأمر  
أي صححت عزمه، وقويت فيه رأيه، أثبتة تثبتا، أي أنفسهم موقنة بوعده الله على تثبتهم  
في ذلك . وقيل : « وَثَبَّتَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ » أي يقرون بأن الله تعالى ثبت عليهما، أي وثبتيتهما  
من أنفسهم لتوابعها، بخلاف المنافق الذي لا يحسب الثواب .

قوله تعالى : ( كَثَلُ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ) الجنة : البستان، وهي قطعة أرض تثبت فيها الإنبات  
حتى تغطيها، فهي مأخوذة من لفظ الجن والجنين لاستارهم . وقد تقدم . والرَبْوَةُ :  
المكان المرتفع ارتفاعا يسيرا، معه في الأغلب كثافة تراب، وما كان كذلك فنباته أحسن،  
ولذلك خص الزبوة بالذكر . قال ابن عطية : ورياض الحزن ليست من هذا كما زعم  
الطبري، بل تلك هي الرياض المنسوبة إلى تجدد لأنها خير من رياض تامة، ونبات تجدد  
أعطر، ونسيمه أبرد وأرق، ويجدد يقال لها حزن . وقيل يصلح هوام تامة إلا بالليل، ولذلك  
قالت الأعرابية : « زوى كليل تامة » . وقال السدي : « ربوة » أي ربادة، وهو ما انخفض  
من الأرض . قال ابن عطية : وهذه عبارة قلقة، ولفظ الربوة هو مأخوذ من رَبَّأَ يَرْبُو إذا زاد .  
قلت : عبارة السدي ليست بشيء، لأن بناء « رَبَّ وَ » معناه الزيادة في كلام العرب،  
ومنه الرَبْوُ للنفس العالي . رَبَّأَ يَرْبُو إذا أخذ الزبوة . وربا الفرس إذا أخذ الزبوة من عدو  
أو فرج . وقال الفراء في قوله تعالى : « أَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِئَةً » أي زائدة، كقولك : أريت  
إذا أخذت أكثر مما أعطيت . وَرَبَّوْتُ في بني فلان ورَبَّيت أي نشأت فيهم . وقال  
الخليل : الزبوة أرض مرتفعة طيبة وخص الله تعالى بالذكر التي لا يجرى فيها ماء من حيث  
السفوف في بلاد العرب، فمثل لم ما يحسونه ويدركونه . وقال ابن عباس : الربوة المكان  
المرتفع الذي لا تجرى فيه الأنهار، لأن قوله تعالى ( أَصَابَهَا مِائِلٌ ) إلى آخر الآية يدل على  
أنها ليس فيها ماء جار، ولم يرد جنس التي تجرى فيها الأنهار، لأن الله تعالى قد ذكر ربوة

فأت قرار وتعين . والمعروف من كلام العرب أن الروبة ما ارتفع عما جاوره سواء جرى فيها ماء أو لم يجر . وفيها خمس لغات « رُبُوءٌ » بضم الراء ، وبها قرأ ابن كثير وحزمة والكسائي ونافع وأبو عمرو . و « رُبُوءٌ » بفتح الراء ، وبها قرأ عاصم وابن عاصم والحسن . « وِرْبُوءٌ » بكسر الراء ، وبها قرأ ابن عباس وأبو إسحاق السبعي . و « رِبَاوَةٌ » بالفتح ، وبها قرأ أبو جعفر وأبو عبد الرحمن ، وقال الشاعر :

مَنْ مُتَرِلٍ فِي رَوْضَةٍ بِرِبَاوَةٍ • بَيْنَ التَّخِيلِ إِلَى بَقْعِ الْفَرَقْدِ ؟

و « رِبَاوَةٌ » بالكسر ، وبها قرأ الأشهب العقيلي . قال الفراء : ويقال رِبَاوَةٌ وِرْبَاوَةٌ ، وكله من الرابية ، وفعله رَبَاوًا يَرَبُو .

قوله تعالى : ( أَصْلَاحًا ) يعني الروبة . ( وَأَيْلٌ ) أى مطر شديد ؛ قال الشاعر <sup>(١)</sup>

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ • خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا وَأَيْلٌ هَاطِلٌ

( قَاتَتْ ) أى أعطت . ( أَكَلَهَا ) بضم الهمة : الثمر الذى يؤكل ؛ ومنه قوله تعالى : « تُؤْتِي <sup>(٢)</sup>

أَكَلَهَا كُلَّ حِينٍ » . والشئ المأكول من كل شئ يقال له أَكُل . والأَكَلَةُ : اللقمة ؛ ومنه <sup>(٣)</sup>

الحديث : « فَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ مَشْقُوعًا قَلِيلًا فَلْيَضَعْ فِي يَدِهِ مِنْهُ أَكَلَةً أَوْ أَكَلَتَيْنِ » ، <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup> <sup>(١٠)</sup> <sup>(١١)</sup> <sup>(١٢)</sup> <sup>(١٣)</sup> <sup>(١٤)</sup> <sup>(١٥)</sup> <sup>(١٦)</sup> <sup>(١٧)</sup> <sup>(١٨)</sup> <sup>(١٩)</sup> <sup>(٢٠)</sup> <sup>(٢١)</sup> <sup>(٢٢)</sup> <sup>(٢٣)</sup> <sup>(٢٤)</sup> <sup>(٢٥)</sup> <sup>(٢٦)</sup> <sup>(٢٧)</sup> <sup>(٢٨)</sup> <sup>(٢٩)</sup> <sup>(٣٠)</sup> <sup>(٣١)</sup> <sup>(٣٢)</sup> <sup>(٣٣)</sup> <sup>(٣٤)</sup> <sup>(٣٥)</sup> <sup>(٣٦)</sup> <sup>(٣٧)</sup> <sup>(٣٨)</sup> <sup>(٣٩)</sup> <sup>(٤٠)</sup> <sup>(٤١)</sup> <sup>(٤٢)</sup> <sup>(٤٣)</sup> <sup>(٤٤)</sup> <sup>(٤٥)</sup> <sup>(٤٦)</sup> <sup>(٤٧)</sup> <sup>(٤٨)</sup> <sup>(٤٩)</sup> <sup>(٥٠)</sup> <sup>(٥١)</sup> <sup>(٥٢)</sup> <sup>(٥٣)</sup> <sup>(٥٤)</sup> <sup>(٥٥)</sup> <sup>(٥٦)</sup> <sup>(٥٧)</sup> <sup>(٥٨)</sup> <sup>(٥٩)</sup> <sup>(٦٠)</sup> <sup>(٦١)</sup> <sup>(٦٢)</sup> <sup>(٦٣)</sup> <sup>(٦٤)</sup> <sup>(٦٥)</sup> <sup>(٦٦)</sup> <sup>(٦٧)</sup> <sup>(٦٨)</sup> <sup>(٦٩)</sup> <sup>(٧٠)</sup> <sup>(٧١)</sup> <sup>(٧٢)</sup> <sup>(٧٣)</sup> <sup>(٧٤)</sup> <sup>(٧٥)</sup> <sup>(٧٦)</sup> <sup>(٧٧)</sup> <sup>(٧٨)</sup> <sup>(٧٩)</sup> <sup>(٨٠)</sup> <sup>(٨١)</sup> <sup>(٨٢)</sup> <sup>(٨٣)</sup> <sup>(٨٤)</sup> <sup>(٨٥)</sup> <sup>(٨٦)</sup> <sup>(٨٧)</sup> <sup>(٨٨)</sup> <sup>(٨٩)</sup> <sup>(٩٠)</sup> <sup>(٩١)</sup> <sup>(٩٢)</sup> <sup>(٩٣)</sup> <sup>(٩٤)</sup> <sup>(٩٥)</sup> <sup>(٩٦)</sup> <sup>(٩٧)</sup> <sup>(٩٨)</sup> <sup>(٩٩)</sup> <sup>(١٠٠)</sup> <sup>(١٠١)</sup> <sup>(١٠٢)</sup> <sup>(١٠٣)</sup> <sup>(١٠٤)</sup> <sup>(١٠٥)</sup> <sup>(١٠٦)</sup> <sup>(١٠٧)</sup> <sup>(١٠٨)</sup> <sup>(١٠٩)</sup> <sup>(١١٠)</sup> <sup>(١١١)</sup> <sup>(١١٢)</sup> <sup>(١١٣)</sup> <sup>(١١٤)</sup> <sup>(١١٥)</sup> <sup>(١١٦)</sup> <sup>(١١٧)</sup> <sup>(١١٨)</sup> <sup>(١١٩)</sup> <sup>(١٢٠)</sup> <sup>(١٢١)</sup> <sup>(١٢٢)</sup> <sup>(١٢٣)</sup> <sup>(١٢٤)</sup> <sup>(١٢٥)</sup> <sup>(١٢٦)</sup> <sup>(١٢٧)</sup> <sup>(١٢٨)</sup> <sup>(١٢٩)</sup> <sup>(١٣٠)</sup> <sup>(١٣١)</sup> <sup>(١٣٢)</sup> <sup>(١٣٣)</sup> <sup>(١٣٤)</sup> <sup>(١٣٥)</sup> <sup>(١٣٦)</sup> <sup>(١٣٧)</sup> <sup>(١٣٨)</sup> <sup>(١٣٩)</sup> <sup>(١٤٠)</sup> <sup>(١٤١)</sup> <sup>(١٤٢)</sup> <sup>(١٤٣)</sup> <sup>(١٤٤)</sup> <sup>(١٤٥)</sup> <sup>(١٤٦)</sup> <sup>(١٤٧)</sup> <sup>(١٤٨)</sup> <sup>(١٤٩)</sup> <sup>(١٥٠)</sup> <sup>(١٥١)</sup> <sup>(١٥٢)</sup> <sup>(١٥٣)</sup> <sup>(١٥٤)</sup> <sup>(١٥٥)</sup> <sup>(١٥٦)</sup> <sup>(١٥٧)</sup> <sup>(١٥٨)</sup> <sup>(١٥٩)</sup> <sup>(١٦٠)</sup> <sup>(١٦١)</sup> <sup>(١٦٢)</sup> <sup>(١٦٣)</sup> <sup>(١٦٤)</sup> <sup>(١٦٥)</sup> <sup>(١٦٦)</sup> <sup>(١٦٧)</sup> <sup>(١٦٨)</sup> <sup>(١٦٩)</sup> <sup>(١٧٠)</sup> <sup>(١٧١)</sup> <sup>(١٧٢)</sup> <sup>(١٧٣)</sup> <sup>(١٧٤)</sup> <sup>(١٧٥)</sup> <sup>(١٧٦)</sup> <sup>(١٧٧)</sup> <sup>(١٧٨)</sup> <sup>(١٧٩)</sup> <sup>(١٨٠)</sup> <sup>(١٨١)</sup> <sup>(١٨٢)</sup> <sup>(١٨٣)</sup> <sup>(١٨٤)</sup> <sup>(١٨٥)</sup> <sup>(١٨٦)</sup> <sup>(١٨٧)</sup> <sup>(١٨٨)</sup> <sup>(١٨٩)</sup> <sup>(١٩٠)</sup> <sup>(١٩١)</sup> <sup>(١٩٢)</sup> <sup>(١٩٣)</sup> <sup>(١٩٤)</sup> <sup>(١٩٥)</sup> <sup>(١٩٦)</sup> <sup>(١٩٧)</sup> <sup>(١٩٨)</sup> <sup>(١٩٩)</sup> <sup>(٢٠٠)</sup> <sup>(٢٠١)</sup> <sup>(٢٠٢)</sup> <sup>(٢٠٣)</sup> <sup>(٢٠٤)</sup> <sup>(٢٠٥)</sup> <sup>(٢٠٦)</sup> <sup>(٢٠٧)</sup> <sup>(٢٠٨)</sup> <sup>(٢٠٩)</sup> <sup>(٢١٠)</sup> <sup>(٢١١)</sup> <sup>(٢١٢)</sup> <sup>(٢١٣)</sup> <sup>(٢١٤)</sup> <sup>(٢١٥)</sup> <sup>(٢١٦)</sup> <sup>(٢١٧)</sup> <sup>(٢١٨)</sup> <sup>(٢١٩)</sup> <sup>(٢٢٠)</sup> <sup>(٢٢١)</sup> <sup>(٢٢٢)</sup> <sup>(٢٢٣)</sup> <sup>(٢٢٤)</sup> <sup>(٢٢٥)</sup> <sup>(٢٢٦)</sup> <sup>(٢٢٧)</sup> <sup>(٢٢٨)</sup> <sup>(٢٢٩)</sup> <sup>(٢٣٠)</sup> <sup>(٢٣١)</sup> <sup>(٢٣٢)</sup> <sup>(٢٣٣)</sup> <sup>(٢٣٤)</sup> <sup>(٢٣٥)</sup> <sup>(٢٣٦)</sup> <sup>(٢٣٧)</sup> <sup>(٢٣٨)</sup> <sup>(٢٣٩)</sup> <sup>(٢٤٠)</sup> <sup>(٢٤١)</sup> <sup>(٢٤٢)</sup> <sup>(٢٤٣)</sup> <sup>(٢٤٤)</sup> <sup>(٢٤٥)</sup> <sup>(٢٤٦)</sup> <sup>(٢٤٧)</sup> <sup>(٢٤٨)</sup> <sup>(٢٤٩)</sup> <sup>(٢٥٠)</sup> <sup>(٢٥١)</sup> <sup>(٢٥٢)</sup> <sup>(٢٥٣)</sup> <sup>(٢٥٤)</sup> <sup>(٢٥٥)</sup> <sup>(٢٥٦)</sup> <sup>(٢٥٧)</sup> <sup>(٢٥٨)</sup> <sup>(٢٥٩)</sup> <sup>(٢٦٠)</sup> <sup>(٢٦١)</sup> <sup>(٢٦٢)</sup> <sup>(٢٦٣)</sup> <sup>(٢٦٤)</sup> <sup>(٢٦٥)</sup> <sup>(٢٦٦)</sup> <sup>(٢٦٧)</sup> <sup>(٢٦٨)</sup> <sup>(٢٦٩)</sup> <sup>(٢٧٠)</sup> <sup>(٢٧١)</sup> <sup>(٢٧٢)</sup> <sup>(٢٧٣)</sup> <sup>(٢٧٤)</sup> <sup>(٢٧٥)</sup> <sup>(٢٧٦)</sup> <sup>(٢٧٧)</sup> <sup>(٢٧٨)</sup> <sup>(٢٧٩)</sup> <sup>(٢٨٠)</sup> <sup>(٢٨١)</sup> <sup>(٢٨٢)</sup> <sup>(٢٨٣)</sup> <sup>(٢٨٤)</sup> <sup>(٢٨٥)</sup> <sup>(٢٨٦)</sup> <sup>(٢٨٧)</sup> <sup>(٢٨٨)</sup> <sup>(٢٨٩)</sup> <sup>(٢٩٠)</sup> <sup>(٢٩١)</sup> <sup>(٢٩٢)</sup> <sup>(٢٩٣)</sup> <sup>(٢٩٤)</sup> <sup>(٢٩٥)</sup> <sup>(٢٩٦)</sup> <sup>(٢٩٧)</sup> <sup>(٢٩٨)</sup> <sup>(٢٩٩)</sup> <sup>(٣٠٠)</sup> <sup>(٣٠١)</sup> <sup>(٣٠٢)</sup> <sup>(٣٠٣)</sup> <sup>(٣٠٤)</sup> <sup>(٣٠٥)</sup> <sup>(٣٠٦)</sup> <sup>(٣٠٧)</sup> <sup>(٣٠٨)</sup> <sup>(٣٠٩)</sup> <sup>(٣١٠)</sup> <sup>(٣١١)</sup> <sup>(٣١٢)</sup> <sup>(٣١٣)</sup> <sup>(٣١٤)</sup> <sup>(٣١٥)</sup> <sup>(٣١٦)</sup> <sup>(٣١٧)</sup> <sup>(٣١٨)</sup> <sup>(٣١٩)</sup> <sup>(٣٢٠)</sup> <sup>(٣٢١)</sup> <sup>(٣٢٢)</sup> <sup>(٣٢٣)</sup> <sup>(٣٢٤)</sup> <sup>(٣٢٥)</sup> <sup>(٣٢٦)</sup> <sup>(٣٢٧)</sup> <sup>(٣٢٨)</sup> <sup>(٣٢٩)</sup> <sup>(٣٣٠)</sup> <sup>(٣٣١)</sup> <sup>(٣٣٢)</sup> <sup>(٣٣٣)</sup> <sup>(٣٣٤)</sup> <sup>(٣٣٥)</sup> <sup>(٣٣٦)</sup> <sup>(٣٣٧)</sup> <sup>(٣٣٨)</sup> <sup>(٣٣٩)</sup> <sup>(٣٤٠)</sup> <sup>(٣٤١)</sup> <sup>(٣٤٢)</sup> <sup>(٣٤٣)</sup> <sup>(٣٤٤)</sup> <sup>(٣٤٥)</sup> <sup>(٣٤٦)</sup> <sup>(٣٤٧)</sup> <sup>(٣٤٨)</sup> <sup>(٣٤٩)</sup> <sup>(٣٥٠)</sup> <sup>(٣٥١)</sup> <sup>(٣٥٢)</sup> <sup>(٣٥٣)</sup> <sup>(٣٥٤)</sup> <sup>(٣٥٥)</sup> <sup>(٣٥٦)</sup> <sup>(٣٥٧)</sup> <sup>(٣٥٨)</sup> <sup>(٣٥٩)</sup> <sup>(٣٦٠)</sup> <sup>(٣٦١)</sup> <sup>(٣٦٢)</sup> <sup>(٣٦٣)</sup> <sup>(٣٦٤)</sup> <sup>(٣٦٥)</sup> <sup>(٣٦٦)</sup> <sup>(٣٦٧)</sup> <sup>(٣٦٨)</sup> <sup>(٣٦٩)</sup> <sup>(٣٧٠)</sup> <sup>(٣٧١)</sup> <sup>(٣٧٢)</sup> <sup>(٣٧٣)</sup> <sup>(٣٧٤)</sup> <sup>(٣٧٥)</sup> <sup>(٣٧٦)</sup> <sup>(٣٧٧)</sup> <sup>(٣٧٨)</sup> <sup>(٣٧٩)</sup> <sup>(٣٨٠)</sup> <sup>(٣٨١)</sup> <sup>(٣٨٢)</sup> <sup>(٣٨٣)</sup> <sup>(٣٨٤)</sup> <sup>(٣٨٥)</sup> <sup>(٣٨٦)</sup> <sup>(٣٨٧)</sup> <sup>(٣٨٨)</sup> <sup>(٣٨٩)</sup> <sup>(٣٩٠)</sup> <sup>(٣٩١)</sup> <sup>(٣٩٢)</sup> <sup>(٣٩٣)</sup> <sup>(٣٩٤)</sup> <sup>(٣٩٥)</sup> <sup>(٣٩٦)</sup> <sup>(٣٩٧)</sup> <sup>(٣٩٨)</sup> <sup>(٣٩٩)</sup> <sup>(٤٠٠)</sup> <sup>(٤٠١)</sup> <sup>(٤٠٢)</sup> <sup>(٤٠٣)</sup> <sup>(٤٠٤)</sup> <sup>(٤٠٥)</sup> <sup>(٤٠٦)</sup> <sup>(٤٠٧)</sup> <sup>(٤٠٨)</sup> <sup>(٤٠٩)</sup> <sup>(٤١٠)</sup> <sup>(٤١١)</sup> <sup>(٤١٢)</sup> <sup>(٤١٣)</sup> <sup>(٤١٤)</sup> <sup>(٤١٥)</sup> <sup>(٤١٦)</sup> <sup>(٤١٧)</sup> <sup>(٤١٨)</sup> <sup>(٤١٩)</sup> <sup>(٤٢٠)</sup> <sup>(٤٢١)</sup> <sup>(٤٢٢)</sup> <sup>(٤٢٣)</sup> <sup>(٤٢٤)</sup> <sup>(٤٢٥)</sup> <sup>(٤٢٦)</sup> <sup>(٤٢٧)</sup> <sup>(٤٢٨)</sup> <sup>(٤٢٩)</sup> <sup>(٤٣٠)</sup> <sup>(٤٣١)</sup> <sup>(٤٣٢)</sup> <sup>(٤٣٣)</sup> <sup>(٤٣٤)</sup> <sup>(٤٣٥)</sup> <sup>(٤٣٦)</sup> <sup>(٤٣٧)</sup> <sup>(٤٣٨)</sup> <sup>(٤٣٩)</sup> <sup>(٤٤٠)</sup> <sup>(٤٤١)</sup> <sup>(٤٤٢)</sup> <sup>(٤٤٣)</sup> <sup>(٤٤٤)</sup> <sup>(٤٤٥)</sup> <sup>(٤٤٦)</sup> <sup>(٤٤٧)</sup> <sup>(٤٤٨)</sup> <sup>(٤٤٩)</sup> <sup>(٤٥٠)</sup> <sup>(٤٥١)</sup> <sup>(٤٥٢)</sup> <sup>(٤٥٣)</sup> <sup>(٤٥٤)</sup> <sup>(٤٥٥)</sup> <sup>(٤٥٦)</sup> <sup>(٤٥٧)</sup> <sup>(٤٥٨)</sup> <sup>(٤٥٩)</sup> <sup>(٤٦٠)</sup> <sup>(٤٦١)</sup> <sup>(٤٦٢)</sup> <sup>(٤٦٣)</sup> <sup>(٤٦٤)</sup> <sup>(٤٦٥)</sup> <sup>(٤٦٦)</sup> <sup>(٤٦٧)</sup> <sup>(٤٦٨)</sup> <sup>(٤٦٩)</sup> <sup>(٤٧٠)</sup> <sup>(٤٧١)</sup> <sup>(٤٧٢)</sup> <sup>(٤٧٣)</sup> <sup>(٤٧٤)</sup> <sup>(٤٧٥)</sup> <sup>(٤٧٦)</sup> <sup>(٤٧٧)</sup> <sup>(٤٧٨)</sup> <sup>(٤٧٩)</sup> <sup>(٤٨٠)</sup> <sup>(٤٨١)</sup> <sup>(٤٨٢)</sup> <sup>(٤٨٣)</sup> <sup>(٤٨٤)</sup> <sup>(٤٨٥)</sup> <sup>(٤٨٦)</sup> <sup>(٤٨٧)</sup> <sup>(٤٨٨)</sup> <sup>(٤٨٩)</sup> <sup>(٤٩٠)</sup> <sup>(٤٩١)</sup> <sup>(٤٩٢)</sup> <sup>(٤٩٣)</sup> <sup>(٤٩٤)</sup> <sup>(٤٩٥)</sup> <sup>(٤٩٦)</sup> <sup>(٤٩٧)</sup> <sup>(٤٩٨)</sup> <sup>(٤٩٩)</sup> <sup>(٥٠٠)</sup> <sup>(٥٠١)</sup> <sup>(٥٠٢)</sup> <sup>(٥٠٣)</sup> <sup>(٥٠٤)</sup> <sup>(٥٠٥)</sup> <sup>(٥٠٦)</sup> <sup>(٥٠٧)</sup> <sup>(٥٠٨)</sup> <sup>(٥٠٩)</sup> <sup>(٥١٠)</sup> <sup>(٥١١)</sup> <sup>(٥١٢)</sup> <sup>(٥١٣)</sup> <sup>(٥١٤)</sup> <sup>(٥١٥)</sup> <sup>(٥١٦)</sup> <sup>(٥١٧)</sup> <sup>(٥١٨)</sup> <sup>(٥١٩)</sup> <sup>(٥٢٠)</sup> <sup>(٥٢١)</sup> <sup>(٥٢٢)</sup> <sup>(٥٢٣)</sup> <sup>(٥٢٤)</sup> <sup>(٥٢٥)</sup> <sup>(٥٢٦)</sup> <sup>(٥٢٧)</sup> <sup>(٥٢٨)</sup> <sup>(٥٢٩)</sup> <sup>(٥٣٠)</sup> <sup>(٥٣١)</sup> <sup>(٥٣٢)</sup> <sup>(٥٣٣)</sup> <sup>(٥٣٤)</sup> <sup>(٥٣٥)</sup> <sup>(٥٣٦)</sup> <sup>(٥٣٧)</sup> <sup>(٥٣٨)</sup> <sup>(٥٣٩)</sup> <sup>(٥٤٠)</sup> <sup>(٥٤١)</sup> <sup>(٥٤٢)</sup> <sup>(٥٤٣)</sup> <sup>(٥٤٤)</sup> <sup>(٥٤٥)</sup> <sup>(٥٤٦)</sup> <sup>(٥٤٧)</sup> <sup>(٥٤٨)</sup> <sup>(٥٤٩)</sup> <sup>(٥٥٠)</sup> <sup>(٥٥١)</sup> <sup>(٥٥٢)</sup> <sup>(٥٥٣)</sup> <sup>(٥٥٤)</sup> <sup>(٥٥٥)</sup> <sup>(٥٥٦)</sup> <sup>(٥٥٧)</sup> <sup>(٥٥٨)</sup> <sup>(٥٥٩)</sup> <sup>(٥٦٠)</sup> <sup>(٥٦١)</sup> <sup>(٥٦٢)</sup> <sup>(٥٦٣)</sup> <sup>(٥٦٤)</sup> <sup>(٥٦٥)</sup> <sup>(٥٦٦)</sup> <sup>(٥٦٧)</sup> <sup>(٥٦٨)</sup> <sup>(٥٦٩)</sup> <sup>(٥٧٠)</sup> <sup>(٥٧١)</sup> <sup>(٥٧٢)</sup> <sup>(٥٧٣)</sup> <sup>(٥٧٤)</sup> <sup>(٥٧٥)</sup> <sup>(٥٧٦)</sup> <sup>(٥٧٧)</sup> <sup>(٥٧٨)</sup> <sup>(٥٧٩)</sup> <sup>(٥٨٠)</sup> <sup>(٥٨١)</sup> <sup>(٥٨٢)</sup> <sup>(٥٨٣)</sup> <sup>(٥٨٤)</sup> <sup>(٥٨٥)</sup> <sup>(٥٨٦)</sup> <sup>(٥٨٧)</sup> <sup>(٥٨٨)</sup> <sup>(٥٨٩)</sup> <sup>(٥٩٠)</sup> <sup>(٥٩١)</sup> <sup>(٥٩٢)</sup> <sup>(٥٩٣)</sup> <sup>(٥٩٤)</sup> <sup>(٥٩٥)</sup> <sup>(٥٩٦)</sup> <sup>(٥٩٧)</sup> <sup>(٥٩٨)</sup> <sup>(٥٩٩)</sup> <sup>(٦٠٠)</sup> <sup>(٦٠١)</sup> <sup>(٦٠٢)</sup> <sup>(٦٠٣)</sup> <sup>(٦٠٤)</sup> <sup>(٦٠٥)</sup> <sup>(٦٠٦)</sup> <sup>(٦٠٧)</sup> <sup>(٦٠٨)</sup> <sup>(٦٠٩)</sup> <sup>(٦١٠)</sup> <sup>(٦١١)</sup> <sup>(٦١٢)</sup> <sup>(٦١٣)</sup> <sup>(٦١٤)</sup> <sup>(٦١٥)</sup> <sup>(٦١٦)</sup> <sup>(٦١٧)</sup> <sup>(٦١٨)</sup> <sup>(٦١٩)</sup> <sup>(٦٢٠)</sup> <sup>(٦٢١)</sup> <sup>(٦٢٢)</sup> <sup>(٦٢٣)</sup> <sup>(٦٢٤)</sup> <sup>(٦٢٥)</sup> <sup>(٦٢٦)</sup> <sup>(٦٢٧)</sup> <sup>(٦٢٨)</sup> <sup>(٦٢٩)</sup> <sup>(٦٣٠)</sup> <sup>(٦٣١)</sup> <sup>(٦٣٢)</sup> <sup>(٦٣٣)</sup> <sup>(٦٣٤)</sup> <sup>(٦٣٥)</sup> <sup>(٦٣٦)</sup> <sup>(٦٣٧)</sup> <sup>(٦٣٨)</sup> <sup>(٦٣٩)</sup> <sup>(٦٤٠)</sup> <sup>(٦٤١)</sup> <sup>(٦٤٢)</sup> <sup>(٦٤٣)</sup> <sup>(٦٤٤)</sup> <sup>(٦٤٥)</sup> <sup>(٦٤٦)</sup> <sup>(٦٤٧)</sup> <sup>(٦٤٨)</sup> <sup>(٦٤٩)</sup> <sup>(٦٥٠)</sup> <sup>(٦٥١)</sup> <sup>(٦٥٢)</sup> <sup>(٦٥٣)</sup> <sup>(٦٥٤)</sup> <sup>(٦٥٥)</sup> <sup>(٦٥٦)</sup> <sup>(٦٥٧)</sup> <sup>(٦٥٨)</sup> <sup>(٦٥٩)</sup> <sup>(٦٦٠)</sup> <sup>(٦٦١)</sup> <sup>(٦٦٢)</sup> <sup>(٦٦٣)</sup> <sup>(٦٦٤)</sup> <sup>(٦٦٥)</sup> <sup>(٦٦٦)</sup> <sup>(٦٦٧)</sup> <sup>(٦٦٨)</sup> <sup>(٦٦٩)</sup> <sup>(٦٧٠)</sup> <sup>(٦٧١)</sup> <sup>(٦٧٢)</sup> <sup>(٦٧٣)</sup> <sup>(٦٧٤)</sup> <sup>(٦٧٥)</sup> <sup>(٦٧٦)</sup> <sup>(٦٧٧)</sup> <sup>(٦٧٨)</sup> <sup>(٦٧٩)</sup> <sup>(٦٨٠)</sup> <sup>(٦٨١)</sup> <sup>(٦٨٢)</sup> <sup>(٦٨٣)</sup> <sup>(٦٨٤)</sup> <sup>(٦٨٥)</sup> <sup>(٦٨٦)</sup> <sup>(٦٨٧)</sup> <sup>(٦٨٨)</sup> <sup>(٦٨٩)</sup> <sup>(٦٩٠)</sup> <sup>(٦٩١)</sup> <sup>(٦٩٢)</sup> <sup>(٦٩٣)</sup> <sup>(٦٩٤)</sup> <sup>(٦٩٥)</sup> <sup>(٦٩٦)</sup> <sup>(٦٩٧)</sup> <sup>(٦٩٨)</sup> <sup>(٦٩٩)</sup> <sup>(٧٠٠)</sup> <sup>(٧٠١)</sup> <sup>(٧٠٢)</sup> <sup>(٧٠٣)</sup> <sup>(٧٠٤)</sup> <sup>(٧٠٥)</sup> <sup>(٧٠٦)</sup> <sup>(٧٠٧)</sup> <sup>(٧٠٨)</sup> <sup>(٧٠٩)</sup> <sup>(٧١٠)</sup> <sup>(٧١١)</sup> <sup>(٧١٢)</sup> <sup>(٧١٣)</sup> <sup>(٧١٤)</sup> <sup>(٧١٥)</sup> <sup>(٧١٦)</sup> <sup>(٧١٧)</sup> <sup>(٧١٨)</sup> <sup>(٧١٩)</sup> <sup>(٧٢٠)</sup> <sup>(٧٢١)</sup> <sup>(٧٢٢)</sup> <sup>(٧٢٣)</sup> <sup>(٧٢٤)</sup> <sup>(٧٢٥)</sup> <sup>(٧٢٦)</sup> <sup>(٧٢٧)</sup> <sup>(٧٢٨)</sup> <sup>(٧٢٩)</sup> <sup>(٧٣٠)</sup> <sup>(٧٣١)</sup> <sup>(٧٣٢)</sup> <sup>(٧٣٣)</sup> <sup>(٧٣٤)</sup> <sup>(٧٣٥)</sup> <sup>(٧٣٦)</sup> <sup>(٧٣٧)</sup> <sup>(٧٣٨)</sup> <sup>(٧٣٩)</sup> <sup>(٧٤٠)</sup> <sup>(٧٤١)</sup> <sup>(٧٤٢)</sup> <sup>(٧٤٣)</sup> <sup>(٧٤٤)</sup> <sup>(٧٤٥)</sup> <sup>(٧٤٦)</sup> <sup>(٧٤٧)</sup> <sup>(٧٤٨)</sup> <sup>(٧٤٩)</sup> <sup>(٧٥٠)</sup> <sup>(٧٥١)</sup> <sup>(٧٥٢)</sup> <sup>(٧٥٣)</sup> <sup>(٧٥٤)</sup> <sup>(٧٥٥)</sup> <sup>(٧٥٦)</sup> <sup>(٧٥٧)</sup> <sup>(٧٥٨)</sup> <sup>(٧٥٩)</sup> <sup>(٧٦٠)</sup> <sup>(٧٦١)</sup> <sup>(٧٦٢)</sup> <sup>(٧٦٣)</sup> <sup>(٧٦٤)</sup> <sup>(٧٦٥)</sup> <sup>(٧٦٦)</sup> <sup>(٧٦٧)</sup> <sup>(٧٦٨)</sup> <sup>(٧٦٩)</sup> <sup>(٧٧٠)</sup> <sup>(٧٧١)</sup> <sup>(٧٧٢)</sup> <sup>(٧٧٣)</sup> <sup>(٧٧٤)</sup> <sup>(٧٧٥)</sup> <sup>(٧٧٦)</sup> <sup>(٧٧٧)</sup> <sup>(٧٧٨)</sup> <sup>(٧٧٩)</sup> <sup>(٧٨٠)</sup> <sup>(٧٨١)</sup> <sup>(٧٨٢)</sup> <sup>(٧٨٣)</sup> <sup>(٧٨٤)</sup> <sup>(٧٨٥)</sup> <sup>(٧٨٦)</sup> <sup>(٧٨٧)</sup> <sup>(٧٨٨)</sup> <sup>(٧٨٩)</sup> <sup>(٧٩٠)</sup> <sup>(٧٩١)</sup> <sup>(٧٩٢)</sup> <sup>(٧٩٣)</sup> <sup>(٧٩٤)</sup> <sup>(٧٩٥)</sup> <sup>(٧٩٦)</sup> <sup>(٧٩٧)</sup> <sup>(٧٩٨)</sup> <sup>(٧٩٩)</sup> <sup>(٨٠٠)</sup> <sup>(٨٠١)</sup> <sup>(٨٠٢)</sup> <sup>(٨٠٣)</sup> <sup>(٨٠٤)</sup> <sup>(٨٠٥)</sup> <sup>(٨٠٦)</sup> <sup>(٨٠٧)</sup> <sup>(٨٠٨)</sup> <sup>(٨٠٩)</sup> <sup>(٨١٠)</sup> <sup>(٨١١)</sup> <sup>(٨١٢)</sup> <sup>(٨١٣)</sup> <sup>(٨١٤)</sup> <sup>(٨١٥)</sup> <sup>(٨١٦)</sup> <sup>(٨١٧)</sup> <sup>(٨١٨)</sup> <sup>(٨١٩)</sup> <sup>(٨٢٠)</sup> <sup>(٨٢١)</sup> <sup>(٨٢٢)</sup> <sup>(٨٢٣)</sup> <sup>(٨٢٤)</sup> <sup>(٨٢٥)</sup> <sup>(٨٢٦)</sup> <sup>(٨٢٧)</sup> <sup>(٨٢٨)</sup> <sup>(٨٢٩)</sup> <sup>(٨٣٠)</sup> <sup>(٨٣١)</sup> <sup>(٨٣٢)</sup> <sup>(٨٣٣)</sup> <sup>(٨٣٤)</sup> <sup>(٨٣٥)</sup> <sup>(٨٣٦)</sup> <sup>(٨٣٧)</sup> <sup>(٨٣٨)</sup> <sup>(٨٣٩)</sup> <sup>(٨٤٠)</sup> <sup>(٨٤١)</sup> <sup>(٨٤٢)</sup> <sup>(٨٤٣)</sup> <sup>(٨٤٤)</sup> <sup>(٨٤٥)</sup> <sup>(٨٤٦)</sup> <sup>(٨٤٧)</sup> <sup>(٨٤٨)</sup> <sup>(٨٤٩)</sup> <sup>(٨٥٠)</sup> <sup>(٨٥١)</sup> <sup>(٨٥٢)</sup> <sup>(٨٥٣)</sup> <sup>(٨٥٤)</sup> <sup>(٨٥٥)</sup> <sup>(٨٥٦)</sup> <sup>(٨٥٧)</sup> <sup>(٨٥٨)</sup> <sup>(٨٥٩)</sup> <sup>(٨٦٠)</sup> <sup>(٨٦١)</sup> <sup>(٨٦٢)</sup> <sup>(٨٦٣)</sup> <sup>(٨٦٤)</sup> <sup>(٨٦٥)</sup> <sup>(٨٦٦)</sup> <sup>(٨٦٧)</sup> <sup>(٨٦٨)</sup> <sup>(٨٦٩)</sup> <sup>(٨٧٠)</sup> <sup>(٨٧١)</sup> <sup>(٨٧٢)</sup> <sup>(٨٧٣)</sup> <sup>(٨٧٤)</sup> <sup>(٨٧٥)</sup> <sup>(٨٧٦)</sup> <sup>(٨٧٧)</sup> <sup>(٨٧٨)</sup> <sup>(٨٧٩)</sup> <sup>(٨٨٠)</sup> <sup>(٨٨١)</sup> <sup>(٨٨٢)</sup> <sup>(٨٨٣)</sup> <sup>(٨٨٤)</sup> <sup>(٨٨٥)</sup> <sup>(٨٨٦)</sup> <sup>(٨٨٧)</sup> <sup>(٨٨٨)</sup> <sup>(٨٨٩)</sup> <sup>(٨٩٠)</sup> <sup>(٨٩١)</sup> <sup>(٨٩٢)</sup> <sup>(٨٩٣)</sup> <sup>(٨٩٤)</sup> <sup>(٨٩٥)</sup> <sup>(٨٩٦)</sup> <sup>(٨٩٧)</sup> <sup>(٨٩٨)</sup> <sup>(٨٩٩)</sup> <sup>(٩٠٠)</sup> <sup>(٩٠١)</sup> <sup>(٩٠٢)</sup> <sup>(٩٠٣)</sup> <sup>(٩٠٤)</sup> <sup>(٩٠٥)</sup> <sup>(٩٠٦)</sup> <sup>(٩٠٧)</sup> <sup>(٩٠٨)</sup> <sup>(٩٠٩)</sup> <sup>(٩١٠)</sup> <sup>(٩١١)</sup> <sup>(٩١٢)</sup> <sup>(٩١٣)</sup> <sup>(٩١٤)</sup> <sup>(٩١٥)</sup> <sup>(٩١٦)</sup> <sup>(٩١٧)</sup> <sup>(٩١٨)</sup> <sup>(٩١٩)</sup> <sup>(٩٢٠)</sup> <sup>(٩٢١)</sup> <sup>(٩٢٢)</sup> <sup>(٩٢٣)</sup> <sup>(٩٢٤)</sup> <sup>(٩٢٥)</sup> <sup>(٩٢٦)</sup> <sup>(٩٢٧)</sup> <sup>(٩٢٨)</sup> <sup>(٩٢٩)</sup> <sup>(٩٣٠)</sup> <sup>(٩٣١)</sup> <sup>(٩٣٢)</sup> <sup>(٩٣٣)</sup> <sup>(٩٣٤)</sup> <sup>(٩٣٥)</sup> <sup>(٩٣٦)</sup> <sup>(٩٣٧)</sup> <sup>(٩٣٨)</sup> <sup>(٩٣٩)</sup> <sup>(٩٤٠)</sup> <sup>(٩٤١)</sup> <sup>(٩٤٢)</sup> <sup>(٩٤٣)</sup> <sup>(٩٤٤)</sup> <sup>(٩٤٥)</sup> <sup>(٩٤٦)</sup> <sup>(٩٤٧)</sup> <sup>(٩٤٨)</sup> <sup>(٩٤٩)</sup> <sup>(٩٥٠)</sup> <sup>(٩٥١)</sup> <sup>(٩٥٢)</sup> <sup>(٩٥٣)</sup> <sup>(٩٥٤)</sup> <sup>(٩٥٥)</sup> <sup>(٩٥٦)</sup> <sup>(٩٥٧)</sup> <sup>(٩٥٨)</sup> <sup>(٩٥٩)</sup> <sup>(٩٦٠)</sup> <sup>(٩٦١)</sup> <sup>(٩٦٢)</sup> <sup>(٩٦٣)</sup> <sup>(٩٦٤)</sup> <sup>(٩٦٥)</sup> <sup>(٩٦٦)</sup> <sup>(٩٦٧)</sup> <sup>(٩٦٨)</sup> <sup>(٩٦٩)</sup> <sup>(٩٧٠)</sup> <sup>(٩٧١)</sup> <sup>(٩٧٢)</sup> <sup>(٩٧٣)</sup> <sup>(٩٧٤)</sup> <sup>(٩٧٥)</sup> <sup>(٩٧٦)</sup> <sup>(٩٧٧)</sup> <sup>(٩٧٨)</sup> <sup>(٩٧٩)</sup> <sup>(٩٨٠)</sup> <sup>(٩٨١)</sup> <sup>(٩٨٢)</sup> <sup>(٩٨٣)</sup> <sup>(٩</sup>



وَأَبْنِ عَامِرَ وَحَمِزَةَ وَالْكِسَائِيَّ فِي جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ بِالثَّقِيلِ . وَيُقَالُ : أَكْثَلَ وَأَكْلُ بِمَعْنَى .  
 (ضَعْفَيْنِ) أَيْ أَحْطَتْ ضَعْفِي نَمْرُ فِيهَا مِنَ الْأَرْضَيْنِ . وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : حَمَلَتْ صَرْفَيْنِ  
 فِي السَّنَةِ ، وَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ ، أَيْ أُخْرِجَتْ مِنَ الزَّرْعِ مَا يُخْرَجُ فِيهَا فِي صَتَيْنِ .

قوله تعالى : ( فَإِنْ لَمْ يَنْصِبْهَا وَأَيْلٌ فَطُلَّ ) تأكيد منه تعالى لمُدَحِّ هذه الزبوة بأنها إن لم ينصبها  
 وأيل فإن الطل يكفيها وينوب مناب الوايل في إخراج الثمرة ضعفين ، وذلك لكرم الأرض  
 وطيبها . قال المبرد وغيره : تقديره فطُلَّ يكفيها . وقال الزجاج : فالذي ينصبها طلل .  
 والطل : المطر الضعيف المستند من القطر الخفيف ؛ قاله ابن عباس وغيره ، وهو مشهور اللغة .  
 وقال قوم منهم مجاهد : الطُّلُّ : الندى . قال ابن عطية : وهو يجوز وتشبيهه . قال النحاس :  
 وحكى أهل اللغة وَبَلَّتْ وَأَوْبَلَتْ ، وَطَلَّتْ وَأَطَلَّتْ . وفي الصحاح : الطُّلُّ أضعف المطر والجمع  
 الطُّلال ؛ تقول منه : طُلَّتِ الْأَرْضُ وَأَطَلَهَا النَّدى فِيهِ مَطْلُولَةٌ . قال الماوردي : وزرع  
 الطل أضعف من زرع المطر وأقل ريعاً ، وفيه — وإن قل — تماسك ونفع . قال بعضهم :  
 في الآية تقديره وتأخير ، ومعناه كمثل جنة بربوة أصابها وابل فإن لم ينصبها وابل فطل فأتت  
 أكلها ضعفين . يعني أخضرت أوراق البستان وخرجت ثمرتها ضعفين .

قلت : التأويل الأول أصوب ولا حاجة إلى التقديم والتأخير . فشبّه تعالى نمو نفقات  
 هؤلاء المخلصين الذين يَرَى اللهُ صدقاتهم كترية الفلوق<sup>(١)</sup> والفصيل ينمو نبات الجنة بالزبوة  
 الموصوفة ؛ بخلاف الصّفْوان الذي انكشف عنه ترابه فبقى صلباً . وخرج مسلم وغيره عن  
 أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : " لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدُ بَمَرَةٍ مِنْ كَسْبٍ  
 طَيِّبٍ إِلَّا أَخَذَهَا اللهُ بَيْنَيْهِ فَيَرْبِيهَا كَمَا يَرْبِي أَحَدُكُمْ فُلُوهُ أَوْ فَيْصِيلُهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ  
 أَوْ اعْظَمَ " خرجه الموطأ أيضا .

قوله تعالى : ( وَأَنْتُمْ يَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ) وعد ووعد . وقرأ الزمخشري : « يعملون » بالياء  
 كأنه يريد به الناس أجمع ، أو يريد المتقين فقط ؛ فهو وعد محض .

(١) الفلوق : بضم الفاء . وضعها مع ضم اللام ، وبكسرهما مع سكون (اللام) : المهر الصغير ، وبفتح : هو العظيم  
 من أولاد ذات الحافر .

قوله تعالى : « أَيْوَدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ  
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصْلَبَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ  
دُرَّةٌ ضُمْعَاءٌ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ  
لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ » (٢٦)

قوله تعالى : ( « أَيْوَدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ » ) الآية . حكي الطبري  
من السدي أن هذه الآية مثل آخر لفظة الرياء ، ورجح هو هذا القول .

قلت وروى عن ابن عباس أيضا قال : هذا مثل ضربه الله للرائين بالأعمال يظنهم  
يوم القيامة أحوج ما كان إليها ، كمثل رجل كانت له جنة وله أطفال لا ينفعونه فكبر وأصاب  
بالجنة إعصار أي ريح عاصف فيه نار فاحترقت ففقدوها أحوج ما كان إليها . وحكى عن  
أبن زيد أنه قرأ قول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَطْلُغُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى » الآية ،  
قال : ثم ضرب في ذلك مثلا فقال : « أَيْوَدُ أَحَدُكُمْ » الآية . قال ابن عطية : وهذا آية  
من الذي روي الطبري ، وليست هذه الآية بمنزلة آخر لفظة الرياء ؛ هذا هو مقتضى سياق  
الكلام . وأما بالمعنى في غير هذا السياق فتشبه حال كل منافق أو كافر عمل عملا وهو يحسب  
أنه يحسن صنعا فلما جاء إلى وقت الحاجة لم يجد شيئا .

قلت : قد روى عن ابن عباس أنها مثل لمن عمل لغير الله من منافق وكافر على ما يأتي ،  
إلا أن الذي ثبت في البخاري عنه خلاف هذا . خرج البخاري عن عبيد بن عمير قال قال  
عمر بن الخطاب يوما لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فم ترون هذه الآية نزلت « أَيْوَدُ  
أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فنضب عمر وقال :  
قولوا : نعم أولا نعم ! فقال ابن عباس : في قسمي منها شيء يا أمير المؤمنين ، قال : يأتني أني  
قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلا لعمل . قال عمر : أي عمل ؟ قال  
ابن عباس : لعمل رجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله من وجل له الشيطان فعمل

في المعاصي حتى أحرق عمله . في رواية : فإذا بقي عمره وأقرب أجله عظم ذلك بعمل من أعمال الشقاء ؛ فرضى ذلك عمر . وروى ابن أبي مليكة أن عمر تلا هذه الآية . وقال : هذا مثل ضرب للإنسان يعمل عملا صالحا حتى إذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون إليه عمل عمل السوء . قال ابن عطية : فهذا نظير عمل الآية على كل ما يدخل تحت ألفاظها ؛ ويحوز ذلك قال مجاهد وقادة والربيع وغيرهم . وخص التخييل والأعقاب بالذكر لشرفهما ونفيلهما على سائر الشجر . وقرأ الحسن « جَنَّتْ » بالجمع . ( تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) تقدم ذكره . ( لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ) يريد ليس شيء من الثمار إلا وهو فيها ثابت .

قوله تعالى : ( وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ ) عطف ماضيا على مستقبل وهو « تَكُونُ » . وقيل : « يَدُّهُ » قليل : التقدير وقد أصابه الكبر . وقيل إنه محمول على المعنى ؛ لأن المعنى أي ود أحدكم أن لو كانت له جنة . وقيل : الواو واو الحال ، وكذا في قوله تعالى « وَلَهُ » .

قوله تعالى : ( فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ) قال الحسن : « إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ » ريح فيها برد شديد . الزجاج : الإعصار في اللغة الريح الشديدة التي تهب من الأرض إلى السماء كالعمود ، وهي التي يقال لها : الزوبعة . قال الجوهري : الزوبعة رئيس من رؤساء الجن ؛ ومنه سُمِّيَ الإعصار زوبعة . ويقال : أم زوبعة ، وهي ريح تثير الغبار وترتفع إلى السماء كأنها عمود . وقيل : الإعصار ريح تثير صحابا إذا رعد وبرق . المهدوي : قيل لها إعصار لأنها تلتف كالثوب إذا عُصر . ابن عطية : وهذا ضعيف .

قلت : بل هو صحيح ؛ لأنه المشاهد المحسوس ، فإنه يصعد عمودا ملتفا . وقيل : إنما قيل للريح إعصار ؛ لأنه يصير السحاب ، والسحاب مُعْصِرَاتُ إِنَّمَا لِأَنَّهُا حَوَامِلُ فَهِيَ كَالْمَعْصَرِ مِنَ النِّسَاءِ . وإما لأنها تنعصر بالرياح . وحكى ابن سيده : أن المعصرات فسرهما قوم بالرياح لا بالسحاب . ابن زيد : الإعصار ريح عاصف وتسمو شديدة ؛ وكذلك قال السدي : الإعصار الريح والنار السُموم . ابن عباس : ريح فيها سموم شديدة . قال ابن عطية : ويكون

ذلك في شدة الحر ويكون في شدة البرد ، وكل ذلك من فيج جهنم وفيها ؛ كما تضمن قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنْ أَشَدَّ الْحَرُّ فَاغْرَدُوا مِنَ الصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فِيْجِ جَهَنَّمَ » و « إِنْ أَثَارَتْ أَشْكَّتْ إِلَى رَبِّهَا » الحديث . وروى عن ابن عباس وفيه ، أن هذا مثل ضربه الله تعالى للكافرين والمنافقين ، كهية رجل غرس بستانا فأكثر فيه من الثمر فأصابه اليكر وله ذرية ضعفاء — يريد صبيانا بنات وغلما — فكانت معبته ومعبشة ذريته من ذلك البستان ، فأرسل الله على بستانه ريحا فيها نار فأحرقته ، ولم يكن عنده قوة فيغرسه ثانية ، ولم يكن عند بنيه خير فيعودون على أبيهم . وكذلك الكافر والمنافق إذا ورد إلى الله تعالى يوم القيامة ليست له كثرة يبعث فيرد ثانية ، كما ليست عند هذا قوة فيغرس بستانه ثانية ، ولم يكن عند من اتفر إلى عند كبرسته وضعف ذريته غنى عنه .

( كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ) يريد كي ترجعوا إلى عظمتي وروبيتي . ولا تتغفروا من دوني أولياء . وقال ابن عباس أيضا : تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها وإقبال الآخرة وبقائها .

قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخِيذِهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٧﴾

فيه إحدى عشرة مسألة :

الأولى — قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا ) هذا خطاب لجميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم . واختلف العلماء في المعنى المراد بالاتفاق هنا ؛ فقال علي بن أبي طالب وعبيدة السلماني وابن سيرين : هي الزكاة المفروضة ، نهى الناس عن إنفاق الزدىء فيها بدل الجيد . قال ابن عطية : والظاهر من قول البراء بن عازب والحسن وقتادة أن الآية في التطوع ، ندبوا إلى

ألا يتطوعوا إلا بخيار جيد . والآية تم الوجهين ، لكن صاحب الزكاة تطلى بأنها طاهرة بما  
والأمر على الوجوب ، وبأنه تنهى عن الردى ، وذلك مخصوص بالفرض ، وأما التطوع فكما لم يرد أن  
يتطوع بالقليل فكذلك له أن يتطوع بنازل في القدر ، ودرهم خير من مرة . ثم كسب صاحب النذب  
بأن لفظة أَقْلُ صالح للنذب صلاحته للفرض ، والردى منهى عنه في النفل كما هو منهى عنه  
في الفرض ، والله أحق من أختر له . وروى البراء أن رجلا طلق قَتْلَ حَشَفٍ ، فراه رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فقال : " بثما طلق " فتركت الآية ، خرجته الترمذى وسبأى بكلمة .  
والأمر على هذا القول على النذب ، ندبوا إلى ألا يتطوعوا إلا بخير مختار . وجمهور المتأولين  
قالوا : معنى « مِنْ طَيِّبَاتٍ » من جيد ومختار « مَا كَسَبْتُمْ » . وقال ابن زيد : من حلال  
« مَا كَسَبْتُمْ » .

الثانية - الكسب يكون بتعب بدني وهى الإجارة وسبأى حكمها ، أو مفاولة  
في تجارة وهو البيع وسبأى بيانه . والميراث داخل في هذا ؛ لأن غير الوارث قد كسبه . قال  
سهل بن عبد الله : وسئل ابن المبارك عن الرجل يريد أن يكتسب وينوى باكتسابه أن  
يصل به الزحم وأن يجاهد ويعمل الخيرات ويدخل في آفات الكسب لهذا الشأن .  
قال : إن كان معه قوام من العيش بمقدار ما يكف نفسه عن الناس فترك هذا أفضل ؛  
لأنه إذا طلب حلالا وأففق في حلال سئل عنه وعن كسبه وعن إنفاقه ؛ وترك ذلك زهد  
فإن الزهد في ترك الحلال .

الثالثة - قال ابن خُوَيْرِمَتَداد : وهذه الآية جاز للوالد أن يأكل من كسب ولده ؛  
وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أولادكم من طيب أكسابكم فكلوا من أموال  
أولادكم حينئذ " .

الرابعة - قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ يعنى النبات والمعادن  
والركاز ، وهذه أبواب ثلاثة تضمنتها هذه الآية . أما النبات فروى الدارقطني عن عائشة  
رضي الله عنها قالت : جرت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم " ليس فيما دون خمسة

(١) قلت : الذي هو محذور النسخة ، التاريخ سنة . والحشف ، الترفيف قبل التصح يكون يدنيا وليس  
له لم . (٢) في جوب . يكتفى .

«وَسُقِ زَكَاةٌ» . وَالْوَسْقُ سِتُونَ صَاعًا ، فَذَلِكَ ثَلَاثُمِائَةِ صَاعٍ مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالْقَمْحِ وَالزَّيْتِ .  
وَلَيْسَ قِيمًا أَنْتَبَتْ الْأَرْضُ مِنَ الْخَضَرِ زَكَاةً . وَقَدْ أَحْتَجَّ قَوْمٌ لِأَبِي حَنِيفَةَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :  
«وَمَا أُتْرَجَتْ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» ، وَإِنْ ذَلِكَ مَعْنَى فِي قَلِيلٍ مَا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ وَكَثِيرُهُ وَفِي سَائِرِ  
الْأَصْنَافِ ، وَرَأَوْا ظَاهِرَ الْأَمْرِ الْوَجُوبِ . وَسَيَأْتِي بَيَانُ هَذَا فِي «الْإِنْعَامِ» مَسْنُوقٌ . وَأَمَّا الْمَعْدِنُ  
فَرَوَى الْأُئِمَّةُ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : «الْعَجَلَةُ جَرَحًا جُبَّارٌ  
وَالْبَثَرُ جُبَّارٌ وَالْمَعْدِنُ جُبَّارٌ فِي الرِّكَازِ الْخَمْسِ» . قَالَ عَلَمَاؤُنَا : لَمَّا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
«وَفِي الرِّكَازِ الْخَمْسِ» دَلَّ عَلَى أَنَّ الْحَكَمَ فِي الْمَعْدَنِ غَيْرَ الْحَكَمِ فِي الرِّكَازِ ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
قَدْ فَصَلَ بَيْنَ الْمَعْدَنِ وَالرِّكَازِ بِالْوَاوِ الْفَاصِلَةِ ، وَلَوْ كَانَ الْحَكَمُ فِيهِمَا سَوَاءً لَقَالَ وَالْمَعْدِنُ جُبَّارٌ  
وَفِيهِ الْخَمْسُ ، فَلَمَّا قَالَ «وَفِي الرِّكَازِ الْخَمْسِ» عَلَّمَ أَنَّ حَكَمَ الرِّكَازِ غَيْرُ حَكَمِ الْمَعْدَنِ فِيمَا يُؤْخِذُ عَنْهُ ،  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَالرِّكَازُ أَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ مَا أُرْتِكَزَ بِهِ الْأَرْضُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَوَاهِرِ ، وَهُوَ عِنْدَ سَائِرِ  
الْفُقَهَاءِ كَذَلِكَ ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي النَّدْرَةِ الَّتِي تَوْجَدُ فِي الْمَعْدَنِ مَرَكُزَةٌ بِالْأَرْضِ لِأَنَّهَا بَعْلٌ  
وَلَا يَسْتَعْنِي وَلَا تَنْصَبُ ، فَيُحِيطُ بِهَا الْخَمْسُ ، لِأَنَّهَا رِكَازٌ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّ النَّدْرَةَ فِي الْمَعْدَنِ حَكْمُهَا حَكَمُ  
مَا يَتَكَلَّفُ فِيهِ الْعَمَلُ مِمَّا يُسْتَخْرَجُ مِنَ الْمَعْدَنِ فِي الرِّكَازِ ، وَالْأَوَّلُ تَحْصِيلُ مَذْهَبِهِ وَطَبَقَتْهُ  
بِجَهْرِ الْفُقَهَاءِ . وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ  
أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الرِّكَازِ قَالَ : «الذَّهَبُ الَّذِي  
خَلَقَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» . عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ هَذَا مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ ،  
ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ . وَقَدْ رُوِيَ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَلَا يَصِحُّ ، ذَكَرَهُ  
الِدَّارَقُطْنِيُّ . وَدَفَنَ الْجَاهِلِيَّةُ لِأَمْوَالِهِمْ عِنْدَ جَمَاعَةِ الْعُلَمَاءِ رِكَازٌ أَيْضًا لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ إِذَا كَانَ

(١) رَاجِعٌ ٧٧ ص ٤٧ (٢) السَّيَاءُ - الْبَيْتَةُ - وَجِبَارٌ - هَدْرٌ - وَالْمَعْدِنُ : الْمَكَانُ مِنَ الْأَرْضِ يُخْرَجُ مِنْهُ  
شَيْءٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْأَجْسَادِ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَدِيدِ وَالنَّجَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالْكِبْرِيتِ وَغَيْرِهَا ، مِنْ مَعْدِنٍ بِالْمَكَانِ  
إِذَا أَنْشَأَ بِهِ . وَيَعْنِي الْحَدِيثُ أَنَّ تَفَلَّتَ الْبَيْتَةَ تَنْصِبُ مِنْ أَقْلَانِهَا إِنْسَانًا أَوْ شَيْئًا يَخْرُجُ مِنْهَا هَدْرٌ ، وَكَذَلِكَ الْبَيْتُ الْعَادِيَّةُ  
يَسْقُطُ فِيهَا إِنْسَانٌ فَيَهْلِكُ هَدْرٌ ، وَالْمَعْدِنُ إِذَا أَنْشَأَ عَلَيْهِ مِنْ يَحْفَرُهُ فَتَقَعُ فِيهِ هَدْرٌ . رَاجِعٌ سَائِرُ الْمَقَامِ فِي رِكَابِ السَّيَةِ .  
(٣) النَّدْرَةُ (يَنْتَعِ فَسْكَوْنٌ) : الْقِطْعَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ تَوْجَدُ فِي الْمَعْدَنِ . (٤) فِي ٥ : دَفَنٌ .

دفعه قبل الإسلام من الأموال العادية ، وأما ما كان من ضرب الإسلام فحكمه عندهم  
حكم القنطة .

الخامسة — واختلفوا في حكم الركا ز إذا وجد ؛ فقال مالك : ما وجد من دفن الجاهلية  
في أرض العرب أو في قبافي الأرض التي ملكها المسلمون بغير حرب فهو لواجدهم وفيه الخمس ،  
وأما ما كان في أرض الإسلام فهو كالقنطة . قال : وما وجد من ذلك في أرض العتوة  
فهو للبيعة الذين افتتحوها دون واجده ، وما وجد من ذلك في أرض الصلح فإنه لأهل تلك  
البلاد دون الناس ، ولا شيء للواجد فيه إلا أن يكون من أهل الدار فهو له دونهم . وقيل :  
بل هو لجملة أهل الصلح . قال إسماعيل : وإنا حكم للركا ز بحكم الفئمة لأنه مال كافر وجده  
مسلم فأنزل منزلة من قاتله وأخذ ماله ؛ فكان له أربعة أخماسه . وقال ابن القاسم : كان مالك  
يقول في العروض والجواهر والحديد والرصاص ونحوه يوجد ركا زاً : إن فيه الخمس ثم رجح  
فقال : لا أرى فيه شيئاً ، ثم آخر ما فارقناه أن قال : فيه الخمس . وهو الصحيح لعموم الحديث  
وعليه جمهور الفقهاء . وقال أبو حنيفة ومحمد في الركا ز يوجد في الدار : إنه لصاحب الدار  
دون الواجد وفيه الخمس . وخالفه أبو يوسف فقال : إنه للواجد دون صاحب الدار وهو  
قول الثوري . وإن وجد في القنطرة فهو للواجد في قولهم جميعاً وفيه الخمس . ولا فرق عندهم بين  
أرض الصلح وأرض العتوة ، وسواء عندهم أرض العرب وغيرها ، وجائز عندهم لواجده أن  
يحتبس الخمس لنفسه إذا كان محتاجاً وله أن يعطيه للمساكين . ومن أهل المدينة وأصحاب  
مالك من لا يفرق بين شيء من ذلك وقالوا : سواء وجد الركا ز في أرض العتوة أو في أرض  
الصلح أو أرض العرب أو أرض الحرب إذا لم يكن ملكاً لأحد ولم يذمه أحد فهو لواجده  
وفيه الخمس على عموم ظاهر الحديث ، وهو قول الليث وعبد الله بن نافع والشافعي وأكثر  
أهل العلم .

السادسة — وأما ما يوجد من المعادن ويخرج منها فاختلف فيه ؛ فقال مالك وأصحابه :  
لا شيء فيها يخرج من المعادن من ذهب أو فضة حتى يكون عشرين مثقالاً فيها أو خمس

أوراق فضة ، فإذا بلغت هذا المقدار وجبت فيهما الزكاة ، وما زاد فبحساب ذلك ما دام في المعدن تيلٌ ، فإن انقطع ثم جاء بعد ذلك نيل آخر فإنه يتبدأ فيه الزكاة مكانه . والركاز عندهم بمنزلة الزرع تؤخذ منه الزكاة في حينه ولا يُنْتَظَر به حولا . قال سُحُون في رجل له معادن : إنه لا يضم ما في واحد منها إلى غيرها ولا يزكى إلا عن مائتي درهم أو عشرين دينارا في كل واحد . وقال محمد بن مسلمة : يضم بعضها إلى بعض ويترك الجميع كالزرع . وقال أبو حنيفة وأصحابه : للمعدن كالركاز ، فما وجد في المعدن من ذهب أو فضة بعد إخراج الخمس اعتبر كل واحد منهما ، فمن حصل بيده ما يجب فيه الزكاة تمام الحول إن أتى عليه حول وهو صاحب عنه ، هذا إذا لم يكن عنده ذهب أو فضة وجبت فيه الزكاة . فإن كان عنده من ذلك ما يجب فيه الزكاة ضمه إلى ذلك وزكاه . وكذلك عندهم كل فائدة تضم في الحول إلى النصاب من جنسها وتركى لحول الأصل ، وهو قول الثوري . وذكر المُرْزِي عن الشافعي قال : وأما الذي أنا واقف فيه فما يخرج من المعادن . قال المُرْزِي : الأولى به على أصله أن يكون ما يخرج من المعدن فائدة يزكى بحوله بعد إخراجها . وقال الليث بن سعد : ما يخرج من المعادن من الذهب والفضة فهو بمنزلة الفائدة يستأنف به حولا ، وهو قول الشافعي . فإما حصله المُرْزِي من مذهبه ، وقال به داود وأصحابه إذا حال عليها الحول عند مالك صحيح الملك ، لقوله صلى الله عليه وسلم : " من استفاد مالا فلا زكاة عليه حتى يحول عليه الحول " أخرجه الترمذي والدارقطني . واحتجوا أيضا بما رواه عبد الرحمن بن أنتم عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى قوما من المؤلفة قلوبهم ذهبا في تربتها ، بعثها على رضى الله عنه من اليمن . قال الشافعي : والمؤلفة قلوبهم حقهم في الزكاة ، فتبين بذلك أن المعادن سُنَّتْها سنة الزكاة . وحجة مالك حديث عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحارث المعادن القليلة وهي من ناحية الفرج ، فلك المعادن لا يؤخذ منها إلى اليوم إلا الزكاة . وهذا

(١) من تصغير ذهب ، وأدخل الماء فيها لأن الذهب يوثق ، والثوب الثلاث إذا صغر الحق في تصغير الماء نحو شمية . وقيل : هو تصغير على نية القطة منها فصرها على قطها . (٢) القليلة (بالسر يك) ، هي منسوبة إلى قبل موضع من ساحل البحر على خمسة أميال من المدينة . والفرع (بضم فككون) : قرية من نواحي الريد من بلاد السبأ بينا وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة ، وقيل أربع ليال ، بها منبر ونخل ومياه كثيرة .



حديث مقطوع الإسناد لا يحتاج بمثله أهل الحديث، ولكنه عمل يعمل به عندنا في الحديث .  
ورواه الترمذي عن ربيعة عن الحارث بن بلال المزني عن أبيه . ذكره البراءة ورواه  
كثير بن عبد الله بن عمرو بن هوف عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أقطع  
بلال بن الحارث الماعان القليلة جالسها وغوريها . <sup>(١)</sup> وحيث يصلح لزروع من قدس ولم يقطعه  
حق مسلم ؛ ذكره البزار أيضا ، وكثير يجمع على ضعفه . هذا حكم ما أخرجه الأرض ،  
وسأني في سورة « النمل » حكم ما أخرجه البحر إذ هو قسيم الأرض . <sup>(٢)</sup> وبأني في « الأنبياء »  
معنى قوله عليه السلام : « العجماء بحرهما جبار » كل في موضعه إن شاء الله تعالى .

السابعة - قوله تعالى : ( وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْبَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ) <sup>(٣)</sup> يتبعوا معناه تصدوا ،  
وسأني الشواهد من أشعار العرب في أن التبع القصد في « النساء » إن شاء الله تعالى .  
وذلت الآية على أن المكاسب فيها طيب وخيب . وروى النسائي عن أبي أمامة بن سهل  
ابن حنيف في الآية التي قال الله تعالى فيها : « وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْبَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ » قال :  
هو الجورور ولون حقيق ؛ فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤخذ في الصدقة .  
وروى الدارقطني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال : أمر رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بصدقة بغاء رجل من هذا السحل بكائن <sup>(٤)</sup> - قال سفيان : يعني الشيب -  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ جَاءَ بِهَذَا ؟ » وكان لا يحيى أحد بشيء إلا أنسب  
إلى الذي جاء به . فنزلت : « وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْبَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ » . قال : ونهى النبي صلى الله  
عليه وسلم عن الجورور ولون الحقيق أن يؤخذ في الصدقة - قال الزهري : لوين من

- (١) المجلس (فتح فسكون) : كل مرتفع من الأرض . والقور : ما انحفض منها .
- (٢) القدس (بضم القاف وسكون الهمزة) : جبل معروف . وقيل : هو الموضع المرتفع الذي يصلح لزراعة .
- (٣) راجع ج ١٠ ص ٨٥ (٤) راجع ج ١ ص ٣١٥ (٥) راجع ج ٥ ص ٢٣١
- (٦) الجورور (بضم الجيم وسكون السين وواو مكسورة) : ضرب ردي من التريجل ولها حظا لا غير فيه .
- وحقيق (بضم الحاء المهملة وفتح الباء) : فرع ردي من الترمشوب إلى ابن حقيق وهو اسم رجل .
- (٧) السحل (بضم السين وفتح الحاء مشددة) : الرطب الذي لم يتم إدراكه وقوته .

ثم للمدينة فسوا حرجه الترمذي من حديث البراء وعصمة، وسيأتي . وحكى الطبري والنحاس أن في قراءة مبداه « وَلَا تَأْمَمُوا » وهما لثان . وقرأ مسلم بن جندب « وَلَا تُجْمَعُوا » يضم التاء وتسار الميم . وقرأ ابن كثير « يَجْمَعُوا » بتشديد التاء . وفي اللفظة لثان ، منها « أَمَتُ الشَّيْءِ » غفلة الميم الأولى و « أَمَتُهُ » بشلها ، و « يَمَتُهُ » و « يَمَتُهُ » . وحكى أبو عمرو أن ابن مسعود قرأ « وَلَا تَوْمَمُوا » بهزمة هاء التاء المضمومة .

الثامنة - قوله تعالى : ( مِمَّنْ تُنْفِقُونَ ) قال الجرجاني في كتاب « نظم القرآن » : قال فريق من الناس : إن الكلام تم في قوله تعالى « انطَيْبَتْ » ثم ابتدأ خبراً آخر في وصف الخبيث فقال : « مِمَّنْ تُنْفِقُونَ » وأتم لا تأخذونه إلا إذا أغرضتم أي تساهلتم ، كان هذا المعنى حجاب للناس وتقرع . والضمير في « منه » عائد على الخبيث وهو الدون والردى . قال الجرجاني : وقال فريق آخر : الكلام متصل إلى قوله « مِمَّنْ » ؛ فالضمير في « منه » عائد على « مَا كُنْتُمْ » ويحذف « تُنْفِقُونَ » كأنه في موضع نصب على الحال ؛ وهو كقولك : إنا أخرج أجهاد في سبيل الله .

التاسعة - قوله تعالى : ( وَلَسْتُمْ بِأَخَذِيهِ إِلَّا أَنْ تُقِيمُوا فِيهِ ) أي لستم بأخذه في ديونكم وحقوقكم من الناس إلا أن تساهلوا في ذلك وتركوا من حقوقكم ، ويكرهونه ولا ترضونه . أي فلا تفعلوا مع الله ما لا ترضونه لأنفسكم ؛ قال معناه البراء بن عازب وابن عباس والضحاك . وقال الحسن : معنى الآية : ولستم بأخذه ولو وجدتموه في السوق يساع إلا أن يهضم لكم من ثمنه . وروى نحوه عن علي رضي الله عنه . قال ابن عطية : وهذا القولان يشبهان كون الآية في الزكاة الواجبة . قال ابن العربي : لو كانت في الفرض لما قال « وَلَسْتُمْ بِأَخَذِيهِ » لأن الردى والمعيب لا يجوز أخذه في الفرض بحال ، لا مع تقدير الإغماض ولا مع عدمه ، وإنما يؤخذ مع عدم إغماض في الفضل . وقال البراء بن عازب أيضاً معناه : « وَلَسْتُمْ بِأَخَذِيهِ » لو أهدى لكم « إِلَّا أَنْ تُقِيمُوا فِيهِ » أي تسحوا بين المهدي فتقبل منه ما لا حاجة لك به ولا قدر له في نفسه . قال ابن عطية : وهذا يشبه كون الآية في التطوع . وقال ابن زيد : ولستم بأخذه الحرام إلا أن تقيموا في مكروهه .

العاشرة - قوله تعالى : (إِلَّا أَنْ تُنَمِّضُوا فِيهِ) كذا قراءة الجمهور ، من اغمض الرجل في أمر كذا إذا تساهل فيه ورضى بعمى حقه وتجاوز ؛ ومن ذلك قول الطير تاح لم يفتنا بالوتر قسوم<sup>١</sup> وللد<sup>٢</sup> . ل أناس يرضون بالإغماض وقد يحتمل أن يكون مترعا إما من تنميض العين ؛ لأن الذي يريد الصبر على مكروه يغمض عينه - قال :

إِلَى كَمْ وَكَمْ أَشْيَاءُ مِنْكَ تُرِيْنِي • أَتَغْمِضُ عَنْهَا لَسْتُ عَنْهَا بِذِي عَمَى

وهذا كالأغمضاء عند المكروه . وقد ذكر القاس هذا المعنى في هذه الآية وأشار إليه مكى . وإما من قول العرب : اغمض الرجل إذا أتى غامضا من الأمر ؛ كما تقول : اغمض أى أتى عثمان ، وأغرق أى أتى العراق ، وانجد وأغور أى أتى نجد والنور الذى هو تيمامة ، أى فهو يطلب التأويل على أخذه . وقرأ الزهرى بفتح التاء وكسر الميم مخففا ، وعنه أيضا « تُنَمِّضُوا » بضم التاء وفتح النين وكسر الميم وشذها . فالأولى على معنى تهضموا سوما من البائع منكم فيحطكم . والثانية ، وهى قراءة قتادة فيما ذكر النحاس ، أى تأخذوا بنقصان . وقال أبو عمرو الداني : معنى قراءة الزهرى<sup>(١)</sup> حتى تأخذوا بنقصان . وحكى مكى من الحسن « إِلَّا أَنْ تُنَمِّضُوا » مشددة الميم مفتوحة . وقرأ قتادة أيضا « تُنَمِّضُوا » بضم التاء وسكون النين وفتح الميم مخففا . قال أبو عمرو الداني : معناه إلا أن يغمض لكم ؛ وحكاة النحاس عن قتادة نفسه . وقال ابن جني : معناها توجئوا قد غمضتم في الأمر بتأولكم أو بتساهلكم وجرتم على غير السابق إلى التماس . وهذا كما تقول : أحدث الرجل وجدته محمودا ، إلى غير ذلك من الأمثلة . قال ابن عطية : وقراءة الجمهور تخرج على التجاوز وعلى تنميض العين ؛ لأن اغمض بمنزلة غمض . وعلى أنها بمعنى حتى تأتوا غامضا من التأويل والنظر في أخذ ذلك ؛ إما لكونه حراما على قول ابن زيد ، وإما لكونه مهيئى أو مأخوفا في دين على قول غيره .

وقال المهدوي: ومن قرأ «تَعْمُضُوا» فإلني تَعْمُضُونَ آمين بصائرهم عن أخذه. قال الجوهرى: وَتَعْمُضْتُ من قَلَانٍ إِذَا تَسَاهَلْتُ عَلَيْهِ في بيع أو شراء وَتَعْمُضْتُ ، وقال تعالى : « وَلَسْتُمْ بِأَخَذِهِ إِلَّا أَنْ تُعْمِضُوا فِيهِ » . يقال : أَعْمِضْ لِي فِيمَا يَعْنِي ، كأنك تريد الزيادة منه لردائه والخط من ثمنه . و « أَنْ » في موضع نصب ، والتقدير إِلَّا بَأَن .

الحادية عشرة - قوله تعالى : (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) نبه سبحانه وتعالى على صفة التنى ، أى لا حاجة به إلى صدقاتكم ، فن تقرب وطلب ثوبةً فيلعل ذلك بما له قَدْرٌ وبِأَلٍّ ، فلما يقدم لنفسه . و « حَمِيدٌ » معناه مجود في كل حال . وقد أتينا على معاني هذين الاسمين في « الكتاب الأسنى » والحمد لله . قال الزجاج في قوله « وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ » : أى لم يأمركم أَنْ تَصَدَّقُوا من قَوْز ولكنه بَلَا أخباركم فهو حميد على ذلك على جميع نعمه .

قوله تعالى : الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾  
فيه ثلاث مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( الشَّيْطَانُ ) تقدم معنى الشيطان واشتقاقه فلا معنى لإعادته . و « يَعِدُكُمْ » معناه يخوفكم « الفقر » أى بالفقر لئلا تنفقوا . فهذه الآية متصلة بما قبل ، وأن الشيطان له مدخل في التبيط للإنسان من الاتفاق في سبيل الله ، وهو مع ذلك يأمر بالفحشاء وهي المعاصي والاتفاق فيها . وقيل : أى بَأَن لا تصدقوا فتعصوا وتتقاطعوا . وقرئ « الفقر » بضم الفاء وهي لغة . قال الجوهرى : وَالْفَقْرُ لُغَةٌ فِي الْفَقْرِ ؛ مِثْلُ الضَّعْفِ وَالضَّعْفِ .

الثانية - قوله تعالى : ( وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ) الوعد في كلام العرب إذا أطلق فهو في الخير ، وإذا قيد بالموعود ما هو فقد يقتر بالخير والشر كالإشارة . فهذه الآية مما يفيد فيها الوعد بالمعنيين جميعا . قال ابن عباس : في هذه الآية اثنتان من الله تعالى واثنتان من الشيطان . وروى الترميذى عن عبدة بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بَابِنِ آدَمَ وَلِلَّامَةِ لَمَّةٌ فَامَّا لَمَةُ الشَّيْطَانِ فَلِإِعَادُكَ بِالْثَرِّ وَتَكْذِيبُكَ بِالْحَقِّ وَأَمَّا لَمَةُ الْمَلَكِ فَلِإِعَادُكَ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقُكَ بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ اللَّهِ وَمَنْ وَجَدَ الْآخَرَ فَلْيَتَوَكَّلْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ — ثُمَّ قَرَأَ — الشَّيْطَانُ يَكِيدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ » .  
قال : هذا حديث حسن صحيح <sup>(٢١)</sup> . ويجوز في غير القرآن « وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ » بِحَذْفِ اللَّيَاءِ ؛ وَأَنْشُدَ سَيُوبَةَ

أَمْرُكَ الْخَيْرَ فَاغْلُظْ مَا أَمَرَتْ بِهِ • فَقَدْ تَرَكْتَ ذَا مَالٍ وَقَدْ تَنَسَّبَ

والمغفرة هي الستر على عباده في الدنيا والآخرة . والفضل هو الرزق في الدنيا والآخرة والنعم في الآخرة ؛ وبكل قد وعد الله تعالى .

الثالثة — ذكر النقاش أن بعض الناس تأنس بهذه الآية في أن الفقر أفضل من الغنى ؛ لأن الشيطان إنما يُبعد العبد من الخير ، وهو يتخوفه الفقر يُبعد منه . قال ابن عطية ؛ وليس في الآية حجة قاطعة بل المعارضة بها قوية . وروى أن في التوراة « عَسَدِي أَنْفِقُ مِنْ رِزْقِي أَبْسُطْ عَلَيْكَ فَضْلِي فَإِنْ يَدِي مَبْسُوطَةٌ عَلَى كُلِّ يَدٍ مَبْسُوطَةٌ » . وفي القرآن مصداقه وهو قوله : « وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ » <sup>(٢٢)</sup> . ذكره ابن عباس . ( وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ) تقدم معناه . والمراد هنا أنه سبحانه وتعالى يُعطي من سعة ويعلم حيث يضع ذلك ، ويعلم الغيب والشهادة . وهما إيمان من أسمائه ذكرناها في جملة الأسماء في « الكتاب الأسنى » والحمد لله .

قوله تعالى : يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ <sup>(٢٣)</sup>

(١) الله (فتح اللام) : الحمة والخطرة تقع في القلب . أراد إمام الملك أو الشيطان به والتقريب سه ؛ فإكان من خطرات الخير فهو من الملك ، وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان . (من نهاية ابن الأثير) .

(٢) كذا في الأصول . عراقي في سق الترمذي : « حسن غريب » .

(٣) راجع به ١٤ ص ٣٠٧ (٤) راجع المسألة الخامسة به ٣ ص ٤٤ .

قوله تعالى : **(يُؤْتِ الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ)** أى يعطيها لمن يشاء من عباده . واختلف العلماء في الحكمة هنا ؛ فقال للسدى : هي النبوة . ابن عباس : هي المعرفة بالقرآن ففيه وسخه وحكمه ومتشابهه وغريبه ومقدمه ومؤخره . وقال قتادة ومجاهد : الحكمة هي الفقه في القرآن . وقال مجاهد : الإصابة في القول والفعل . وقال ابن زيد : الحكمة العقل في الدين . وقال مالك بن أنس : الحكمة المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع له . وروى عنه ابن القاسم أنه قال : الحكمة التفكير في أمر الله والاتباع له . وقال أيضا : الحكمة طاعة الله والفقه في الدين والعمل به . وقال الربيع بن أنس : الحكمة الخشية . وقال إبراهيم النخعي : الحكمة الفهم في القرآن ؛ وقاله زيد بن أسلم . وقال الحسن : الحكمة الورع .

قلت : وهذه الأقوال كلها ماعدا قول السدى والربيع والحسن قريب بعضها من بعض ؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإنشاق في قول أو فعل ؛ فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس ؛ فكتاب الله حكمة ، وسنة نبيه حكمة ، وكل ما ذكر من التفضيل فهو حكمة . وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه ؛ فبقل للعلم حكمة ؛ لأنه يمتنع به ، وبه يعلم الإمتناع من السفه وهو كل فعل قبيح ، وكذا القرآن والعقل والفهم . وفي البخاري : "من يريد الله به خيرا يلقه في الدين" وقال هنا : **«وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا»** وكرر ذكر الحكمة ولم يضمها اعتناء بها ، وتنبها على شرفها وفضلها حسب ما تقدم بيانه عند قوله تعالى : **«قَبَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا»** . وذكر القاري أبو محمد في مسنده : حدثنا مروان بن محمد حدثنا رعدة النسائي قال أخبرنا ثابت بن عجلان الأنصاري قال : كان يقال : إن الله يريد العذاب بأهل الأرض فإذا سمع تعليم المعلم الصبيان الحكمة صرف ذلك عنهم . قال مروان : يعني بالحكمة القرآن .

قوله تعالى : **(وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)** يقال : إن من أعطى الحكمة والقرآن فقد أعطى أفضل ما أعطى من جمع علم كتب الأولين

من المصحف وغيرها؛ لأنه قال لأولئك : « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا »<sup>(١)</sup> . وسمى هذا خيرا كثيرا ؛ لأن هذا هو جوامع الكلم . وقال بعض الحكماء : من أعطى العلم والقرآن يبنى أن يعرف نفسه ، ولا يتواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم ؛ فإنما أعطى الفضل ما أعطى أصحاب الدنيا ؛ لأن الله تعالى سَمَّى الدنيا متاعا قليلا فقال : « قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ »<sup>(٢)</sup> . وسمى العلم والقرآن « خيرا كثيرا » . وقرأ الجمهور « وَمَنْ يُؤْتَ » على بناء الفعل للمفعول . وقرأ الزمخري وبعقوب « وَمَنْ يُوْتِ » بكسر التاء على معنى ومن يؤت الله الحكمة ، فالفاعل إله الله عز وجل . و « مَنْ » مفعول أول مقدم ، والحكمة مفعول ثان . والألباب : العقول ، واحدا لها . وقد تقدم<sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى : « وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ »<sup>(٤)</sup>  
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ<sup>(٥)</sup>

شرط وجوبه ، وكانت النذور من سيرة العرب تُكثر منها ؛ فذكر الله تعالى النومين ؛ ما يفعله المرء متبرعا ، وما يفعله بسد لإزماءه لنفسه . وفي الآية معنى الوعد والوعيد ، أى من كان خالص التبة فهو مُثاب ، ومن أخفق رياء أو لمعنى آخر مما يكسبه المني والإذى ونحو ذلك فهو ظالم ، يذهب فعله باطلا ولا يجد له ناصرا فيه . ومعنى « يَعْلَمُ » يحصيه ؛ قاله مجاهد . ووحّد الضمير وقد ذكر شيئين ، قال النحاس : التقدير ( وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ ) فإن الله يعلمها ، ( أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ) ثم حذف . ويجوز أن يكون التقدير : وما أنفقتم فإن الله يعلمه وتعود الهاء على « ما » كما أنشد سيوبه [ لأمرئ القيس ]<sup>(٦)</sup> :

فَتَوَجَّعَ فَاِلْمَقْرَةَ لَمْ يَبْفَ رَسْمُهَا • لِمَا تَسَجَّتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ<sup>(٧)</sup>  
ويكون « أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ » معطوفا عليه . قال ابن عطية : ووحّد الضمير في « يعلمه » . وقد ذكر شيئين من حيث أراد ما ذكر أو نصّ .

(١) راجع ١٠٧ ص ٢٢٢ (٢) راجع ٢٨١ ص ٢٨١ (٣) راجع المسألة الواحدة ص ٢٧ ص ١٢٢

(٤) الزيادة في ب . (٥) وتوضيح والمقراة : موشان ، وما حلف على « حرم » في البيت قبله .

قلت : وهذا حسن : فإن الضمير قد يراد به جميع المذكور وإن كثّر . والنثر حقيقة العبادة عنه لأن تقول : هو ما أوجبه المكلف على نفسه من العبادات مما لو لم يوجبه لم يلزمه ؛ تقول : نذر الرجل كذا إذا التزم فعله ، يندر ( بضم الذال ) وينذر ( بكسرهما ) . وله أحكام يأتي بينها في غير هذا الوضع إن شاء الله تعالى .

قوله تعالى : **إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** (٢٧١)

ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية في صدقة التطوع ؛ لأن الإخفاء فيها أفضل من الإظهار ، وكذلك سائر العبادات الإخفاء أفضل في تطوعها لاستتاء الرياء عنها ، وليس كذلك الواجبات . قال الحسن : إظهار الزكاة أحسن ، وإخفاء التطوع أفضل ؛ لأنه أدل على أنه يراد الله عز وجل به وحده . قال ابن عباس : جعل الله صدقة السر في التطوع تفضّل علانيتها يقال بسبعين ضعفا ، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرّها يقال بخمسة وعشرين ضعفا . قال : وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها .

قلت : يثل هذا لا يقال من جهة الرأي وإنما هو توقيف ؛ وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة " (٢) وذلك أن الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل عرضة لذلك . وروى النسائي عن عتبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الذي يجهر بالقرآن كالذي يجهر بالصدقة والذي يُسرّ بالقرآن كالذي يُسرّ بالصدقة " . وفي الحديث : " صدقة السرّ تطفي غضب الرب " .

قال ابن العربي : « وليس في تفضيل صدقة العلانية على السر ، ولا تفضيل صدقة السر على العلانية حديث صحيح ولكنه الإجماع الثابت ؛ فأما صدقة النفل فالقرآن ورد مصرّحا

(١) راجع - ١٩ ص ١٢٥ (٢) عبارة مسلم كما في صحيحه « ... فإن خبر صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة » .



بأنها في السر أفضل منها في الجهر؛ يَدَّأْت علماءنا قالوا : إن هذا على الغالب محرجه ،  
 والتحقيق فيه أن الحال [ في الصدقة ] تختلف بحال الْمُعْطَى [ ١١ ] والمُعْطَى لِأَهْلِهَا والناس  
 الشاهدين [ ١٢ ] . أما المعطى فله فيها فائدة إظهار السَّنة وتولب القدوة .

قلت : هذا لمن قَوِيَتْ حاله وحسنت نيَّته وإِمن على نفسه الرياء ، وأما من ضُفِفَ عن  
 هذه المرتبة فالسر له أفضل .

وأما الْمُعْطَى لِأَهْلِهَا فإن السر له أَسْلَم من احتقار الناس له ، أو نسبته إلى أنه أخضع  
 الغنى عنها وترك التعفف ، وأما حال الناس فالسر عنهم أفضل من العلانية لهم ، من جهة أنهم  
 ربما طعنوا على المعطى لها بالرياء وعلى الآخذ لها بالاكستفاء ، ولم فيها تحريك القلوب  
 إلى الصدقة ؛ لكن هذا اليوم قليل .

وقال يزيد بن أبي حبيب : إنما نزلت هذه الآية في الصدقة على اليهود والنصارى ،  
 فكانت بأمر يَقْسَم الزكاة في السر . قال ابن عطية : وهذا مردود ، لا سيما عند السلف  
 الصالح ؛ فقد قال الطبري : أجمع الناس على أن إظهار الواجب أفضل .

قلت : ذكر الِيكَا الطبري أن في هذه الآية دلالة على قول إخفاء الصدقات مطلق  
 أولى ، وأنها حق الفقير وأنه يجوز لرب المال تفريقها بنفسه ، على ما هو أحد قولي الشافعي ،  
 وعلى القول الآخر ذكروا أن المراد بالصدقات ما هنا التطوع دون القرض الذي إظهاره أولى  
 لكلا يلحقه تهمه ؛ ولأجل ذلك قيل : صلاة التفل فرَادَى أفضل ، والجماعة في القرض أبعد عن  
 التهمة . وقال المَهْدَوِيُّ : المراد بالآية فرض الزكاة وما تطوع به ، فكان الإخفاء أفضل  
 في مدة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ساءت ظنون الناس بعد ذلك ، فاستحسن العلماء <sup>(١)</sup> إظهار  
 الفرائض لكلا يُظَنُّ بأحد المنع . قال ابن عطية : وهذا القول مخالف للآثار ، ويشبه في زماننا  
 أن يحسن التستر بصدقة القرض ، فقد كثر المساع لها وصار إنراجها عُرضة الرياء . وقال  
 ابن خُوَيْرَمَتَاد : وقد يجوز أن يراد بالآية الواجبات من الزكاة والتطوع ؛ لأنه ذكر الإخفاء

(١) الزيادة عن ابن العربي . (٢) في ب : الناس .

ومدحه والإظهار ومدحه ، فيجوز أن يتوجه إليهما جميعا ، وقال النقاش : إن هذه الآية  
لشعرها قوله تعالى : « الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْقِلِّ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً » الآية .

قوله تعالى : ( فَيُعْطَا هِيَ ) نساء على إبداء الصدقة ، ثم حكم على أن الإخفاء خير من  
ذلك . ولذلك قال بعض الحكماء : إذا اصطنعت المعروف فأستره ، وإذا اصطنع إليك  
فأنشره . قال دَعْبِلُ الْخَزَاعِي :

إذا انتقموا أعلنوا أمرهم • وإن أنعموا أتمموا باكتنام

وقال سهل بن هارون :

خُلْ إذا جئتَه يوما لتسأله • أعطاك ما ملكتَ كفاه واعتذرا  
يُخْفِي صَنَائِعَهُ وَاللهُ يُظْهِرُهَا • إن الجليل إذا أخفِيته ظهرا

وقال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال :  
تجليله وتصغيره وسره ، فإذا أجملته جنته ، وإذا صغره عظمت ، وإذا سترته أتممته . وقال  
بعض الشعراء فأحسن :

زاد معروفك عندي عظما • أنه عندك مستورٌ حقيق  
تَنَسَّاهُ كَأَن لَّمْ تَأْنِهِ • وهو عند الناس مشهورٌ خطير

واختلف الفراء في قوله « فَيُعْطَا هِيَ » فقرأ أبو عمرو ونافع في رواية ورش وعاصم  
في رواية حفص وابن كثير « فَيُعْطَا هِيَ » بكسر النون والعين . وقرأ أبو عمرو أيضا ونافع  
في غير رواية ورش وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل « فَيُعْطَا » بكسر النون وسكون العين .  
وقرأ الأعمش وابن عامر وحزمة والكسائي « فَيُعْطَا » بفتح النون وكسر العين ، وكلهم سكن  
الميم . ويجوز في غير القرآن فَيُعْطَا مَا هِيَ . قال النحاس : ولكنه في السواد متصل فزعم  
الإدغام . وحكى النحويون في « نِيم » أربع لغات : نِيم الرجل زيدٌ ، هذا الأصل . ونِيم  
الرجل ، بكسر النون لكسر العين . ونِيم الرجل ، بفتح النون وسكون العين ، والأصل نِيم  
خذفت الكسرة لأنها ثقيلة . ونِيم الرجل ، وهذا أفصح اللغات ، والأصل فيها نِيم . وهى تقع  
في كل مدح ، تخففت وعلقت كسرة العين على النون وأسكنت العين ، فنقرأ « فَيُعْطَا هِيَ »  
فله تقديران : أحدهما أن يكون جاء به على لغة من يقول نيم . والتقدير الآخر أن يكون على

اللفظة الجيدة، فيكون الأصل نيم، ثم كسرت العين لالتقاء الساكنين . قال النحاس : فأما الذي حكى من أبي عمرو ونافع من إسكان العين لمحال . حكى من محمد بن يزيد أنه قال : أما إسكان العين والميم مشددة فلا يقدر أحد أن ينطق به ، وإنما يروم الجمع بين ساكنين ويمزك ولا يابه . وقال أبو علي : من قرأ بسكون العين لم يستقم قوله ؛ لأنه جمع بين ساكنين الأول منهما ليس بحرف مد ولين وإنما يجوز ذلك عند النحويين إذا كان الأول حرف مد، إذ المد يصير عوضاً من الحركة ، وهذا نحو ذابة وضوال ونحوه، ولعل أبا عمرو أخفى الحركة واختلسها كأخذه بالإخفاء في « بَارِئُكُمْ - و - بِأَمْرُكُمْ » فظن السامع الإخفاء إسكاناً للطف ذلك في السمع وخفائه . قال أبو علي : وأما من قرأ « نَيْعاً » ففتح النون وكسر العين فأما جاء بالكلمة على أصلها ومنه قول الشاعر :

مَا أَقَلَّتْ قَدَمَايَ إِتَهَمَ • نَيْمَ السَّاعُونَ فِي الْأَمْرِ الْمُرِّ

قال أبو علي : و « ما » من قوله تعالى : « نَيْعاً » في موضع نصب ، وقوله « هي » تفسير للفاعل المضمر قبل الذكر ، والتقدير نعم شيئاً إبداءها ، والإبداء هو المخصوص بالمدح إلا أن المضاف حذف وأقيم المضاف إليه مقامه . ويدل على هذا قوله « فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ » أي الإخفاء خير . فكأن الضمير هنا للإخفاء لا للصدقات فكذلك ، أولاً الفاعل هو الإبداء وهو الذي اتصل به الضمير ، لحذف الإبداء وأقيم ضمير الصدقات مثله . ( وَإِنْ تُحَقُّوْهَا ) شرط ، فذلك حذف النون . ( وَتَوْتُوْهَا ) عطف عليه . والجواب ( فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ) . ( وَيُكْفِّرُ ) اختلف القراء في قراءته ، فقرأ أبو عمرو وابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر وقناة وابن أبي إسحاق « وَنُكْفِّرُ » بالنون ورفع الراء . وقرأ [ نافع ] (٢) وحمة والكسائي بالنون والجزم في الراء ، وروى مثل ذلك أيضاً عن عاصم . وروى الحسين بن علي الجعفي عن الأعشى « يُكْفِّرُ » بنصب الراء . وقرأ ابن عامر بالياء ونصب الراء ، ورواه حفص عن عاصم ، وكذلك روى عن الحسين ، وروى عنه بالياء والجزم . وقرأ ابن عباس « وَتُكْفِّرُ » بالياء وكسر الفاء وجزم الراء . وقرأ

(١) هكذا في النحاس ، والذي في نسخ الأصل : ولا يأتيه . (٢) ويرى في نسخة . (٣) في الأصول : الأعشى ، والجماع ما أثبتناه من الجعفي عليه وغيرهما .

عكرمة « وَتُكْفَرُ » بالتاء وفتح الفاء وجزم الراء . وحكى المتهدي عن ابن هُرْمُزٍ أنه قرأ  
« وَتُكْفَرُ » بالتاء ورفع الراء . وحكى عن عكرمة وبشر بن حَوْشَب أنها قرأتا بقاء ونصب  
الراء . فهذه سبع قراءات أُبَيَّتْها « وَتُكْفَرُ » بالنون والرفع . هذا قول الخليل وسيبويه . قال  
النحاس قال سيبويه : والرفع ها هنا الوجه وهو الجسد ؛ لأن الكلام الذي بعد الفاء يجرى  
بجره في غير الجزاء . وأجاز الجزم بحمله على المعنى ؛ لأن المعنى وإن تحفوها وتؤتوها الفقراء  
يكن خيراً لكم ونكفر عنكم . وقال أبو حاتم : قرأ الأعمش « يُكْفَرُ » بالياء دون واو قبلها .  
قال النحاس : والذي حكاه أبو حاتم عن الأعمش بغير واو جزماً يكون على البديل كأنه  
في موضع الفاء . والذي روى عن عاصم « وَيُكْفَرُ » بالياء والرفع يكون معناه وَيُكْفَرُ الله ؛  
هذا قول أبي عبيد . وقال أبو حاتم : معناه يكفر الإعطاء . وقرأ ابن عباس « وَتُكْفَرُ »  
يكون معناه وتكفر الصدقات . وبالجملة فما كان من هذه القراءات بالنون فهي نون العظمة ،  
وما كان منها بالتاء فهي الصدقة فاعلمه ؛ إلا ما روى عن عكرمة من فتح الفاء فإن التاء  
في تلك القراءة إنما هي للسبب ، وما كانت منها بالياء فالله تعالى هو المكفر ، والإعطاء  
في خفاء مكفر أيضاً كما ذكرنا ، وحكاة مكي . وأما رفع الراء فهو على وجهين : أحدهما أن  
يكون الفعل خبر ابتداء تقديره ونحن نكفر أو وهي تكفر ، أعني الصدقة ، أو والله يكفر .  
والثاني القطع والاستئناف لا تكون الواو العاطفة للاشتراك لكن تعطف جملة كلام على جملة .  
وقد ذكرنا معنى قراءة الجزم . فأما نصب « وَتُكْفَرُ » فضعيف وهو على إضمار أن وجاز على  
بُعد . قال المتهدي : وهو مشبه بالنصب في جواب الاستفهام ، إذ الجزاء يجب به الشيء .  
لوجوب غيره كالاستفهام . والجزم في الراء أفصح هذه القراءات ، لأنها تؤذن بدخول  
التكفير في الجزاء وكونه مشروطاً إن وقع الإخفاء . وأما الرفع فليس فيه هذا المعنى .

قلت : هذا خلاف ما اختاره الخليل وسيبويه . و « مِنْ » فروله ( مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ )  
للتبعية المحض . وحكى الطبري عن فرقة أنها زائدة . قال ابن عطية : وذلك منهم خطأ .  
( وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ) وعد وعيد .

قوله تعالى : لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ  
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَنْفُسُكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا  
مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾

قوله تعالى : ( لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ) فيه ثلاث مسائل :  
الأولى - قوله تعالى : ( لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ) هذا الكلام متصل بذكر الصدقات  
فكانه بين فيه جواز الصدقة على المشركين . روى سعيد بن جبير مرسلاً عن النبي صلى الله  
عليه وسلم في سبب نزول هذه الآية أن المسلمين كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة ، فلما  
كثُر فقراء المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم " .  
فزلت هذه الآية مبيحة للصدقة على من ليس من دين الإسلام . وذكر النقاش أن النبي  
صلى الله عليه وسلم أتى بصدقات بجاء يهودى فقال : أعطنى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم :  
" ليس لك من صدقة المسلمين شيء " . فذهب اليهودى غير بعيد فزلت : « لَيْسَ عَلَيْكَ  
هُدَاهُمْ » فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه ، ثم نسخ الله ذلك بآية الصدقات .  
وروى ابن عباس أنه قال : كان ناس من الأنصار لهم قرابات من بنى قُرَيْظَةَ والنَضِيرِ ، وكانوا  
لا يتصدقون عليهم رغبة منهم في أن يُسَلِّمُوا إذا احتاجوا ، فزلت الآية بسبب أولئك .  
وحكى بعض المفسرين أن أسماء ابنة أبى بكر الصديق أرادت أن تصل جَدَّهَا أَبَا عُبَاةٍ  
ثم امتنعت من ذلك لكونه كافراً فزلت الآية في ذلك . وحكى الطبري أن مقصد النبي  
صلى الله عليه وسلم بمنع الصدقة إنما كان ليُسلِّمُوا ويدخلوا في الدين ، فقال الله تعالى : « لَيْسَ  
عَلَيْكَ هُدَاهُمْ » . وقيل : « لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ » [ ليس متصلاً ] بما قبل ، فيكون ظاهراً  
في الصدقات وصرها إلى الكفار ، بل يحتمل أن يكون معناه ابتداء كلام .

الثانية - قال علماؤنا : هذه الصدقة التي أجمعت لهم حسب ما تضمنته هذه الآثار  
هى صدقة التطوع ، وأما المفروضة فلا يُجْزَى دفعها لكافر ، لقوله عليه السلام : « أُمِرْتُ  
أَنْ أَخْذَ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيائِكُمْ وَأَرْقُهَا فِي فَقَرَانِكُمْ » . قال ابن المنذر : أجمع [ كل ] من احتفظ عنه  
(١) في ٥ : دما . (٢) في ٥ : وب روى : متصلاً . دليل على سقوط : ليس ، أو غير متصل  
بكاله نسخ . (٣) في ٥ .

من أهل العلم أن الذم لا يُعطى من زكاة الأموال شيئا ؛ ثم ذكر جماعة ممن نصّ على ذلك ولم يذكر خلافا . وقال المتهدي : رُخص للمسلمين أن يُعطوا المشركين من قراياتهم من صدقة الفريضة لهذه الآية . قال ابن عطية : وهذا مردود بالإجماع . والله أعلم . وقال أبو حنيفة : تصرف إليهم زكاة الفطر . ابن العربي : وهذا ضعيف لا أصل له ، ودليله أنها صدقة طاهرة واجبة فلا تصرف إلى الكافر كصدقة المساكينة والعين ؛ وقد قال النبي صلّى الله عليه وسلم : " أغنهم عن سؤال هذا اليوم " يعني يوم الفطر .

قلت : وذلك لتشاغلهم بالعيد وصلاة العيد وهذا لا يتحقق في المشركين ، وقصد يجوز هربها إلى غير المسلم في قول من جعلها سنة ، وهو أحد القولين عندنا ، وهو قول أبي حنيفة على ما ذكرنا ، نظرنا إلى معسوم الآية في البر وإطعام الطعام وإطلاق الصدقات . قال ابن عطية : وهذا الحكم متصور للمسلمين مع أهل ذمتهم ومع المسترقين من الحربيين .

قلت : وفي التزويل « وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » والأسير في دار الإسلام لا يكون إلا مشركا . وقال تعالى : « لَا يَتَنَبَّأُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ » . فظواهر هذه الآيات تقتضي جواز صرف الصدقات إليهم جملة ، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم خصّ منها الزكاة المفروضة ؛ لقوله عليه السلام يُعَاذُ : " خذ الصدقة من أغنيائهم وردّها على فقرائهم " واتفق العلماء على ذلك على ما تقدّم . فيدفع إليهم من صدقة التطوع إذا احتاجوا ، والله أعلم . قال ابن العربي : فأما المسلم العاصي فلا خلاف أن صدقة الفطر تصرف إليه إلا إذا كان يترك أركان الإسلام من الصلاة والصيام فلا تدفع إليه الصدقة حتى يتوب ، وسائر أهل المعاصي تصرف الصدقة إلى مرتكبيها لدخولهم في أمم المسلمين . وفي صحيح مسلم أن رجلا تصدّق على غنيّ وسارق وزانية وتقبلت صدقته ، على ما يأتي بيانه في آية الصدقات .

الثالثة - قوله تعالى : ( وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ) أي يرشد من يشاء . وفي هذا ردّ على القدرية وطوائف من المعتزلة ، كما تقدّم .

(١) فداين عطية : متصور للمسلمين اليوم مع الخ . (٢) راجع ج ١٩ ص ٢٥٠

(٣) راجع ج ١٨ ص ٥٨ (٤) راجع ج ٨ ص ١٦٧

قوله تعالى : ( وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ) شرط وجوابه . والخبر في هذه الآية المال ؛ لأنه قد اُقرن بذكر الإنفاق ؛ وهذه القرينة دليل على أنه المال ، ومتى لم تفقرو بما يدل على أنه المال فلا يلزم أن يكون بمعنى المال ؛ نحو قوله تعالى : « خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا » وقوله : « مِثْقَالُ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ » . إلى غير ذلك . وهذا يهتج بقول عكرمة : كل خير في كتاب الله تعالى فهو المال . وحكي أن بعض العلماء كان يستخرج كثيرا من المعروف ثم يخلف أنه ما فعل مع أحد خيرا ، فيقول له في ذلك فيقول : إنما فعلت مع نفسي ؛ ويقلو « وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ » . ثم بين تعالى أن النفقة المعتد بقبولها إنما هي ما كان ابتغاء وجهه . و « ابتغاء » هو على المفعول له . وقيل : إنه شهادة من الله تعالى للصحابه رضي الله عنهم أنهم إنما ينفقون ابتغاء وجهه ؛ فهذا خرج مخرج التفضيل والثناء عليهم . وعلى التأويل الأول هو اشتراط عليهم ، ويتناول الاشتراط خبرهم من الأمة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص : « إنا لن ننفق نفقة تجتني بها وجه الله تعالى إلا أحرمت بها حتى ما تجعل في في أمرائك » .

قوله تعالى : ( وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ) « يُوفِّ إِلَيْكُمْ » تأكيد وبيان لقوله : « وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ » وأن ثواب الإنفاق يُوفَّى إلى المطلقين ولا يخسرون منه شيئا فيكون ذلك البخس ظلما لهم .

قوله تعالى : لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ فيه عشر مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( لِلْفُقَرَاءِ ) اللام متعلقة بقوله « وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ » وقيل : بحذف تقديره الإنفاق أو الصدقة للفقراء . قال السبكي ويجاهد وغيرهنا : المراد بهمؤلاء (١) وراجع ١٣ ص ٢١ (٢) وراجع ٢٠ ص ١٥٠ (٣) كما في السنين والبحر . وفي الأصول كلها : تقول به . وليس بشئ . (٤) رواية البخاري : في أمرائك .

الفقراء فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم ، ثم تناول الآية كل من دخل تحت صفة الفقراء فابراً الدهر . وإنما خص فقراء المهاجرين بالذكر لأنه لم يكن هناك سواهم وهم أهل الصفة وكانوا نحواً من أربعمائة رجل ، وذلك أنهم كانوا يقدمون فقراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما لهم أهل ولا مال فبُيت لهم صفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبل لهم : أهل الصفة . قال أبو نذر : كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنّا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمر كل رجل فينصرف برجل ويبقى من بقي من أهل الصفة عشرة أو أقل فيؤتى النبي صلى الله عليه وسلم بعشائه وتتعمى معه . فإذا فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ناموا في المسجد » . ونرجع الترمذى عن البراء بن عازب « ولّا تيمموا الخبيث منه تُففقون » قال : نزلت فينا معشر الأنصار كما أصحاب نخل ، قال : فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقته ، وكان الرجل يأتي بالقنّ والقنّوين فيعلقه في المسجد ، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام ، فكان أحدهم إذا جاع أتى القنّ فيضربه بعصاه فيسقط من البسر والتمر فياً كل ، وكان ناس ممن لا يرغب في الخسير يأتي بالقنّ فيه الشيص والحشف ، والقنّ قد انكسر فيعلقه في المسجد ، فأنزل الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا مِنْ طَبَائِعِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُنْفِضُوا فِيهِ » . قال : ولو أن أحداً أُهْدِيَ إليه مثل ما أعطاه لم يأخذه إلا على إغراض وحيا . قال : فكان بعد ذلك يأتي الرجل بصالح ما عنده . قال : هذا حديث حسن غريب صحيح . قال عساؤنا . وكانوا رضى الله عنهم في المسجد ضرورة ، وأكوا من الصدقة ضرورة ، فلما فتح الله على المسلمين استفتوا عن تلك الحال وخرجوا ثم ملكوا وأمروا . ثم بين الله سبحانه من أحوال أولئك الفقراء المهاجرين ما يوجب الحثّ عليهم بقوله تعالى : « الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » والمعنى حبسوا ومُنَعُوا . قال قتادة وابن زيد : معنى « أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » حبسوا أنفسهم عن التصرف في معاشهم خوف العدو ، ولهذا قال تعالى : « لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ » لكون البلاد كلها كفراً مطبقاً .



وهذا في صدر الإسلام، فعلمهم<sup>(١)</sup> تمنع من الاكتساب بالجهاد، وإنكار الكفار عليهم إسلامهم يمنع من التصرف في التجارة بقوا فقراء . وقيل : معنى « لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ » أي لما قد أزموا أنفسهم من الجهاد . والأوّل أظهر . والله أعلم .

الثانية - قوله تعالى : ( يَحْسِبُ الْجَاهِلُ أَغْيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ) أي أنهم من الانقباض

وترك المسألة والتوكل على الله بحيث يظنهم الجاهل بهم أغْيَاء . وفيه دليل على أن ليم الفقير يجوز أن يطلق على من له كسوة ذات قيمة ولا يمنع ذلك من إعطاء الزكاة إليه . وقد أمر الله تعالى بإعطاء هؤلاء القوم، وكانوا من المهاجرين الذين يقاتلون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مَرْضَى ولا عُيَّان . والتَّعَفُّفُ تَقَلُّ ، وهو بناء مبالغة من عَفَّ عن الشيء إذا أمسك عنه وتزهد عن طلبه ؛ وبهذا المعنى فسر قتادة وغيره . وفتح السين وكسرهما في « يَحْسِبُ » ثلثان . قال أبو علي : والفتح أُنْقِصَ ؛ لأن العين من الماضي مكسورة فبابها أن تأتي في المضارع مفتوحة . والقراءة بالكسر حسنة ، لحجى السمع به وإن كان شاذاً عن القياس . و « مِنْ » في قوله « مِنَ التَّعَفُّفِ » لا ابتداء الغاية . وقيل لبيان الجنس .

الثالثة - قوله تعالى : ( تَعْرِفُهُمْ بِسَيِّئِهِمْ ) فيه دليل على أن السِّيا أثاراً في اعتبار من

يظهر عليه ذلك، حتى إذا رأينا ميتاً في دار الإسلام وعليه زُئار وهو غير مخنون لا يدفن في مقابر المسلمين؛ ويقدم ذلك على حكم الدار في قول أكثر العلماء؛ ومنه قوله تعالى : « وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ<sup>(٢)</sup> فِي لَحْنِ الْقَوْلِ » . فدلّت الآية على جواز صرف الصدقة إلى من له ثياب وكسوة وزى في التجمّل . واتفق العلماء على ذلك، وإن اختلفوا بعده في مقدار ما يأخذه إذا احتاج . فأبو حنيفة اعتبر مقدار ما يجب فيه الزكاة، والشافعي اعتبر قوت سنة، ومالك اعتبر أربعين درهماً، والشافعي لا يصرف الزكاة إلى المكتسب .

والسِّيا (مقصورة) : العلامة، وقد تمّد فقال السِّياء . وقد اختلف العلماء في تعيينها

هنا؛ فقال مجاهد : هي الخشوع والتواضع . السدى : أثر الفاقة والحاجة في وجوههم وقلة

(١) كذا في ج . راجع الطبري . وبقا الأصول : قلّتهم . (٢) الزئار (بضم الزاي وتشديد الين) : ما يشده الذي مل وسطه . (٣) راجع ج ١٦ ص ٢٥١ (٤) في ج : فيله .

للنَّعمة . ابن زيد : رثامة نياهم . وقال قوم وحكاه مكي : أثر السجود . ابن عطية : وهذا حسن ، وذلك لأنهم كانوا متفرضين متوكلين لا شغل لهم في الأغلب إلا الصلاة ، فكان أثر السجود عليهم .

قلت : وهذه السِّيا التي هي أثر السجود اشترك فيها جميع الصعابة رضوان الله عليهم بإخبار الله تعالى في آخر « الفتح » بقوله : « سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ » <sup>(١)</sup> فلا فرق بينهم وبين غيرهم ؛ فلم يبق إلا أن تكون السِّيا أثر الخصاصة والحاجة ، أو يكون أثر السجود أكثر فكانوا يعرفون بصفرة الوجوه من قيام الليل وصوم النهار . والله أعلم . وأما الخشوع فذلك عمله القلب ويشترك فيه الغني والفقير ، فلم يبق إلا ما آخرته ، والموفق الإله .

الرابعة - قوله تعالى : ( لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا ) مصدر في موضع الحال ، أي ملحقين ؛ يقال : ألحف وألح في المسألة سواء ؛ ويقال :

• وليس لِّلْحِفِّ مِثْلُ الْوَدِّ <sup>(٢)</sup> •

وأشتقاق الإلحاف من اللّاف ، سُمِّيَ بذلك لاشتغاله على وجوه الطلب في المسألة كاشتغال اللّاف من التغطية ، أي هذا السائل يعم الناس بسؤاله فيلحفهم ذلك ؛ ومنه قول ابن جرير :

فَنَلَّسَ يَحْفَهُنَّ بَقَفَقِبِهِ <sup>(٣)</sup> • وَيَلْحَفُهُنَّ هَفَقَافًا تَحِينَا

يصف ذكر النعام يحضن بيضا بجناحيه ويمجمل جناحه لها كاللّاف وهو رقيق مع ثخنه . وروى النسائي ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمران واللّقة واللّقمات إنما المسكين المتعفف اقرءوا إن شئتم « لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا » "

الخامسة - وأختلف العلماء في معنى قوله « لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا » على قولين ؛ فقال قوم منهم الطبري والزجاج : إن المعنى لا يسألون البتة ، وهذا على أنهم متعففون عن

(١) راجع به ١٦ ص ٢٩٢ (٢) هذا مجزئ لبتار بن برد ومدره كما في ديوانه والنا :

المزبلي والنا لمجد •

(٣) تنقفا الطائر : جناحه •

المسألة صفة تامة؛ وعلى هذا جمهور المفسرين؛ ويكون التخصف صفة ثابتة لهم، أى لا يسألون الناس إلحاشاً ولا غير إلحاح . وقال قوم : إن المراد من الإلحاف : أى أنهم يسألون غير إلحاف، وهذا هو السابق لفهم، أى يسألون غير ملحين . وفي هذا تنبيه على سوء حالة من يسأل الناس إلحافاً . روى الأئمة واللفظ لمسلم من معاوية بن أبى سفيان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تُلْحِفُوا فى المسألة فوالله لا يسألنى أحد منكم شيئاً تفخرف له معاًته متى شيئاً وأنا له كاره فيأرك له فيما أعطيته " . وفي الموطأ : عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن رجل من بني أسد أنه قال : قلت أنا وأهل بقيق القرعة فقال لى أهل : أذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله لنا شيئاً نأكله؛ وبطلوا يذكرون من حاجتهم؛ فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت عنده رجلاً يسأله ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا أجد ما أعطيك " فتولى الرجل عنه وهو مغضب وهو يقول : لعمري إنك لتعطى من شئت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنه بغضب على ألا أجد ما أعطيه من سأل منكم وله أوقية أو صلتاً فقد سأل إلحافاً " . قال الأسدي : قلت للقصة لنا خير من أوقية — قال مالك : والأوقية أربعون درهماً — قال : فرجعت ولم أسأله ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بشعير وزبيب فقسم لنا منه حتى أغنانا الله . قال ابن عبد البر : هكنا رواه مالك وتابعه هشام بن سعد وغيره ، وهو حديث صحيح ، وليس حكم الصحابي إذا لم يسم تحك من دونه إذا لم يسم عند العلماء ، لأرتفاع الجرعة عن جميعهم وثبوت العدالة لهم . وهذا الحديث يدل على أن السؤال مكره لمن له أوقية من فضة ؛ فمن سأل وله هذا الحد والعدد والقدر من الفضة أو ما يقوم مقامها ويكون مدلاً منها فهو ملحف ، وما علمت أحداً من أهل العلم إلا وهو يكره السؤال لمن له هذا المقدار من الفضة أو صلتاً من الذهب على ظاهر هذا الحديث . وما جاءه من غير مسألة لجأ إليه أن يأكله

(١) بضع القرعة : مفعلة مشبهة بالمدينة . (٢) الحديث كافي الطبعة المخطئة . وفي الأصول : قد ألحف .

(٣) القصة (بفتح اللام وكسرهما) : الناقة ذات لبن القرية العهد بالتاج .

(٤) في ب : مذيت . (٥) في الأصول : « صاحب » .

لأن كان من غير الزكاة ، ومثلاً مما لا أعلم فيه خلافاً ، فإن كان من الزكاة فيه خلاف يأتي  
بها في كفة الصدقات إن ضلته تعالى .

**المسألة -** قال ابن عبد البر : من أحسن ما روى من أجوبة الفقهاء في معاني  
السؤال وكملته ومذهب أهل الورع فيه ما حكاه الأئمة من أحمد بن حنبل وقد سئل عن  
المسألة متى يحل قال : إذا لم يكن عنده ما يفتيه ويُسْتَبْه على حديث سهل بن الحنظلية .  
فيل لأبي عبد الله : فإن أضطر إلى المسألة ؟ قال : هي مباحة له إذا أضطر . قيل له : فإن  
تعفف ؟ قال : ذلك خير له . ثم قال : ما أظن أحدا يموت من الجوع ! الله يأتيه برزقه .  
ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري " من استغف أحقه الله " . وحديث أبي ذر عن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال له : " تعفف " . قال أبو بكر : وسمعت يسأل عن الرجل لا يجد شيئاً يسأل  
للناس أم يأكل المنة ؟ فقال : أيا كل للمنة وهو يعد من يسأله ، هذا شلع . قال : وسمعت  
يسأله هل يسأل الرجل لغيره ؟ قال لا ، ولكن يُعْرَض ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم  
سب جاء قوم حُمَّة حُرَّةً مُجْتَايِ التُّمَارِ فقال : " تصنفوا " ولم يقل أعطوهم . قال أبو عمر :  
قد قال النبي صلى الله عليه وسلم " آشفعوا تُؤجروا " . وفيه إطلاق السؤال لغيره . والله أعلم .  
وقال : " ألا رجل يتصدق على هذا " ؟ قال أبو بكر : قيل له — يعني أحمد بن حنبل —  
فالرجل يذكر الرجل فيقول : إنه محتاج ؟ فقال : هذا تمر يض وليس به بأس ، إنما المسألة أن  
يقول أعطه . ثم قال : لا يعجبني أن يسأل المرء لنفسه فكيف لغيره ؟ والتمر يض هنا أحب إلَيَّ .  
قلت : قد روى أبو داود والنسائي وغيرهما أن القرامتي قال لرسول الله صلى الله عليه  
وسلم : أسأل يا رسول الله ؟ قال : " لا وإن كنت سائلاً لأبذ فأسأل الصالحين " . فأباح  
صلى الله عليه وسلم سؤال أهل الفضل والصلاح عند الحاجة إلى ذلك ، وإن أوقع حاجته

(١) راجع ج ٨ ص ١٦٧ (٢) أجاب فلان عموماً إذا لبسه . والتسار (بكر التون جمع مرة) وهي كل  
شملة مخططة من مآزر الأعراب ، كأنها أخذت من لون الترسا فيها من السواد والياض . أراد أنه جاء قوم لا يسي  
أرز مخططة من صوف (من نهاية ابن الأثير) .

(٣) هو من بن فراس بن مالك بن كثة (من الاستيعاب) .

بأنه فهو أعلی . قال إبراهيم بن آدم : سؤال الحاجات من الناس هي الحجاب بينك وبين الله تعالى ، فأترى حاجتك بين يملك الضر والنفع ، وليكن مفزحك إلى الله تعالى يكفئك الله ما سواه وتعيش مسرورا .

السابعة - فإن جاءه شيء من غير سؤال فله أن يقبله ولا يردّه ، إذ هو رزقي ورزقه الله . روى مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى عمر بن الخطاب ببطاء فردّه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لم رددته ؟ " فقال : يا رسول الله ، أليس أخبرتنا أن أحدا خيره ألا يأخذ شيئا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما ذاك من المسألة فأما ما كان من غير مسألة فإنما هو رزقي ورزقك الله " . فقال عمر بن الخطاب : والذي نفسي بيده لا أسأل أحدا شيئا ولا يأمنني بشيء من غير مسألة إلا أخذته . وهذا نص . وخرج مسلم في صحيحه والنسائي في سننه وغيرهما عن ابن عمر قال سمعت عمر يقول : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فأقول : أعطيه أنقر إليه يني ، حتى أعطاني مرة مالا فقلت : أعطيه أنقر إليه مني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خذْ وما جاءك من هذا المال وأنت خير مثير ولا سائل غلبه ومالا فلا تبعه نفسك " . زاد النسائي - بعد قوله " خذْ - فتخذه أو تصنق به " . وروى مسلم من حديث عبد الله بن السَّيْدِي المالكِي عن عمر فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا أعطيت شيئا من غير أن تسأل فكل وتصنق " . وهذا يصحح لك حديث مالك المرسَل . قال الأثرم : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يسأل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : " ما ملكك من غير مسألة ولا إشراف " أي الإشراف أراد ؟ فقال : أن تستشره وتقول : لعله يبعث إلى بقلبك . قيل له : وإن لم يتعزّض ، قال نعم إنما هو بالقلب . قيل له : هذا شديد ! قال : وإن كان بشدتها فهو هكذا . قيل له : فإن كان الرجل لم يؤذني أن يرسل لي شيئا إلا أنه قد عرض بقلبي فقلت : صي أن يبعث إلى . قال : هذا إشراف ، فأما إذا جاءك من غير أن تحسبه ولا خطر على قلبك فهذا الآن ليس فيه إشراف . قال أبو عمر : الإشراف في اللغة رفع الرأس إلى المطموح

عنده والمطسوع فيه، وأن يهتس الإنسان ويشمض . وما قاله أحمد في تأويل الإقرار  
تضييق وتشديد وهو عندى بعيد ، لأن الله عز وجل تجاوز لهذه الأمة عما عدت به أنفسها  
ما لم ينطق به لسان أو تعمله جارية . وأما ما اعتقده القلب من المعاصي ما خلا الكفر  
فليس بشئ حتى يعمل به ، وخطرات النفس متجاوز عنها بإجماع .

الثامنة - الإلحاح في المسألة والإلحاف فيها مع الغنى عنها حرام لا يحل . قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : " من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جحراً فليستقل أو ليستكثراً " رواه  
أبو هريرة نرجه مسلم . وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تزال المسألة  
بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مُزعة <sup>(١)</sup> لحم " رواه مسلم أيضاً .

التاسعة - السائل إذا كان محتاجاً فلا بأس أن يكرر المسألة ثلاثاً إغذاراً وإنداراً  
والأفضل تركه . فإن كان المستول يعلم بذلك وهو قادر على ما سأله وجب عليه الإعطاء ،  
وإن كان جاهلاً به فيعطيه مخافة أن يكون صادقا في سؤاله فلا يفلح في رده .

العاشر - فإن كان محتاجاً إلى ما يُقيم به سنة كالجعل بثوب يلبسه في العبد والجمعة  
فذكر ابن العربي : " سمعت بإجماع الخليفة ببغداد رجلاً يقول : هذا أخوك يحضر الجمعة معكم  
وليس عنده ثياب يُقيم بها سنة الجمعة . فلما كان في الجمعة الأخرى رأيت عليه ثياباً أخرى ،  
فقليل لي : كساه إياها أبو الطاهر البرسي أخذ الثناء " <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْثَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ  
أُجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾  
فيه مسألة واحدة :

روى عن ابن عباس وأبي ذر وأبي أمامة وأبي الدرداء وعبد الله بن بشر الغافقي والأوزاعي  
أنها نزلت في طلف الخليل المربوطة في سبيل الله . وذكر ابن سعد في الطبقات قال : أخبرني  
عن محمد بن شعيب بن شابور قال أنبأنا سعيد بن مسنان عن يزيد بن عبد الله بن هريث عن  
(١) الحرة (بضم الهمزة وإسكان الواو) القطعة . قال القاضي عياض : قيل معناه يأتي يوم القيامة قليلاً ما لا يرجعه  
عنه الله . وقيل : هو عمل ظاهره ، فيستر روجه عظم لا لحم عليه ، فترويه له صلاة له يدينه حين طلب ورسال بوجهه .  
(٢) في أحكام ابن العربي : رأيت عليه ثياباً جدداً فقليل لي كساه إياها فلان لأخذ الثناء بها .

أبيه عن جده مريم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى: «الَّذِينَ يَنْفِقُونَ  
أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»  
قال: «هم أصحاب الخيل». وبهذا الإسناد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المنفق على  
الخيل كباسط يده بالصدقة لا يقبضها وأبواؤها وأروائها [عند الله] يوم القيامة كذكي المسك».  
وروى عن ابن عباس أنه قال: نزلت في علي بن أبي طالب رضى الله عنه، كانت معه أربعة  
درهم فصنعت بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرتا وبدرهم جهرا؛ ذكره عبد الزاق قال:  
أخبرنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس. ابن جريج: نزلت في رجل فعل ذلك،  
ولم يسم طيبا ولا فحشا. وقال قتادة: هذه الآية نزلت في المنفقين من غير تبذير ولا تقتير.  
ومعنى «بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» في الليل والنهار، ودخلت الفاء في قوله تعالى: «فَلَهُمْ» لأن  
في الكلام معنى الجزاء. وقد تقدم. ولا يجوز زيد شطلق.

قوله تعالى: «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي  
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا  
وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ  
مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ  
أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا  
الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾  
يُنَادِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾  
فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ  
أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾

الآيات الثلاث تضمنت أحكام الربا وجواز عقود المبايعات ، والوعيد لمن استحل الربا وأصر على فعله . وفي ذلك ثمان وثلاثون مسألة :

الأولى - قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾ (١) يأكولون يأخذون ، فمبني عن الأخذ بالأكل ، لأن الأخذ إنما يراد للأكل . والربا في اللغة الزيادة مطلقا ، يقال : ربا الشيء يربو إذا زاد ، ومنه الحديث : " فلا والله ما أخذنا من لقمة إلا ربا من تحتها " يعني الطعام الذي دعا فيه النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة ، نخرج الحديث مسلم رحمه الله . وقياس كتابته بالياء للكسرة في أوله ، وقد كتبوه في القرآن بالواو . ثم إن الشرع قد تصرف في هذا الإطلاق فنصره على بعض موارد ، فزعه أطلقه على كسب الحرام ، كما قال الله تعالى في اليهود : « وَأَخَذْنَاهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هَوَوْا عَنْهُ » . ولم يرد به الربا الشرعي الذي حكم بحرمه علينا وإنما أراد المال الحرام ، كما قال تعالى : « سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلسُّبْحِ » (٢) يعني به المال الحرام من الزنا ، وما استحلوه من أموال الأئمة حيث قالوا : « تَبَسَّ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَيْلٌ » . وعلى هذا فيدخل فيه النهي عن كل مال حرام بأي وجه اكتسب . والربا الذي عليه حُزف الشرع شيان : تحريم النساء ، والتضائل في العقود وفي المظومات على ما نبينه . وغالب ما كانت العرب تفعله ، من قولها للفرس : أهضني أم تُربي ؟ فكان الفرسي يزيد في عدد المسال ويصير الطالب عليه . وهذا كله حرم باغراق الأمة .

الثانية - أكثر البيوع المنوعة إنما تجلسمتها لمعنى زيادة إما في عين مال ، وإما في منفعة لأحدهما من تأخير ونحوه . ومن البيوع ما ليس فيه معنى الزيادة ، كبيع الثمرة قبل بدو صلاحها ، وكالبيع ساعة النداء يوم الجمعة ، فإن قيل لفاعلها ، أكل الربا فتجوز وتشبيهه .

الثالثة - وروى الأئمة واللفظ لمسلم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والمالح بالمالح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي فيه سواء " .

(١) كما في كل الأصول وقوله : ثمان وثلاثون مسألة تتضمن الآيات الخمس . (٢) يريد الإمامة .

(٣) راجع ج ١ ص ٤٨٤ ط ٢٤٦٦ (٤) راجع ج ٥ ص ١٦٥ (٥) في حقه وجه - العقود .



وفي حديث عبادة بن الصامت : " فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد " . وروى أبو داود عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الذهب بالذهب يبرها وعينها والفضة بالفضة يبرها وعينها والبر بالبر مئدي بمئدي<sup>(١)</sup> والشعير بالشعير مئدي بمئدي والتمر بالتمر مئدي بمئدي والمخل بالمخل مئدي بمئدي فمن زاد أو ازداد فقد أربى ولا بأس ببيع الذهب بالفضة والفضة بالذهب أكثرهما يدا بيد وأما نسيئة فلا ولا بأس ببيع البر بالشعير والشعير أكثرهما يدا بيد وأما نسيئة فلا " . وأجمع العلماء على القول بمقتضى هذه السنة وعليها جماعة فقهاء المسلمين إلا في البر والشعير فإن مالكا جعلهما صنفا واحدا ، فلا يجوز منهما اثنان بواحد ، وهو قول الليث والأوزاعي ومعظم علماء المدينة والشام ، وأضاف مالك إليهما السلت<sup>(٢)</sup> . وقال الليث : السلت والدخن والنرة صنف واحد ، وقاله ابن وهب .

قلت : وإذا ثبتت السنة فلا قول معها . وقال عليه السلام : " فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد " . وقوله : " البر بالبر والشعير بالشعير " دليل على أنهما نوعان مختلفان كخالفة البر للتمر ، ولأن صفاتهما مختلفة وأسمائهما مختلفة ، ولا اعتبار بالمتبئ والمحصد إذا لم يعتبره الشرع ، بل فصل وبين ، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة والثوري وأصحاب الحديث .

الرابعة — كان معاوية بن أبي سفيان يذهب إلى أن النهي والتحريم إنما ورد من النبي صلى الله عليه وسلم في الدينار المضروب والدرهم المضروب لا في التبر من الذهب والفضة بالمضروب ، ولا في المصوغ بالمضروب . وقد قيل إن ذلك إنما كان منه في المصوغ خاصة ، حتى وقع له مع عبادة ما أخرجه مسلم وغيره ، قال : غَرَرْنَا وعلى الناس معاوية فغنيما غنائم كثيرة ، فكان مما غنمنا آتية من فضة فأمر معاوية رجلا يبيعها في أعطيات الناس

(١) أى مكيل بمكيل . والمئدي (بضم الميم وسكون الدال والياء) قال ابن الأعرابي : هو مكيل ضم لأهل الشام وأهل مصر ، وأجمع أمدا . وقال ابن ربي : المئدي مكيل لأهل الشام يقال له البربر بيع خمسة وأربعين درعلا . وهو غير المئد (بالميم المضمومة والياء المتقدمة) . قال الجوهري : المئد مكيل وهو رطل وثلاث مثاقيل أهل الجاز والشافعي ، ووطان عند أهل العراق وأبي حنيفة . (٢) السلت : ضرب من الشعير ليس له قشر .

فتنازع الناس في ذلك فبلغ عبادة بن الصامت ذلك فقام فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والمِلح بالمِلح إلا سَوَاءً بِسَوَاءٍ حَبْتًا بَعَيْنٍ مِنْ زَادٍ أَوْ ازْدَادٍ فَقَدْ أَرَيْتُ بِفِرْدِ النَّاسِ مَا أَخَذُوا «  
فبلغ ذلك معاوية فقام خطيباً فقال : « أَلَا مَا بَالُ وَجَالٍ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَادِيثَ قَدْ كُنَّا نَشْهَدُ وَنُصَحِّبُهُ فَلَمْ نَسْمَعْهَا مِنْهُ ! فقام عبادة بن الصامت فأعاد القصة ثم قال : « لَنَحْدِثَنَّ بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ كَرِهَ مُعَاوِيَةُ — أَوْ قَالَ وَإِنْ رَغِمَ — مَا أَبَالِي أَلَا أَصْحَبَهُ فِي جُنْدِهِ فِي لَيْلَةِ سَوْدَاءَ «<sup>(١)</sup> قَالَ حَمَادٌ هَذَا أَوْ نَحْوَهُ . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : وَقَدْ رَوَى أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ إِنَّمَا كَانَتْ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ مَعَ مُعَاوِيَةَ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ وَقَعَ ذَلِكَ لَهَا مَعَهُ ، وَلَكِنَّ الْحَدِيثَ فِي الْعُرْفِ مَحْفُوظٌ لِعُبَادَةَ ، وَهُوَ الْأَصْلُ الَّذِي عَوَّلَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ فِي بَابِ « الرِّبَا » . وَلَمْ يَخْتَلَفُوا أَنَّ فِعْلَ مُعَاوِيَةَ فِي ذَلِكَ ضَرِّ جَائِزٍ وَغَيْرُ تَكْيِيدٍ أَنْ يَكُونَ مُعَاوِيَةُ خَفِيَ عَلَيْهِ مَا قَدْ عَلَيْهِ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَعُبَادَةُ لِإِنَّمَا جَلِيلَانِ مِنْ قَهْقَرَاءِ الصَّعَابَةِ وَبُكَارِهِمْ ، وَقَدْ خَفِيَ عَلَى أَبِي يَكْرُوعٍ وَمَا وَجَدَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ هُوَ دُونُهُمْ ، مُعَاوِيَةُ أُخْرَى . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَذْهَبُهُ كَمَذْهَبِ أَبِي عُبَّاسٍ ، فَقَدْ كَانَ وَهُوَ يَجْرُ فِي الْعِلْمِ لَا يَرَى الدَّرْهَمَ وَالْدَّرْهَمِينَ بَأْسًا حَتَّى يَصْرِفَهُ عَنْ ذَلِكَ أَبُو سَعِيدٍ . وَقِصَّةُ مُعَاوِيَةَ هَذِهِ مَعَ عِبَادَةَ كَانَتْ فِي وِلَايَةِ حِمْيَرَ . قَالَ قَبِيصَةُ بْنُ ذُوَيْبٍ : إِنْ عِبَادَةَ أَنْكَرَ شَيْئًا عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ : لَا أَسْأَلُكَ بِأَرْضِ أَنْتَ فِيهَا وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا أَقْدَمَكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ : أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِكَ ، فَتَقَبَّحَ اللَّهُ أَرْضًا لَمْ تَكُنْ فِيهَا وَلَا أَمْنًا لَكَ ! وَكُتِبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ « لَا إِمَارَةَ لَكَ عَلَيْهِ » .

انعامسة — روى الأئمة واللفظ للذارقطبي " من علي " رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الدينار بالدينار والدراهم بالدراهم لا فضل بينهما من كانت له حاجة بوريق فليصيرها بنذهب وإن كانت له حاجة بنذهب فليصيرها بوريق هاء وهاء " قال العلماء فقوله

(١) هو حماد بن زيد أحد رجال هذا الحديث .

(٢) قال ابن الأثير : « هو أن يقول كل واحد من اليمين « ها » فيعطيه ما في يده » حتى نقايضة في المجلس . وقيل منه : هاك وهات ، أى خذ وأعط . قال الخطابي : أصحاب الحديث يروونه « ها وهاء » ما كتبه الألف =

عليه السلام : "الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما" إشارة إلى جنس الأصل المضروب؛ بدليل قوله : "الفضة بالفضة والذهب بالذهب" الحديث . والفضة البيضاء والسوداء والذهب الأحمر والأصفر كل ذلك لا يجوز بيع بعضه ببعض إلا مفلا بمثل سواء بسواء على كل حال ؛ على هذا جماعة أهل العلم على ما بينا . واختلفت الرواية عن مالك في الفلوس فألحقها بالدرهم من حيث كانت ثمناً للأشياء ، ومنع من إلحاقها مرة من حيث إنها ليست ثمناً في كل بلد وإنما يختص بها بلد دون بلد .

السادسة - لا اعتبار بما قد روى عن كثير من أصحاب مالك وبعضهم يرويه عن مالك في التاجر يحفزه الخروج وبه حاجة إلى دراهم مضروبة أو دنانير مضروبة ، فيأتي دار الضرب بفضته أو ذهبه فيقول للضرباء ؛ خذ فضتي هذه أو ذهبي وخذ قدر عمل يملكه وأدفع إلى دنانير مضروبة في ذهبي أو دراهم مضروبة في فضتي هذه لأنني محفور للخروج وأخاف أن يفوتني من أنخرج معه ، أن ذلك جائز للضرورة ، وأنه قد عمل به بعض الناس . وحكاة ابن العربي في نفسه عن مالك في غير التاجر ، وأن مالكا خفف في ذلك ؛ فيكون في الصورة قد باع فضته التي زتها مائة وخمسة دراهم أجره بمائة وهذا محض الربا . والذي أوجب جواز ذلك أنه لو قال له : لضرب لي هذه وقاطعه على ذلك بأجرة ، فلبس ضربها قبضها منه وأعطاه أجرتها ؛ فالذي فعل مالك أولاً هو الذي يكون آخره ، ومالك إنما نظر إلى المسأل فركب عليه حكم الحال ، وأباه مائر الفقهاء . قال ابن العربي : والجمعة فيه لمالك بينة . قال أبو عمر رحمه الله : وهذا هو عين الربا الذي حرّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : "من زاد أو أزداد فقد آرتني" . وقد ردّ ابن وهب هذه المسألة على مالك وأنكرها . وزعم الأبيهرى أن ذلك من باب الرنق لطلب التجارة ولتلا يفوت السوق ، ولينس الربا إلا على من أراد أن يربى ممن يقصد إلى ذلك ويتفنيه . ونسب الأبيهرى أصله في قطع الترائع ، وقوله

== والصواب مدحا ونسها ، لأن أصلها هالك ، أي خذ غنفت الكاف وعرضت منها المدة والمهزة ، يقال الراعد هاء ولاتين هاوذا ولجس هاتج . وغير الخطابي يميز فيها السكون على حذف العوض وتنزله منزلة «ها» التي لنتيه . وثنا لعات أخرى .

فيمن باع ثوبا ببسيطة وهو لا نية له في شرائه ثم يبعده في السوق يباع : إنه لا يجوز له ابتاعه منه بدون ما يباع به وإن لم يقصد إلى ذلك ولم يقصده ؛ ومثله كثير ؛ ولو لم يكن الربا إلا على من قصده ما حرم إلا على الفقهاء . وقد قال عمر : لا يتجر في سوقنا إلا من قته وإلا أكل الربا . وهذا بين لمن رزق الإنصاف وألهم رشده .

قلت : وقد بالغ مالك رحمه الله في منع الزيادة حتى جعل المتوهم كالتحقق ، فنع ديناراً ودرهماً وديناراً ودرهم سداً للدرهم وحباً للتوهمات ؛ إذ لولا توهم الزيادة لما تبادلا . وقد علل منع ذلك بتعذر المسائلة عند التوزيع ؛ فإنه يلزم منه ذهب وفضة بذهب . وأوضح من هذا منعه التفاضل المعنوي ، وذلك أنه منع ديناراً من الذهب العالي وديناراً من الذهب اللئيم في مقابلة العالي وألغى اللئيم ، وهذا من دقيق نظره رحمه الله ؛ فدل أن تلك الرواية منه منكرة ولا تصح . والله أعلم .

السابعة - قال الخطابي : التبر قطع الذهب والفضة قبل أن تضرب وتطبع دراهم أو دنانير ، واحداً نيرة ، والعين : المضروب من الدراهم أو الدنانير . وقد حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباع مثقال ذهب قين بمثقال وثنى من تبر غير مضروب . وكذلك حرم التفاوت بين المضروب من الفضة وغير المضروب منها ، وذلك معنى قوله : " تبرها وصيتها سواء " .

الثامنة - أجمع العلماء على أن التمر بالتمر ولا يجوز إلا مثلاً بمثل . واختلفوا في بيع التمرة الواحدة بالترتين ، والحبة الواحدة من القمح بحبتين ؛ فنهى الشافعي وأحمد وإسحاق والثوري ، وهو قياس قول مالك وهو الصحيح ؛ لأن ما جرى الربا فيه بالتفاضل في كثيره دخل قلبه في ذلك قياساً ونظراً . احتج من أجاز ذلك بأن مستهلك التمرة والتمرين لا يجب عليه النجعة ، قال : لأنه لا مكيل ولا موزون بخلاف فيه التفاضل .

التاسعة - أعلم رحمك الله أن مسائل هذا الباب كثيرة وفروعه منتشرة ، والذي يربط لك ذلك أن تنظر إلى ما اعتبره كل واحد من العلماء في حلة الربا ؛ فقال أبو حنيفة :

علة ذلك كونه ميكلا أو موزونا جنسا، فكل ما يدخله الكيل أو الوزن عنده من جنس واحد، فإن بيع بعضه ببعض متفاضلا أو نسبيا لا يجوز؛ فتح يبيع التراب بعضه ببعض متفاضلا؛ لأنه يدخله الكيل، وأجاز الخبز قُرْصا بقرصين؛ لأنه لم يدخل عنده في الكيل الذي هو أصله، فخرج من الجنس الذي يدخله الربا إلى ما عداه. وقال الشافعي: العلة كونه مطموما جنسا. هذا قوله في الجديد؛ فلا يجوز عنده بيع الدقيق بالخبز ولا بيع الخبز بالخبز متفاضلا ولا نسبيا، وم سواء أكان الخبز خيرا أو قطيحا. ولا يجوز عنده بيعه ببيضتين، ولا رقانة برمانتين، ولا بطيخة ببطيختين لا بدأ يسد ولا نسبته؛ لأن ذلك كله طعام ما كول. وقال في القديم: كونه ميكلا أو موزونا. واختلفت عبارات أصحابنا المالكية في ذلك؛ وأحسن ما في ذلك كونه مقتانا مذكرا للعيش غالبا جنسا؛ كالخطة والشعير والتسر والملح المنصوص عليها، وما في معناها كالأرز والذرة والدخن والسَّمِيم، والقَطَائِي كالقول والعَدَس واللُّؤْيَاء والخِص، وكذلك الحشوم والألبان والخلول والزيت، والثمار كالعنب والزبيب والزيتون، واختلف في التبن، ويأحق بها العسل والسكر. فهذا كله يدخله الربا من جهة النساء. وجائز فيه التفاضل لقوله عليه السلام: "إذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد". ولا ربا في رطب الفواكه التي لا تبقى كالنَّخْل والبطيخ والرمان والكُمثرى والقثاء والخيار والبادُجَان وغير ذلك من الخضروات. قال مالك: لا يجوز بيع البيض بالبيض متفاضلا؛ لأنه مما يذخر، ويجوز عنده مثلا بمثل. وقال محمد بن عبد الله بن عبيد الحكم، جائز بيعه ببيضتين وأكثر؛ لأنه مما لا يذخر، وهو قول الأوزاعي.

السائرة — اختلف النحاة في لفظ «الربا» فقال البصريون: هو من ذوات الواو؛ لأنك تقول في تنثية: ربوان؛ قاله سيبويه. وقال الكوفيون: يكتب بالياء، وتنثية بالياء؛ لأجل الكسرة التي في أوله. قال الزجاج: ما رأيت خطأ أقبح من هذا ولا أشنع إلا يكفهم الخطأ في الخط حتى يخطئوا في التنثية وهم يقرءون «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ يَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ» قال محمد بن يزيد: كتب «الربا» في المصحف بالواو فوافقته وبين الزنا، وكان الربا أولى منه بالواو؛ لأنه من ربا يربو.

الحادية عشرة - قوله تعالى : ( لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ )  
 الجملة خبر الابتداء وهو « الَّذِينَ » . والمعنى من قبورهم ؛ قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير  
 وقناة والربيع والضحاك والسدي وابن زيد . وقال بعضهم : يعمل معه شيطان يخطفه .  
 وقالوا كلهم : يبعث كالمجنون عقوبة له وعقبتا عند جميع أهل المحشر . ويقوى هذا التأويل  
 المجمع عليه أن في قراءة ابن مسعود « لا يقومون يوم القيامة إلا كما يقوم » . قال ابن عطية :  
 وأما الفاظ الآية فكانت تحمل تشبيه حال القائم بمرص وجسّع إلى تجارة الدنيا بقيام المجنون ،  
 لأن الطمع والرغبة تستفزّه حتى تضطرب أعضاؤه ؛ وهذا كما تقول لمسرّع في مشيه يخلط في هيئة  
 حركاته إما من فرع أو غيره : قد جُنّ هذا ! وقد شبه الأعتى ناقته في نشاطها بالمجنون في قوله :  
 ونُصِيع عن غيب السرى وكانما . ألم بها من طائف الجن أولق

وقال آخر :

• تَمَرُّكُ بِي مِنْ حُبِّ أَسْمَاءَ أَوْلَقُ •

لكن ما جاءت به قراءة ابن مسعود وتظاهرت به أقوال المفسرين يضعف هذا التأويل .  
 و « يَتَخَبَّطُهُ » يتغله من خبط يخبط ؛ كما تقول : تملكه وتعبده . يجعل الله هذه العلامة  
 لأكلة الربا ؛ وذلك أنه أرباه في بطونهم فأتقلهم ، فهم إذا خرجوا من قبورهم يقومون  
 ويسقطون . ويقال : إنهم يبعثون يوم القيامة قد انتفخت بطونهم كالحبائى ، وكلما قاموا  
 سقطوا والناس يمشون عليهم . وقال بعض العلماء : إنما ذلك شعار لهم يعرفون به يوم القيامة  
 ثم العذاب من وراء ذلك ؛ كما أن الغالى يحمى بما غل يوم القيامة بشهرة يشهر بها ثم العذاب  
 من وراء ذلك . وقال تعالى : « يَا أَكْلُونَ » والمراد يكسبون الربا ويفعلونه . وإنما خص  
 الأكل بالذكر لأنه أقوى مقاصد الإنسان في المال ؛ ولأنه دال على الجشع وهو أشد الحرص ؛  
 يقال : رجل جشع بين الجشع وقوم جشعون ؛ قاله في المجمل . فاقم هذا البعض من توابيع  
 الكسب مقام الكسب كله ؛ فالباس والسكنى والادخار والإنفاق على المال داخل في قوله :  
 « الَّذِينَ يَأْكُلُونَ » .

(١) في ابن صلي : مجارة الربا . الأرق : شبه المجنون .

لثانية عشرة - في هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصريح من جهة الحق،  
 وزعم أنه من فعل الطباع، وأن الشيطان لا يعطك في الإنسان ولا يكون منه شيء، وقد  
 مضى الرد عليهم فيما تقدم من هذا الكتاب - وقد روى النسائي عن أبي اليسر قال: «كان رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من المردة والمهدم والفرق والحريق  
 وأعوذ بك أن يتخطفني الشيطان عند الموت وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مذبراً وأعوذ بك  
 أن أموت لديها». وروى من حديث محمد بن المنثري حدثنا أبو داود حدثنا همام عن قتادة  
 عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجنون  
 والجذام والبرص وسبي الأسقام» - والمس الجنون، يقال: «مس الرجل وألس» فهو  
 ممسوس ومألوس إذا كان مجنوناً، وذلك علامة الربا في الآخرة - وروى في حديث الإسراء:  
 «فأطلقني جبريل فررت برجال كثير كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم متصددين<sup>(١)</sup>  
 على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار بُكْرَةً وَعَشِيًّا فيَقْبَلُونَ مثل الإبل المهيومة  
 يتخبطون الجحارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا  
 فتبيل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون برأحه  
 حتى يشاهم آل فرعون فيطونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة  
 وآل فرعون يقولون اللهم لا تُقيم الساعة أبداً فإن الله تعالى يقول: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ  
 أَدْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشدَّ الْعَذَابِ» - قلت - يا جبريل من هؤلاء؟ قال: «هؤلاء الذين  
 يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس» - والمس الجنون<sup>(٢)</sup>  
 وكذلك الأوتى والألس والزود.

الثالثة عشرة - قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) معناه حنجر حج  
 المتأولين في الكفار، ولم قيل: «فَلَمَّا سَلَفَ» ولا يقال ذلك للمؤمن ماض بل ينقض ريبه  
 (١) المهيم: المساب بداء الميام، وهو داء يصيب الإبل من غداة تشرق الشمس حتى لا تدرى -  
 وقيل: هو داء يصيبها فتسقط فلا تدرى: وقيل: داء من شدة العطش. (٢) راجع جده ص ٣٥٨  
 (٣) كما في الأصول وابن حنبل ولم يسندوا وجه الهم إلا ما ورد: «إن الشيطان يلدن آدم بكل صفة»  
 أي بكل مطلب ومراد: والرغبة اسم من الإرادة - النهاية.

ويرد فعله وإن كان جاهلا؛ فلذلك قال صلى الله عليه وسلم : " من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد " . لكن قد يأخذ العصاة في الربا بطرف من وعيد هذه الآية .

**الرابعة عشرة -** قوله تعالى : ( **إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا** ) أى إنما الزيادة عند حلول الأجل آخر كمثل أصل الثمن في أول العقد ، وذلك أن العرب كانت لا تعرف ربا إلا ذلك ؛ فكانت إذا حل دينها قالت للفرس : إما أن تقيض وإما أن تربي ، أى تريد في الدين . فخرم الله سبحانه ذلك ورد عليهم قولهم بقوله الحق : « **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** » وأوضح أن الأجل إذا حل ولم يكن عنده ما يؤدى أنظر إلى المتسرة . وهذا الربا هو الذى نسخه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله يوم عرفة لما قال : " ألا إن كل ربا موضوع وإن أول ربا أضعه ربانا ورا عباس بن عبدالمطلب فإنه موضوع كله " . فبدأ صلى الله عليه وسلم بعمة وأخص الناس به . وهذا من سنن العدل للإمام أن يقبض العدل على نفسه وخاصته فيستفيض حينئذ في الناس .

**الخامسة عشرة -** قوله تعالى : ( **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ) هذا من عموم القرآن ، والآلف واللام للجنس لا للعهد إذ لم يتقدم بيع مذكور يرجع إليه ؛ كما قال تعالى : « **وَالْقَصْرِ** **إِنَّ الْإِنْسَانَ كُنْهِ خَيْرٌ** » ثم استثنى « **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** » . وإذا ثبت أن البيع عام فهو مخصوص بما ذكرناه من الربا وغير ذلك مما أنهى عنه ومنع العقد عليه ؛ كالخمر والميتة وحل الحيلة وغير ذلك مما هو ثابت في السنة وإجماع الأمة النهى عنه . ونظيره « **أَقْتُلُوا** **الشُّرَكَاءَ** » وسائر الظواهر التى تقتضى العمومات ويدخلها التخصيص ، وهذا مذهب أكثر الفقهاء . وقال بعضهم : هو من يحل القرآن الذى فسر بالحل من البيع وبالحزم فلا يمكن أن يستعمل في إحلال البيع وتحريمه إلا أن يقرن به بيان من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإن دل على إباحة البيوع في الجملة دون التفصيل . وهذا فرق ما بين العموم والمجمل .

(٦) راجع ج ٢ ص ١٧٨ (٢) الحل (بالتحريك) مصدر مسمى به المحلول كما سمي بالحل ، وإنما دخلت عليه هنا للاشارة بمعنى الأنوثة فيه ؛ فالحل الأول يراد به ما في بطون النوق من الحل ، والثاني حل ما في بطون النوق . وإنما انتهى حملين ، أحدهما أنه غرر ، وبيع شئ لم يتلق بهد ، وهو أن يبيع ماسوف يحله الحنين الذى لا يمل الناقه على نفسه بأن تكون أنثى ؛ فهو بيع نتاج الساج . وقيل أراد بحل الحيلة أن يبيع إلى أجل يبيع فيه لا لحمل الذى فى بطون الناقه فهو إلى أجل مجهول ولا يصح (عن تاجية بن الأثير) . (٣) راجع ج ٨ ص ٧١



فالعوم يدل على إباحة البيع في الجملة والتفصيل لما لم يخص بدليل . والمحمل لا يدل على إباحتها في التفصيل حتى يقرن به بيان . والأول أصح . والله أعلم .

السادسة عشرة — البيع في اللغة مصدر باع كذا بكذا أي دفع عوضاً وأخذ عوضاً . وهو يقتضي بائناً وهو المالك أو من يُزَلْ منزله ، ومبتاعاً وهو الذي يبذل الثمن ، ومبيعاً وهو الممنون وهو الذي يُبَدَّل في مقابلته الثمن . وعلى هذا فأركان البيع أربعة : البائع والمبتاع والثمن والمُتَمَّن . ثم المعاوضة عند العرب تختلف بحسب اختلاف ما يضاف إليه ؛ فإن كان أحد المعوضين في مقابلة الرِّبَّة سُمِّيَ بيعاً ، وإن كان في مقابلة منفعة رقية فإن كانت منفعة بُضْع سُمِّيَ نكاحاً ، وإن كانت منفعة غيرها سُمِّيَ إجارة . وإن كان شيئاً بين فهو بيع النقد وهو الصرف ، وإن كان بدين مؤجل فهو السلم ، وسياق بيانه في آية الدين . وقد مضى حكم الصرف ، وباتى حكم الإجارة في « القصص » وحكم المهر في النكاح في « النساء » . كل في موضعه إن شاء الله تعالى .

السابعة عشرة — البيع قبول وإيجاب يقع باللفظ المستقبل والماضي ؛ فالماضي فيه حقيقة والمستقبل كناية ، ويقع بالصرح والكناية المفهوم منها قل الملك . فسواء قال : بعتك هذه السلعة بعشرة فقال : اشتريتها ، أو قال المشتري : اشتريتها وقال البائع : بعثكها . أو قال البائع : أنا أبيعك بعشرة فقال المشتري : أنا أشتري أو قد اشتريت ، وكذلك لو قال : خذها بعشرة أو أعطيكها أو دونكها أو بورك لك فيها بعشرة أو سلمتها إليك — وهما يريدان البيع — فذلك كله بيع لازم . ولو قال البائع : بعتك بعشرة ثم رجع قبل أن يقبل المشتري فقد قال : ليس له أن يرجع حتى يسمع قبول المشتري أو رده ؛ لأنه قد بذل ذلك من نفسه وأوجبه عليها ، وقد قال ذلك له ؛ لأن المقد لم يتم عليه . ولو قال البائع : كنت لآعاباً ، فقد اختلفت الرواية عنه ؛ فقال مرة : يلزمه البيع ولا يلتفت إلى قوله . وقال مرة : ينظر إلى قيمة السلعة .

(١) راجع من كتابنا . (٢) راجع من كتابنا . (٣) طبع ج . .  
 م ٢٢ و ٩١ . (٤) قوله فقد قال ؛ يعني ما كما يأتي قوله : قد اختلفت الرواية عنه الخ .

فإن كان اليمن يشبه قيمتها فالبيع لازم ، وإن كان متفاوتا كهبد بدرهم ودار بدينار ، علم أنه لم يُرد به البيع ، وإنما كان هازلا فلم يلزمه .

الثامنة عشرة — قوله تعالى : ( وَحَرَّمَ الرِّبَا ) الألف واللام هنا للعهد ، وهو ما كانت العرب تفعله كما بيناه ، ثم تناول ما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه من البيع الذي يدخله الربا وما في معناه من البيوع المنهية عنها .

التاسعة عشرة — عقد الربا مفسوخ لا يجوز بحال ؛ لما رواه الأئمة واللفظ لمسلم عن أبي سعيد الخدري قال : جاء بلال بن رباح <sup>(١)</sup> فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أين هذا ؟ " فقال بلال : من تمر كان عندنا دئى ، فبعت منه صاعين بصاع لمطعم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : " أَوْه عَيْنُ الرَّبَا لَا تَفْعَلْ وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَرَى التمر فبعه ببيع آخر ثم اشتريه " وفى رواية " هذا الربا فردوه ثم بيعوا تمرنا واشتروا لنا من هذا " . قال علماءنا : قوله : " أَوْه عَيْنُ الرَّبَا " أى هو الربا المحرم نفسه لا ما يشبهه . وقوله : " فردوه " يدل على وجوب فسخ صفقة الربا وأنها لا تصح بوجه ؛ وهو قول الجمهور ؛ خلافا لأبى حنيفة حيث يقول : إن بيع الربا جائز بأصله من حيث هو بيع ، ممنوع بوصفه من حيث هو ربا ، فيسقط الربا ويصح البيع . ولو كان على ما ذكرنا ففسخ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الصفقة ، ولأمره برد الزيادة على الصاع ولصحح الصفقة في مقابلة الصاع .

المرفوعة عشرين — كل ما كان من حرام بين ففسخ فعلى المبتاع رد السلعة بينهما . فإن تلفت بيده رد القيمة فيما له القيمة ، وذلك كالعقار والعروض والحبوان ، والمثل فيما له مثل من موزون أو مكيل من طعام أو عرض . قال مالك : يرد الحرام البين فأتى أو لم يفت ، وما كان مما كره الناس رد إلا أن يغتفر فيترك .

(١) البرقي (فتح المرحلة وسكون الزاء فى آخره) : مشددة ؛ ضرب من التمر أحمر بصفرة كثير الحما . (وهو ما كالحواة) حذب الخلاوة .

(٢) زجاج حاشية ص ٢ من ٢٢٦ من هذا الجزء .

الحادية والعشرون - قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ قال جعفر بن محمد الصادق رحمه الله : حرم الله الربا ليتقارض الناس . وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " قَرْضُ مَرْتَيْنِ يَدُلُّ صَدَقَةً مَرَّةً " أخرجه البزار ، وقد تقدم هذا المعنى مستوفى . وقال بعض الناس : حرمه الله لأنه متلفه للأموال مهلكة للناس . وسقطت علامة التانيث في قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَهُ ﴾ لأن تانيث « الموعظة » غير حقيق وهو بمعنى وعظ . وقرأ الحسن « فمن جاءته » بإثبات العلامة .

هذه الآية تلها عائشة لما أخبرت بفعل زيد بن أرقم . وروى الدارقطني عن العالية بنت أنفع قالت : خرجت أنا وأم حُجَّة إلى مكة فدخلنا على عائشة رضي الله عنها فسلمنا عليها ، فقالت لنا : ممن أنتم ؟ قلنا من أهل الكوفة ، قالت : فكانها أعرضت عنا ، فقالت لها أم حُجَّة : يا أم المؤمنين ! كانت لي جارية وإني بعثتها من زيد بن أرقم الأنصاري بمائة درهم إلى عطائه وإنه أراد بيعها فابتعتها منه بمائة درهم قدا . قالت : فأقبلت علينا فقالت : بشما شرييت وما اشتريت ! فأبلى زيدا أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يتوب . فقالت لها : أرايت إن لم آخذ منه إلا رأس مالى ؟ قالت : ﴿ قَدْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّقَى اللَّهَ مَا سَلَفَ ﴾ . العالية هي زوج ابى إسحاق الحمداى الكوفى السبعى أم يونس بن أبى إسحاق . وهذا الحديث أخرجه مالك من رواية ابن وهب عنه في بروع الآجال ، فإن كان منها ما يؤدى إلى الوقوع في المحذور منع منه وإن كان ظاهره بيما جائزا . وخالف مالكا في هذا الأصل جمهور الفقهاء وقالوا : الأحكام مبنية على الظاهر لا على الظنون . ودليلنا القول بسدِّ الدرائع ، فإن سلم وإلا استدللنا على صحته . وقد تقدم . وهذا الحديث نص ، ولا نقول عائشة « أبلى زيدا أنه قد أبطل جهاده إلا أن يتوب » إلا بتوقيف ، إذ مثله لا يقال بالرأى فإن إبطال الأعمال لا يتوصل إلى معرفتها إلا بالوحى كما تقدم . وفي صحيح مسلم عن الثَّعْبَانِ بْنِ بَشِيرٍ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الحلالَ بينَ والحرامَ بينَ وبينهما أمورٌ مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن أتى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى

حول الحى يؤشك أن يوقع فيه ألا وإن لكل ملك حى<sup>(١)</sup> وآل وإن حى الله تعالى<sup>(٢)</sup> . وجه دلالة أنه منع من الإقدام على التشابهات غشافة الوقوع في المحرمات وذلك سد للذريعة . وقال صلى الله عليه وسلم : " إن من الكبائر شتم الرجل والديه " قالوا : وكيف يشتم الرجل والديه ؟ قال : " يسب أباه الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه " . بفعل التعريض لسب الآباء كسب الآباء . ولعن صلى الله عليه وسلم اليهود إذ أكلوا ثمن ما نهبوا عن أكله . وقال أبو بكر في كتابه : لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة . ونهى ابن عباس عن دراهم بدرهم بينهما جريرة . وأتفق العلماء على منع الجمع بين بيع وسلف ، وعلى تحريم قليل الخمر وإن كان لا يسكر ، وعلى تحريم الخلوة بالأجنبية وإن كان عتيبا ، وعلى تحريم النظر إلى وجه المرأة الشابة إلى غير ذلك مما يكثر ويعلم على القطع والثبت أن الشرع حكم فيها بالمنع ؛ لأنها ذرائع المحرمات . والرأى أحق ما حجت مرآته وسدت طرائقه ، ومن أباح هذه الأسباب فليصح حفر البئر ونصب الجبال لهلاك المسامين والمسامات ، وذلك لا يقوله أحد . وأيضا فقد اتفقت على منع من باع بالينة إذا عُرِف بذلك وكانت عاده ، وهى فى معنى هذا الباب . والله الموفق للصواب .

الثانية والعشرون - روى أبو داود عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إذا تبايعتم بالينة وأخذتم البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سخط الله عليكم ذلا لا يترعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم " . فى إسناده أبو عبد الرحمن الخراسانى<sup>(٣)</sup> . ليس بمشهور . وفسر أبو عبيد المروى<sup>(٤)</sup> بالينة فقال : هى أن يبيع من رجل سلعة بمن معلوم إلى أجل مسمى ، ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذى باعها به . قال : فإن اشتري بمحضرة طالب بالينة سلعة من آخر بمن معلوم وقبضها ثم باعها من طالب بالينة بمن أكثر مما اشتراها إلى أجل مسمى ، ثم باعها المشتري من البائع الأول بالنقد بأقل من الثمن

- (١) الحديث أثبتناه كافي صحيح سلم طبع الآساء ص ٥٥ . وفى ود ربه : بوشك أن يرآله .
- (٢) كذا فى دوا وفى حوب ربه : حريه ، والذى يدو أن المعنى : دراهم بدرهم معها شئ . قد يكون فيه قاضل ، ولعل الأصل : بينهما جدية . أى بينهما تفاضل لما بين الجدية والقديم منها من الفرق .
- (٣) فى أ على الماش : فى إسناده أبو عبد الرحمن الخراسانى اسمه إسحاق بن أسيد تزيل مصر لا يجمع به ، وفيه أيضا خطأ الخراسانى ، وفيه : فقال لم لم يذكره الشيخ رضى الله عنه ليس بمشهور .

فهذه أيضا عينة، وهي أهون من الأولى، وهو جائز عند بعضهم. وسميت عينة لحضور النقد لصاحب العينة، وذلك أن العين هو المال الحاضر والمشتري إنما يشتريها لبيعها بعين حاضر يصل إليه من فوره.

الثالثة والعشرون — قال علماؤنا: فمن باع سلعة بئن إلى أجل ثم ابتاعها بئن من جلس الثمن الذي باعها به، فلا يخلو أن يشتريها منه بنقد، أو إلى أجل دون الأجل الذي باعها إليه، أو إلى أبعد منه، بمثل الثمن أو بأقل منه أو بأكثر؛ فهذه ثلاث مسائل: وأما الأولى والثانية فإن كان بمثل الثمن أو أكثر جاز، ولا يجوز بأقل على مقتضى حديث عائشة؛ لأنه أعطى ستمائة ليأخذ ثمانمائة والسلعة لنفو، وهذا هو الربا بينه. وأما الثالثة إلى أبعد من الأجل، فإن كان اشتراها وحدها أو زيادة فيجوز بمثل الثمن أو أقل منه، ولا يجوز بأكثر؛ فإن اشترى بعضها فلا يجوز على كل حال لا بمثل الثمن ولا بأقل ولا بأكثر. ومسائل هذا الباب حصرها علماؤنا في سبع وعشرين مسألة، ومدارها على ما ذكرناه، فاعلم.

الرابعة والعشرون — قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَأْتِ الْبَيْتَ﴾ أي من أمر الربا لا تباعة طبعه من الدنيا ولا في الآخرة؛ قاله السدي وغيره. وهذا حكم من الله تعالى لمن أسلم من كفار قريش وتيقف ومن كان يتجر هناك. وسلف: معناه تقدم في الزمن واقضى.

الخامسة والعشرون — قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ فيه أربع تاويلات: أحدها أن الضمير عائد إلى الربا، بمعنى وأمر الربا إلى الله في إصرار تحريمه أو غير ذلك. والآخر أن يكون الضمير عائدا على «ما سلف» أي أمره إلى الله تعالى في العفو عنه وإسقاط التبعة فيه. والثالث أن يكون الضمير عائدا على ذى الربا، بمعنى أمره إلى الله في أن يثبت على الانتهاء أو يبيده إلى المعصية في الربا. واختار هذا القول النحاس، قال: وهذا قول حسنين، أي وأمره إلى الله في المستقبل إن شاء يثبت على التحريم وإن شاء أباحه. والرابع أن يعود الضمير على المنتهى؛ ولكن بمعنى التأنيص له وبسط أماله في الخير؛ كما تقول: وأمره إلى طاعة وغيره، وكما تقول: وأمره في نفي وإقبال إلى الله تعالى وإلى طاعته.

(١) في دواب: لحصول. (٢) كما في ابن طلبة ودواب: وفي قوله: وأمره إلى الله في أن يبيده... أو يبيده على المعصية في الربا.

السادسة والعشرون — قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾ يعني إلى فعل الربا حتى يموت ؛ قاله صفيان . وقال غيره : مَنْ عاد فقال إنما البيع مثل الربا فقد كفر . قال ابن عطية : إن قهرونا الآية في كافر فأنخلود خلود تأييد حقيقي ، وإن لحظناها في مسلم عاص فهذا خلود مستعار على معنى المبالغة ، كما يقول العرب : مُلْكٌ خالد ، عبارة عن دوام ما لا يبقى على التأييد الحقيقي .

السابعة والعشرون — قوله تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ يعني في الدنيا أى يذهب بركته وإن كان كثيرا . روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” إن الرِّبَا وإن كثر فمآقبته إلى قُلْ “ . وقيل : ” يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا “ ينفي في الآخرة . وعن ابن عباس في قوله تعالى : ” يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا “ قال : لا يقبل منه صدقة ولا حجاً ولا جهاداً ولا صلة . والحق : النقص والذهاب ؛ ومنه محاق القمر وهو انتقاصه . ﴿ وَيُرِي الصَّدَقَاتِ ﴾ أى يُنمِّيها في الدنيا بالبركة ويكثر ثوابها بالتضعيف في الآخرة . وفي صحيح مسلم : ” إن صدقة أحدكم لتقع في يد الله فيريها له كما يرى أحدكم فلوله أو فصيلة حتى يبعي يوم القيامة وإن اللقمة لعل قدر أحد “ . وقرأ ابن الزبير « يَمْحَقُ » بضم الباء وكسر الحاء مشددة « يَرَى » بفتح الراء وتشديد الباء ، ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك .

الثامنة والعشرون — قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَتَمٍ ﴾ ووصف كفار بأتم مبالغة ، من حيث اختلاف اللفظان . وقيل : لإزالة الاشتراك في كفار ؛ إذ قد يقع على الزارع الذى يستر الحب في الأرض : قاله ابن قورك .

وقد تقدم القول في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾ . وخص الصلاة والزكاة بالذكر وقد تضمنها عمل الصالحات تشريفاً لها وتنبها على قدرهما إذ هما رأس الأعمال ؛ الصلاة في أعمال البدن ، والزكاة في أعمال المال .

التاسعة والعشرون — قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ظاهره أنه أبطل من الربا ما لم يكن مقبوضاً وإن كان مضموقاً قبل

تذول آية التحريم ، ولا يتعقب بالسخ ما كان مقبوضا . وقد قيل : إن الآية نزلت بسبب  
 ثقيف ، وكانوا ما هدوا النبي صلى الله عليه وسلم على أن ما لم من الربا على الناس فهو لهم ،  
 وما للناس عليهم فهو موضوع عنهم ، فلما أن جاءت آجال رباهم بعثوا إلى مكة للاقتضاء ،  
 وكانت الديون لدى عبدة وهم بنو عمرو بن عمير من ثقيف ، وكانت على بن المغيرة الخزومي .  
 فقال بنو المغيرة : لا نعطى شيئا فإن الربا قد رُفِع . ورفعوا أمرهم إلى عتاب بن أسيد ، فكتب  
 به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزلت الآية فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 إلى عتاب ، فعلمت بها ثقيف فكفّت . هذا سبب الآية على اختصار مجموع ما روى  
 ابن إسحاق وابن جرير والسدي وغيرهم . والمعنى اجعلوا بينكم وبين مذاب الله وقاية بترككم  
 ما بقي لكم من الربا وصفحكم عنه .

المؤية ثلاثين — قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ شرط محض في ثقيف على بابه ،  
 لأنه كان في أول دخوله في الإسلام . وإذا قدرنا الآية فيمن قد تقزرا إيمانه فهو شرط  
 مجازي على جهة المبالغة ، كما تقول لمن تريد إقامة نفسه : إن كنت رجلا فاعمل كذا . وحكم  
 النقاش عن مقاتل بن سليمان أنه قال : إن « إِنْ » في هذه الآية بمعنى « إذ » . قال ابن عطية :  
 وهذا مردود لا يعرف في اللغة . وقال ابن قُورق : يحتمل أن يريد « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » بمن  
 قبل محمد عليه السلام من الأنبياء « ذُرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » بمحمد صلى الله عليه  
 وسلم ! إذ لا ينفع الأول إلا بهذا . وهذا مردود بما روى في سبب الآية .

الحادية والثلاثون — قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ هذا  
 وعيد إن لم يذروا الربا ، والحرب داعية القتل . وروى ابن عباس أنه يقال يوم القيامة لا كل  
 الربا : خذ سلاحك للحرب . وقال ابن عباس أيضا : من كان مقيما على الربا لا يترج عنه خفي  
 على إمام المسلمين أن يستنبيه ، فإنه يترج ولا ضرب عقه . وقال قتادة : أهد الله لأهل  
 الربا بالقتل يخلعهم <sup>(١)</sup> يرحلهم <sup>(٢)</sup> لئلا ينفقوا <sup>(٣)</sup> . وقيل : للمعنى أن لم تنهوا فأتهم حرب لله ورسوله ، أي

(١) أي إنازة قسه . (٢) البرج ، التي مالمح . (٣) قتله ، وتطاولت قهره أو ماله .

أعداءه . وقال ابن خُوَيْرِمَدَاد : ولو أن أهل بلد اصطَلَحُوا على الرِّبَا استَحْلَالًا كانوا مُرْتَدِّينَ ،  
والْحَكْمُ فِيهِمْ كَالْحَكْمِ فِي أَهْلِ الرِّدَّةِ ، وإن لم يكن ذلك منهم استَحْلَالًا جاز للإمام عارِضُهُمْ ؛  
ألا ترى أن الله تعالى قد أذن في ذلك فقال : « فَأَذِنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » . وقرأ  
أبو بكر من عاصم « فَأَذِنُوا » على معنى فأعلموا غيركم أنكم على حربهم .

الثانية والثلاثون - ذكر ابن بكير قال : جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال :  
يا أبا عبد الله ، إني رأيت رجلاً سكراناً يتعاقر يريد أن يأخذ القمراً فقلت : امرأتى طالق  
إن كان يدخل جوف ابن آدم أشر من الخمر . فقال : أرجع حتى أنظر في مسألتك . فأنه  
من الفسد فقال له : أرجع حتى أنظر في مسألتك فأنه من الفسد فقال له : امرأتك طالق ؛  
إني تصفحت كتاب الله وسنة نبيه فلم أرسيت أشر من الربا ؛ لأن الله أذن فيه بالحرب .

الثالثة والثلاثون - دلت هذه الآية على أن أكل الربا والعمل به من الكبائر ولا خلاف  
في ذلك على ما نبهته . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يأتي على الناس زمانٌ  
لا يبقى أحد إلا أكل الربا ومن لم يأكل الربا أصابه عُبَاهُ » وروى الدارقطني عن عبد الله  
ابن حنظلة غسيل الملائكة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تدرم رباً أشد عند الله تعالى  
من ست وثلاثين زانية في الخطيئة » وروى عنه عليه السلام أنه قال : « الربا تسعة وتسعون  
باباً أدناها كإتيان الرجل بأمه » يعني الزنا بأمه . وقال ابن مسعود أكل الربا وموكله وكتابه  
وشاهده ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم . وروى البخاري عن أبي جحيفة قال : نهى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمن الدم وثن الكلب وكسب البني ولعن أكل الربا وموكله  
والواشمة والمستوشمة والمصور . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في جوهري : أشد . (٢) في الاستيعاب أن حنظلة الغسيل قتل يوم أحد شهيداً قتله أبو سفيان .

كان قتيلاً لم يخاله في حين تروجه إلى أحد ثم هجم عليه من الخارج في الغير ما أساء الفيل وأجعله ميتاً ، فلما قتل شهيداً  
لشيم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الملائكة تسفه . (٣) أي أجرة الجاهل ، وأطلق عليه النبي تهمة .

(٤) نسخة الحديث كما في صحيح البخاري راجع المغلاق : ص ٤٣٠



قال : " اجتنبوا السبع الموبقات ... - وبها - وأكل الربا " . وفي مصنف أبي داود عن ابن مسعود قال : لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الربا وموكله وكتابه وشاهدته .

الرابعة والثلاثون - قوله تعالى : « وَإِنْ تَبَيَّنَ لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ » الآية . روى أبو داود عن سليمان بن عمرو عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حجة الوداع : " ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون " وذكر الحديث . فردم تعالى مع التوبة إلى رؤوس أموالهم وقال لهم : « لَا تَظْلِمُونَ » في أخذ الربا « وَلَا تُظْلَمُونَ » في أن يمسك بشئ من رؤوس أموالكم فتذهب أموالكم . ويحتمل أن يكون « لَا تُظْلَمُونَ » في مطل ؛ لأن مطل الفنى ظلم ؛ فالمنى أنه يكون القضاء مع وضع الربا ، وهكذا سنة الصلح ، وهذا أشبه شئ بالصلح . ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أشار إلى كعب بن مالك في دين ابن أبي حذرد بوضع الشطر فقال كعب : نعم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للآخر : " قُمْ فَأَقِضْهُ " . فلقى العلماء أمره بالقضاء سنة في المصالحات . وسيأتي في « النساء » بيان الصلح وما يجوز منه وما لا يجوز ، إن شاء الله تعالى .

الخامسة والثلاثون - قوله تعالى : « وَإِنْ تَبَيَّنَ لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ » تأكيد لإبطال ما لم يقبض منه وأخذ رأس المال الذي لا ربا فيه . فاستدل بعض العلماء بذلك على أن كل ما طرأ على البيع قبل القبض مما يوجب تحريم العقد أبطل العقد ؛ كما إذا اشترى مسلم صيدا ثم أحرم المشتري أو البائع قبل القبض بطل البيع ؛ لأنه طرأ عليه قبل القبض ما أوجب تحريم العقد ؛ كما أبطل الله تعالى ما لم يقبض ؛ لأنه طرأ عليه ما أوجب تحريمه قبل القبض ، ولو كان مقبوضا لم يؤثر . هذا مذهب أبي حنيفة ، وهو قول لأصحاب الشافعي . ويستدل به على أن هلاك المبيع قبل القبض في يد البائع وسقوط القبض فيه يوجب بطلان العقد خلافا لبعض السلف ؛ ويروى هذا الخلاف عن أحمد . وهذا إنما يختص على قول من يقول : إن العقد في الربا كان في الأصل منعقد ، وإنما بطل بالإسلام الطارئ قبل

القبض . وأما من منع انقضاء الربا في الأصل لم يكن هذا الكلام صحيحا ؛ وذلك أن الربا كان محرما في الأديان ، والذي فعلوه في الجاهلية كان عادة المشركين ، وأن ما قبضوه منه كان بمثابة أموال وصلت إليهم بالغصب والسلب فلا يترضى له . فعلى هذا لا يصح الاستشهاد على ما ذكره من المسائل . واشتغال شرائع الأنبياء قبلنا على تحريم الربا مشهور مذكور في كتاب الله تعالى ؛ كما حكى عن اليهود في قوله تعالى : « وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ » . وذكر في قصة شعيب أن قومه أنكروا عليه وقالوا : « أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَكْشَاءُ » فعل هذا لا يستقيم الاستدلال به . نعم ، يفهم من هذا أن العقود الواقعة في دار الحرب إذا ظهر عليها الإمام لا يترضى عليها بالفسخ إن كانت معقودة على فساد .

السادسة والثلاثون - ذهب بعض الفلاة من أرباب الورع إلى أن المال الحلال إذا خالطه حرام حتى لم يتميز ثم أخرج منه مقدار الحرام المختلط به لم يحل ولم يطب ؛ لأنه يمكن أن يكون الذي أخرج هو الحلال والذي بقي هو الحرام . قال ابن العربي : وهذا غلو في الدين ؛ فإن كل ما لم يتميز فالمقصود منه ماله لا عينه ، ولو تلف المثل مقامه والاختلاط بإتلاف تمييزه ؛ كما أن الإهلاك إتلاف لعيته ، والمثل قائم مقام الذاهب ، وهذا بين حسا بين معنى . والله أعلم .

قلت : قال ملأونا إن سبيل التوبة مما بيده من الأموال الحرام إن كانت من ربا فليردها على من أربى عليه ، ويطلبه إن لم يكن حاضرا ، فإن أيس من وجوده فليصدق بذلك عنه . وإن أخذه يظلم فليقلع كذلك في أمر من ظلمه . فإن التمس عليه الأمر ولم يدر كم الحرام من الحلال مما بيده ، فإنه يجزى قدر ما بيده مما يجب عليه رده ، حتى لا يشك أن ما بقي قد خلص له فيرد منه ذلك الذي أزال عن يده إلى من صرف من ظلمه أو أربى عليه . فإن أيس من وجوده تصدق به عنه . فإن أحاطت المظالم بكنهه وعلم أنه وجبه عليه من ذلك ما لا يطيق أدائه أبدا لكنّه خيرته أن يزول مما بيده أجمع إما إلى المسكين وإما إلى ماله

(١) في المأخوذة لا يترضى له ، فلا يفسد ، وإنما يترضى له لأن الإسلام يجب ماله . مذهبنا والتب .

(٢) طبعه ١٢٠٠ (٣) طبعه ١٢٠٠

صلاح المساكين، حتى لا يبقى في يده إلا أقل ما يجزئه في الصلابة من اللباس وهو ما يستر العورة وهو من سرته إلى ركبته، وقوت يومه؛ لأنه الذي يجب له أن يأخذه من ملك فيه إذا اضطر إليه؛ وإن كره ذلك من يأخذه منه. وفارق هاهنا المفلس في قول أكثر العلماء لأن المفلس لم يصر إليه أموال الناس باعتداء بل هم الذين صيروها إليه فبتركه له ما يواريه وما هو هيئة لباسه. وأبو عبيد وغيره يرى ألا يترك للمفلس من اللباس إلا أقل ما يجزئه في الصلابة وهو ما يواريه من سرته إلى ركبته، ثم كلما وقع بيد هذا شيء أنعمه عن يده ولم يمسك منه إلا ما ذكرناه، حتى يعلم هو ومن يعلم حاله أنه أدى ما عليه.

السابعة والثلاثون — هذا الوعيد الذي وعد الله به في الربا من المخاربة، قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في المخاربة. وروى أبو داود قال: أخبرنا يحيى بن معين قال: أخبرنا ابن وهب قال: ابن خيثم حدثني عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ لَمْ يَذَرِ الْمَخَارِبَةَ فَلْيُذْنِ بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ". وهذا دليل على منع المخاربة وهي أخذ الأرض بنصف أو ثلث أو ربع، ويسمى المزارعة. وأجمع أصحاب مالك كلهم والشافعي وأبو حنيفة وأتباعهم وداود، على أنه لا يجوز دفع الأرض على الثلث والربع، ولا على جزء مما يخرج؛ لأنه مجهول؛ إلا أن الشافعي وأصحابه وأبا حنيفة قالوا يجوز كراه الأرض بالطعام إذا كان معلوماً لقوله عليه السلام: "فأما شيء معلوم مضمون فلا بأس به" ترجمه مسلم. وإليه ذهب محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومنعه مالك وأصحابه؛ لما رواه مسلم أيضاً عن رافع بن خديج قال: كنا نحاقل بالأرض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنكثنا بالثلث والربع والطعام المسمى، بقضاء ذات يوم رجل من عمويتي فقال: نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمرٍ كان لنا فافعلنا وطواعية الله ورسوله أنفع لنا، نهانا أن نحاقل بالأرض فنكثنا على الثلث والربع والطعام المسمى، وأمر رب الأرض أن يزرعها أو يزارعها. وكبره كرامتها وما سوى ذلك. قالوا:

(١) كذا في ب، هـ. وهو الصواب كما في سنن أبي داود، وفي أ، ب، ج، د، هـ: أبو داود.

(٢) كذا في أ؛ وهو ما نهى عنه، والذي في ب، ج، د، هـ: يزرعها أو يزارعها. أي أياها فمن يزرعها وهذا في سنن الحديث "من كانت له غنمها أو يزرعها أخاه".

فلا يجوز كراه الأرض بشيء من الطعام ما كولا كان أو مشروباً على حال ؛ لأن ذلك في معنى بيع الطعام بالطعام نسبياً . وكذلك لا يجوز عندهم كراه الأرض بشيء مما يخرج منها وإن لم يكن طعاماً ما كولا ولا مشروباً ، سوى الخشب والقصب والحطب ؛ لأنه عندهم في معنى للزبانية<sup>(١)</sup> . هنا هو المفوظ عن مالك وأصحابه . وقد ذكر ابن خنّون عن المنيرة بن عبد الرحمن الغزوي قلدي أنه قال : لا بأس بكراه الأرض بطعام لا يخرج منها . وروى يحيى بن عمر عن المنيرة أن ذلك لا يجوز ؛ كقول سائر أصحاب مالك . وذكر ابن حبيب أن ابن كنانة كان يقول : لا تكرى الأرض بشيء إذا أعيد فيها نبت ، ولا بأس أن تكرى بما سوى ذلك من جميع الأشياء مما يؤكل وما لا يؤكل كل نرج منها أو لم يخرج منها ؛ وبه قال يحيى بن يحيى ، وقال : إنه من قول مالك . قال : وكان ابن نافع يقول : لا بأس أن تكرى الأرض بكل شيء من طعام وغيره يخرج منها أو لم يخرج ، ماعدا الحنطة وأخواتها فإنها الحاقلة المنهى عنها . وقال مالك في الموطأ ؛ فاما الذي يعطى أرضه البيضاء بالثلث والرابع مما يخرج منها فذلك مما يدخله الغرر ؛ لأن الزرع يهل مرة ويكثر أخرى ، وربما هلك رأساً فيكون صاحب الأرض قد ترك كراه معلوماً ؛ وإنما مثل ذلك مثل رجل استأجر أجيراً لسفر بشيء معلوم ، ثم قال الذي استأجره لأجير : هل لك أن أعطيك حشراً ما أريج في سفرى هذا إجابة لك . فهذا لا يهل ولا يبنى . قال مالك ؛ ولا يبنى لرجل أن يؤاجر نفسه ولا أرضه ولا سفينة ولا دابته إلا بشيء معلوم لا يزول . وبه يقول الشافعي وأبو حنيفة وأصحابهما . وقال أحمد بن حنبل والليث والثوري والأوزاعي والحسن بن علي وأبو يوسف ومحمد : لا بأس أن يعطى الرجل أرضه على جزء

(١) المزاج ؛ كل شيء من الجواهر التي لا يمسكها ولا وزنه ولا عدده يقع بشيء من الكيل أو الوزن أو العدد . وذلك أن يقول الرجل للرجل يكون له الطعام المصبر الذي لا يهلك من الحنطة أو التمر أو ما أشبه ذلك من الأنظمة . أو يكون للرجل السعة من الخيط أو النوى أو القصب أو الصفر أو الكرسف أو التكان أو ما أشبه ذلك من السلع لا يهلك كل شيء من ذلك ولا وزنه ولا عدده ؛ فيقول الرجل لرجل تلك السعة ؛ يكيل سلعتك هذه أو من يتكلمها أو وزن من ذلك بوزن أو أحد منها ما كان يهد فأقص من كيلك وكذا صاعاً ؛ لتسعة يسميها . أو وزن كذا وكذا رطل أو عدد كذا وكذا فأقص من ذلك فعل غرضه حتى أو تلك تلك التسعة ؛ وما زاد على تلك لتسعة فهو له أو من ما قص من ذلك ؛ هل أن يكون له ما زاد . وليس ذلك بها ولكه القاطرة ؛ والغرر والفقار يدخل جهلاً . وقيل ؛ المزاج اسم ليع التراب كقوله ؛ ودخل كل جنس بابنه ؛ ومعلوم (من الموطأ) .

(٢) الحاقلة ؛ بيع الزرع قبل حصوله . وقيل ؛ بيع الزرع في سلبه بالحنطة . وقيل ؛ المزاج على وجهه بغيره بالثلث أو الربع أو أقل من ذلك أو أكثر ؛ وقيل أكثره الأرض بالحنطة . (٣) في ؛ سفره .

ما تخبره نحو الثلث والربع، وهو قول ابن عمر وطاوس. واحتجوا بقصة خير وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل أهلها على شطري ما تخبره أرضهم وتعلمهم. قال أحمد، حديث رافع بن خديج في النهي عن كراه المزارع مضطرب الألفاظ ولا يصح، والقول بقصة خير أولى وهو حديث صحيح. وقد أجاز طائفة من التابعين ومن بعدهم أن يعطى الرجل نسيفته ودابته، كما يعطى أرضه بجزء مما يرزقه الله في العلاج بها. وجعلوا أصلهم في ذلك القراض المجمع عليه على ما يأتي بيانه في «المزمل» إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى: «وَأَخْرَجُوا يَصْفِرُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَتَوَنَّ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ»<sup>(٢٢)</sup> وقال الشافعي في قول ابن عمر: «كما تخارم» ولا نرى بذلك بأسا حتى أخبرنا رافع بن خديج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها أي كما نكرى الأرض ببعض ما يخرج منها. قال: وفي ذلك نسخ لسنة خير.

قلت: وبما يصحح قول الشافعي في النسخ ما رواه الأئمة واللفظ للذارئطني عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المعاقل والمراينة والمخاربة وعن الثنيا إلا أن تعلم. صحيح. وروى أبو داود عن زيد بن ثابت قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المخاربة. قلت: وما المخاربة؟ قال: أن تأخذ الأرض ينصف أو ثلث أو رُج

الثامنة والثلاثون - في القراءات. قرأ الجمهور «ما بقي» بتحرك الباء، وسكتها الحسن، ومثله قول جرير:

هو الخليفة فأرضوا ما رضى لكم • ما ضى الغزيمة ما في حكمة جف •  
وقال عمر بن أبي ربيعة:

كم قد ذكرتك لو أجزى بذكركم • يا أشبه الناس كل الناس بالقمر •  
إني لأجلدك إن أنسى مقابله • حبا لرؤية من أشبهت في الصور •

(١) القراض (بكر القاف) ضد المساكاة هو ما يسي بالمخاربة ضد الحفظة؛ وهو إعطاء القارض (بكر الراء) وهو رب المال) القارض (بفتح الراء وهو العامل) مالا لتجربه على أن يكون له جزء معلوم من الربح.

(٢) راجع ج ١٩ ص ٥٤ (٣) الثنيا: هي أن يستق في ضد البيع شيء مجهول فيفسده. وعلق هو أن يباح شيء جزافا فلا يجوز أن يستق منه شيء. قل أكثر. وتكون «الثنيا» في المزارعة أن يستق بعد الحفيم أو الثلث ككل معلوم. (عن النهاية).

أصله «مارضى» و «أن أمي» فأسكنها وهو في الشعر كثير . ووجهه أنه شبه الياء بالألف فكما لا تصل الحركة إلى الألف فكذلك لا تصل هنا إلى الياء ، ومن هذه اللغة أحب أن أدعوك ، وأنتهى أن أفضيك<sup>(١)</sup> ، بأسكان الواو والياء . وقرأ الحسن « ما تني » بالألف وهى لغة طي ، يقولون لجارية : جارة<sup>(٢)</sup> ، وللناصية : ناصاة ، وقال الشاعر :

لمعرك لا أحتى التصعلك ما تني \* على الأرض قيسى يسوق الأباعرا

وقرأ أبو السَّيَّال من بين جميع القراء « من الرُّو » بكسر الراء المشددة وضم الباء وسكون الواو . وقال أبو الفتح عثمان بن جنى : شدَّ هذا الحرف من أمرين ، أحدهما الخروج من الكسر إلى الضم ، والآخر وقوع الواو بعد الضم في آخر الاسم . وقال المهدي : وجهها أنه نَقَم الألف فأتى بها نحو الواو التي الألف منها ، ولا ينبغي أن يحمل على غير هذا الوجه ، إذ ليس في الكلام اسم آخره واو ساكنة قبلها ضمة . وأمَّا اليكسائي وحزرة « الربا » لمكان الكسرة في الراء . الباقر بالتفخيم لفتحة الباء . وقرأ أبو بكر عن حاصم وحزرة « قَادُونَا » على معنى قَادُونَا غيركم ، مخفف المفعول . وقرأ الباقر « قَادُونَا » أى كونوا على إذن ، من قولك : إني على علم ، حكاه أبو عبيد عن الأصمعي<sup>(٣)</sup> . وحكى أهل اللغة أنه يقال : أذنت به لَذَا ، أى علمت به . وقال ابن عباس وغيره من المفسرين : معنى « قَادُونَا » فاستيقنوا الحرب من الله تعالى ، وهو بمعنى الإذن . ورجح أبو علي وغيره قراءة المد قال : لأنهم إذا أيسروا بإعلام غيرهم ممن لم ينته عن ذلك عليهم هم لا محالة . قال : ففى إعلامهم عليهم وليس فى علمهم إعلامهم . ورجح الطبري قراءة النقص لأنها تختص بهم . وإنما أيسروا على قراءة المد بإعلام غيرهم ، وقرأ جميع القراء « لَا تَقْلِبُون » بفتح التاء « وَلَا تُقْلِبُون » بضمها . وروى المفضل عن حاصم « لَا تَقْلِبُون » « وَلَا تَقْلِبُون » بضم التاء فى الأولى وقصحا فى الثانية على العكس . وقال أبو علي : ترجح قراءة الجماعة بأنها تناسب قوله : « وَإِنْ تُبْتُمْ » فى إسناد الفعلين إلى الفاعل ؛ فيجى . « تَقْلِبُون » بفتح التاء أشكل بما قبله .

(١) فى ج : أميك . (٢) فى جوب : جارة ، ناصاة . (٣) فى ب : أبو علي .

قوله تعالى : وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا  
خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾  
فيه تسع مسائل :

الأولى - قوله تعالى : (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ) لما حكم جل وعز لأرباب الربا برموس أموالهم عند الواجدين للآل، حكم في ذى العسرة بالنظرة إلى حال الميسرة ؛ وفلك أن تقيما لما طلبوا أموالهم التي لهم على بنى المخيرة شكوا العسرة - معنى بنى المفيرة - وقالوا : ليس لنا شيء ، وطلبوا الأجل إلى وقت ثمارهم ، فترلت هذه الآية « وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ » .  
الثانية - قوله تعالى : « وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ » مع قوله « وَإِنْ تَبَيَّنَ لَكُمْ رُمُوسُ أَمْوَالِكُمْ » يدل على ثبوت المطالبة لصاحب الدين على المدين وجواز أخذ ماله بغير رضاه .  
ويدل على أن الفريم متى امتنع من أداء الدين مع الإمكان كان ظالما ؛ فإن الله تعالى يقول : « فَلَكُمْ رُمُوسُ أَمْوَالِكُمْ » فجعل له المطالبة برأس ماله . فإذا كان له حق المطالبة فعل من عليه الدين لا محالة وجوب فضائه .

الثالثة - قال المهدوي وقال بعض العلماء : هذه الآية ناسخة لما كان في الجاهلية من بيع من أعسر . وحكى مكى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر به في صدر الإسلام . قاله ابن عطية : فإن ثبت فعل النبي صلى الله عليه وسلم فهو نسخ وإلا فليس بنسخ . قال الطحاوى : كان الحريباع في الدين أول الإسلام إذا لم يكن له مال يقضيه عن نفسه حتى نسخ الله ذلك فقال جل وعز : « وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ » . واحتجوا بحديث رواه الدارقطني من حديث مسلم بن خالد الزنجي : أخبرنا زيد بن أسلم عن ابن السيلاني <sup>(١)</sup> من سرق قال : كانت لرجل على مال - أو قال دين - فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يصب لي مالا فباعني منه ، أو باعني له . أخرجه البخاري بهذا الإسناد أطول منه . ومسلم ابن خالد الزنجي وعبد الرحمن بن اليلاني لا يحتج بهما . وقال جماعة من أهل العلم :

(١) في الأصول إلا نسخة : ب : « عن ابن السلياني » وهو تحريف - راجع تهذيب التهذيب .

قوله تعالى : « قَنْطَرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ » عامة في جميع الناس ، فكل من أعسر أنظر ، وهذا قول أبي هريرة والحسن وعامة الفقهاء . قال النحاس : وأحسن ما قيل في هذه الآية قول عطاء والضحاك والربيع بن خيثم . قال : هي لكل مُعْصِرٍ يُنْظَرُ في الزبا والدين كله . فهذا قول يجمع الأقوال ؛ لأنه يجوز أن تكون ناسخة عامة نزلت في الربا ثم صار حكم غيره حكما ، ولأن القراءة بالرفع بمعنى وإن وقع ذو عسرة من الناس أجمعين . ولو كان في الربا خاصة لكان النصب الوجه ، بمعنى وإن كان الذي عليه الربا ذا عسرة . وقال ابن عباس وشريح : ذلك في الربا خاصة ؛ فاما الديون وسائر المعاملات فليس فيها نَظَرَةٌ بل يؤدي إلى أهلها أو يحبس فيه حتى يوفيه ، وهو قول إبراهيم . واحتجوا بقول الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا » الآية . قال ابن عطية : فكان هذا القول يترتب إذا لم يكن فقر مُدْقِع ، وأما مع العدم والفقر الصريح فالحكم هو النظرة ضرورة .

الرابعة - من كثرت ديونه وطلب غرماؤه ما لهم فللحاكم أن يخلفه عن كل ماله ويترك له ما كان من ضرورته . روى ابن نافع عن مالك أنه لا يترك له إلا ما بؤاريه . والمشهور أنه يترك له كسوته المعتادة ما لم يكن فيها فضل ، ولا يُتْرَع منه رداؤه إن كان ذلك مُزْريا به . وفي ترك كسوة زوجته وفي بيع كتبه إن كان عالما خلاف . ولا يترك له مسكن ولا خادم ولا ثوب جمعة ما لم تقل قيمتها ؛ وعند هذا يحرم حبسه . والأصل في هذا قوله تعالى : « وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ قَنْطَرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ » . روى الأئمة واللفظ لمسلم عن أبي سعيد الخدري قال : أصيب رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمار أبتاعها فكثر دينه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تصدقوا عليه » فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغرمائه : « خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك » . وفي مصنف أبي داود : فلم يزد رسول الله صلى الله عليه وسلم غرماءه على أن خلق لهم ماله . وهذا نص ؛ فلم يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبس الرجل ، وهو معاذ بن جبل كما قال شريح ، ولا بملازمته ، خلافا لأبي حنيفة فإنه قال : يلزم لإمكان أن يظهر له مال ، ولا يكلف أن يكتب له ذكرا . والله توفيقنا .



الخامسة - ويحبس المفلس في قول مالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم حتى يتبين هُدمه . ولا يحبس عند مالك إن لم يُتهم أنه غيب ماله ولم يتبين لَدُّه . وكذلك لا يحبس إن حجَّ عُمره على ما ذكرنا .

السادسة - فإن جُمع مال المفلس ثم تَلَف قبل وصوله إلى أربابه وقبل البيع ، فعلى المفلس ضَمَانُهُ ، ودَيْنُ الغرماء ثابت في ذمته . فإن باع الحاكم ماله وقبض ثمنه ثم تَلَف الثمن قبل قبض الغرماء له ، كان عليهم ضَمَانُهُ وقد برئ المفلس منه . وقال محمد بن عبد الحكم : ضَمَانُهُ مِنَ الْمَفْلُسِ أَبَدًا حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْغُرَمَاءِ .

السابعة - العُسْرَةُ ضيق الحال من جهة عدم المال ؛ ومنه جيش العسرة . والنَّظَرَةُ التأخير . والمَيْسَرَةُ مصدر بمعنى اليسر . وارتفع « ذو » بكان التامة التي بمعنى وجد وحدث ؛ هذا قول سيويه وأبي علي وغيرهما . وأنشد سيويه :

فَدَى لَبْنِي دُهْلَ بْنَ شَيْبَانَ نَاقِي • إِذَا كَانَ يَوْمُ ذَوَاكَ أَكْبَأُ<sup>(١)</sup>

ويعجز النصب . وفي مصحف أبي بن كعب « وَإِنْ كَانَ ذَا عُسْرَةٍ » على معنى وإن كان المطلوب ذا عسرة . وقرأ الأعمش « وَإِنْ كَانَ مُعْسِرًا فَنَظَرَةٌ » . قال أبو عمرو الداني عن أحمد بن موسى : وكذلك في مصحف أبي بن كعب . قال النحاس ومكي والنقاش : وعلى هذا يختص لفظ الآية بأهل الرِّبَا ، وعلى من قرأ « ذُو » فهي عامة في جميع من عليه دين ، وقد تقدّم . وحكى المهدوي أن في مصحف عثمان « فَإِنْ كَانَ - بالفاء - ذُو عُسْرَةٍ » . وروى المعتز عن حجاج الوزاق قال : في مصحف عثمان « وَإِنْ كَانَ ذَا عُسْرَةٍ » ذكره النحاس . وقرأ الجماعة « نَظَرَةٌ » بكسر الظاء . وقرأ مجاهد وأبو رجاء والحسن « فَنَظَرَةٌ » بسكون الظاء ، وهي لغة تميمية وهم الذين يقولون : [ في ] كَرَمٌ زَيْدٌ بمعنى كَرَمَ زَيْدٌ ، ويقولون كَبَدٌ في كَيْدٍ . وقرأ نافع

(١) البيت لحقاس الماذني ، واسمه سمير بن النعمان . أراد : وقع يوم أوحضر يوم ونحو ذلك مما يقتصر فيه على القائل . وأراد باليوم يوما من أيام الحرب ، وصفه بالثقة بفعله كالأبل يهدفيه الكواكب ، ونسبه إلى الشبهة إما لكثرة السلاح الصليل فيه ، وإما لكثرة النجوم . ودخل بن شيان من بني بكر بن وائل ، وكان مقاس نازلا فيهم ، وأصله من قريش من عاتكة وهم من بني نهم . ( عن شرح الشواهد للشنترى ) . (٢) عن ب .

وحده « ميسرة » بضم السين، والجمهور يفتحها . وحكى النحاس عن مجاهد وعطاء « فأنظره »  
 - على الأمر - إلى ميسر هي « بضم السين وكسر الراء وإثبات الياء في الإدراج - وقرئ  
 « فأنظره » قال أبو حاتم لا يجوز فأنظره، إنما ذلك في « الفل » لأنها امرأة تكلمت بهذا  
 لنفسها، من نظرت تنظر فهي فأنظره؛ وما في « البقرة » فن التأخير، من قولك : أنظرتك  
 بالدين، أي أنرتك به . ومنه قوله : « فأنظرني إلى يوم يعنون » . وأجاز ذلك أبو إسحاق  
 الزجاج وقال : هي من أسماء المصادر ؛ كقوله تعالى : « لیس لَوْقَمَتَهَا كاذِبَةٌ » . وكقوله  
 تعالى : « تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ » وكذا « حَانَتِ الْأَعْيُنُ » وغيره .

الثامنة - قوله تعالى : « وَأَنْ تَصَدَّقُوا » ابتداء، وخبره ( خَيْرٌ ) . نذب الله تعالى بهذه  
 الألفاظ إلى الصدقة على المعسر وجعل ذلك خيرا من إنظاره ؛ قاله السدي وابن زيد  
 والضحاك . وقال الطبري : وقال آخرون : معنى الآية وأن تصدقوا على النبي والفقر خير لكم .  
 والصحيح الأول ؛ وليس في الآية مدخل للنفي .

التاسعة - روى أبو جعفر الطحاوي عن بُريدة بن الحَصِيب قال قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم : « من أنظر مصرا كان له بكل يوم صدقة » ثم قلت : بكل يوم مثله صدقة ؟  
 قال فقال : « بكل يوم صدقة ما لم يحل الدين فإذا أنظره بعد الحيل فله بكل يوم مثله صدقة » .  
 وروى مسلم عن أبي مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حوسب رجل من  
 كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخلط الناس وكان موسرا فكان يأمر  
 ضلثانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال قال الله عز وجل وجل نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه » .  
 وروى عن أبي قتادة أنه طلب غير ما له فواري عنه ثم وجده فقال : إني معسر . فقال : آله ؟  
 قال : آله . قال : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سره أن يغنيه الله  
 من كرب يوم القيامة فليغض عن معسر أو يرض عنه » ، وفي حديث أبي الهيثم الطويل - واسمه

(١) تابع ج ١٣ ص ٩٩٦ (٢) ج ١٠ ص ٢٧ (٣) ج ١٧ ص ١٦٤ (٤) ج ١٦ ص ١٠٨  
 (٥) ج ١٠ ص ٣٠٣ (٦) لسانة تاج الإقدام (٧) قوله : « قال آله قال آله »  
 قال النسوي : « الأول بمنزلة مسودة على الاستعانة ، والثاني بلام ، وأما فيها مكسرة - قال القاضي :  
 (وورثته بفتحها مع ما كثر أهل العربية لا يجوزون الكسر) » (٨) الطويل : حفة هديت .

كعب بن عمرو - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من أنظر مغيراً أو وضع عنه أظله الله في ظله " . ففي هذه الأحاديث من الترغيب ما هو منصوص فيها . وحديث أبي قتادة يدل على أن رب الدين إذا علم عسرة [ غريمه ] <sup>(١)</sup> أو ظننها حرمته عليه مطالبته ، وإن لم تثبت عسره عند الحاكم . وانظار المغير لغريمه تأخيره إلى أن يؤسر . والوضع عنه إسقاط الدين من ذمته . وقد جمع المعنيين أبو اليسر لغريمه حيث عا عنه الصحيفة وقال له : إن وجدت قضاء فأقض وإلا فانت في حل <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** <sup>(٣)</sup>

قيل : إن هذه الآية نزلت قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بتسع ليال ثم لم يزل يعملها شيء ، قاله ابن جريج . وقال ابن جبر ومقاتل : بسبع ليال . وروى بثلاث ليال . وروى أنها نزلت قبل موته بثلاث ساعات ، وأنه عليه السلام قال : " أجعلوها بين آية الربا وآية الدين " . وحكى مكي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " جاءني جبريل فقال أجعلها على رأس مائتين وثمانين آية " .

قلت : وحكى عن أبي بن كعب وأبن عباس وقناة أن آخر ما نزل : **« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ »** إلى آخر الآية <sup>(٤)</sup> . والقول الأول أعرف وأكثر وأصح وأشهر . ورواه أبو صالح عن ابن عباس قال : آخر ما نزل من القرآن **﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾** فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم : " يا محمد ضعها على رأس ثمانين ومائتين من البقرة " . ذكره أبو بكر الأنباري في كتاب الرد ، له ؛ وهو قول ابن عمر رضي الله عنه أنها آخر ما نزل ، وأنه عليه السلام عاش بعدها أحدًا وعشرين يوماً ، على ما يأتي بيانه في آخر سورة **« إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ »** <sup>(٥)</sup> إن شاء الله تعالى . والآية وعظ الجميع

(١) زيادة في درجوب وط (٢) راجع صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٩٤ طبعه بولاند

(٣) راجع ج ٨ ص ٣٠١ (٤) راجع ج ٢٠ ص ٢٢٩

الناس وأمر بخص كل إنسان . و « يَوْمًا » منصوب على المفعول لا على الظرف . « تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ » من نفعه . وقرأ أبو عمرو بفتح التاء وكسر الجيم ، مثل « إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ » واعتبارا بقراءة أبي « يَوْمًا يصيرون فيه إلى الله » . والباقون بضم التاء وفتح الجيم ، مثل « ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ » . « وَلَتَنْ رُدُّدَتْ إِلَى رَبِّي » واعتبارا بقراءة عبد الله « يَوْمًا تردون فيه إلى الله » وقرأ الحسن « يرجعون » بالياء ، على معنى يرجع جميع الناس . قال ابن جني : كأن الله تعالى رفق بالمؤمنين على أن يواجههم بذكر الرجعة ، إذ هي مما ينظر لها القلوب فقال لهم : « وَاتَّقُوا يَوْمًا » ثم رجع في ذكر الرجعة إلى الغيبة رفقاً بهم . وجمهور العلماء على أن هذا اليوم المختر منه هو يوم القيامة والحساب والتوفية . وقال قوم : هو يوم الموت . قال ابن عطية : والأول أصح بحكم الألفاظ في الآية . وفي قوله « إِلَى اللَّهِ » مضاف محذوف ، تقديره إلى حكم الله وفصل قضائه . « وَهُمْ » رد على معنى « كُلُّ » لا على اللفظ ، إلا على قراءة الحسن « يرجعون » فقوله « وَهُمْ » رد على ضمير الجماعة في « يرجعون » . وفي هذه الآية نص على أن الثواب والعقاب متعلق بكسب الأعمال ، وهو رد على الجبرية ، وقد تقدم .

قوله تعالى : يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينِكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَيْهِ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَخْشَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّاهِدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّاهِدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ

اللَّهُ وَأَقِمْ لِلشَّهَادَةِ وَأَذِّنْ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِنَجْوَةٍ حَاضِرَةٍ  
تَذِيرُوتَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا نَبَّيْتُمْ  
وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ  
وَيَعْلَمُكَ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٦﴾

فيه اثنتان ونحسون مسألة :

الأول - قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ ﴾ الآية . قال ضعيد بن  
المسيب : بلغني أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين . وقال ابن عباس : هذه الآية نزلت  
في السلم خاصة . معناه أن سلم أهل المدينة كان سبب الآية ، ثم هي تناول جميع المدائنات  
إجماعا . وقال ابن خزيمة منسدا : إنها تضمنت ثلاثين حكما . وقد استدلل بها بعض علمائنا  
على جواز التأجيل في القروض ، على ما قال مالك ، إذ لم يفصل بين القرض وسائر المقصود  
في المدائنات . وخالف في ذلك الشافعية وقالوا : الآية ليس فيها جواز التأجيل في سائر  
الدبون ، وإنما فيها الأمر بالإشهاد إذا كان ديناً مؤجلاً ، ثم يعلم بدلالة أخرى جواز التأجيل  
في الدين وامتناعه .

الثانية - قوله تعالى : ﴿ بَدِينٍ ﴾ تأكيد ، مثل قوله « وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ » .  
« فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ » . وحقيقة الدين عبارة عن كل معاملة كان أحد العوضين  
فيها نقدا والآخر في الذمة نسيئة ، فإن العين عند العرب ما كان حاضرا ، والدين ما كان غائبا ،  
قال الشاعر :

وَعَدْتُنَا بِدِرْهَمَيْنَا طِلَاءَ • وَشِوَاءَ مَعْجَلَا غَيْرِ دَيْنٍ

وقال آخر :

لِتَرْجِمَ بِي الْمَنَآيَا حَيْثُ شَأْتِ • إِذَا لَمْ تَرْجِمْ بِي فِي الْحَقِيرَتَيْنِ

إِذَا مَا أَوْقَدُوا حَطْبًا وَنَارًا • فَذَلِكَ الْمَوْتُ تَقْدَا غَيْرِ دَيْنٍ

وقد بين الله تعالى هذا المعنى بقوله الحق « إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى » .

الثالثة - قوله تعالى : ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال ابن المنذر: دل قول الله «إلى أجل مُّسمى» على أن السلم إلى الأجل المجهول غير جائز، ودلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على مثل معنى كتاب الله تعالى. ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدِم المدينة وهم يستلقون في الثمار الستين والثلاث؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أسلف في تمر فلا يسلِف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم» رواه ابن عباس. أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما. وقال ابن عمر: كان أهل الجاهلية يتبايعون لحَمِ الخَزْزُرِ إلى حَبْلِ الحَبْلَةِ. وحبل الحبلَة: أن تتخج الناقة ثم تحمل التي تُنْجِت. فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وأجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن السلم الجائز أن يسلِم الرجل إلى صاحبه في طعام معلوم موصوف، من طعام أرض عاتمة لا يخطئ مثلها، بكل معلوم، إلى أجل معلوم بدنانير أو دراهم معلومة، يدفع عن ما أسلم فيه قبل أن يفرقا من مقامهما الذي تبايعا فيه، وسميا المكان الذي يُقبَض فيه الطعام. فإذا فعلا ذلك وكان جائز الأمر كان سلما صحيحا لا أعلم أحدا من أهل العلم يبطله.

قلت: وقال علماءنا: إن السلم إلى الحصاد والحدّاذ والتبّروز والمهَرَجَان جائز؛ إذ ذلك يختص بوقت وزمن معلوم.

الرابعة - حدّ علماءنا رحمة الله عليهم السلم فقالوا: هو بيع معلوم في الذمة محصور بالصفة بعين حاضرة أو ما هو في حكمها إلى أجل معلوم. فتقيده بمعلوم في الذمة يفيد التحرز من المجهول، ومن السلم في الأعيان المعينة؛ مثل الذي كانوا يستلقون في المدينة حين قدِم عليهم النبي عليه السلام لأنهم كانوا يستلقون في ثمار نخيل بأعيانها؛ فنهاهم عن ذلك لما فيه من الضرر؛ إذ قد تخلف تلك الأشجار فلا تُثمر شيئا.

وقولهم «تَحْصُورُ بالصفة» تحرز عن المعلوم على الجملة دون التفصيل؛ كما لو أسلم في تمر أو ثياب أو حيتان ولم يبيّن نوعها ولا صفتها المعينة.

وقولهم «بعين حاضرة» تحرز من الدين بالدين. وقولهم «أو ما هو في حكمها» تحرز من اليومين والثلاثة التي يجوز تأخير رأس مال السلم إليه، فإنه يجوز تأخيره عندنا ذلك القدر، بشرط

وبغير شرط لقرب ذلك ، ولا يجوز اشتراطه عليها . ولم يُعز الشافعي - ولا الكوفي - تأخير رأس مال السلم من العقد والاتراق ، ورأوا أنه كالصرف . ودليلنا أنه البابين مختلفان بأخص أوصافهما ؛ فإن الصرف بأبه ضيق كثرت فيه الشروط بخلاف السلم فإن شواثب للمعاملات عليه أكثر . والله أعلم .

وقولهم « إلى أجل معلوم » تحرز من السلم الحال فإنه لا يجوز حل المشهور وصياني . ووصف الأجل بالمعلوم تحرز من الأجل المجهول الذي كانوا في الجاهلية يسلمون إليه .

الخامسة - السلم والسلف عبارتان عن معنى واحد وقد جاءا في الحديث ؛ فبأن الاسم الخاص بهذا الباب « السلم » لأن السلف يقال على القرض . والسلم بيع من البيوع الجائزة بالاتفاق ، مستثنى من نهي عليه السلام عن بيع ما ليس عندك . وأرخص في السلم ؛ لأن السلم لما كان بيع معلوم في الذمة كان بيع غائب تدعو إليه ضرورة كل واحد من المتبايعين ؛ فإن صاحب رأس المال محتاج إلى أن يشتري الثمرة ، وصاحب الثمرة محتاج إلى ثمنها قبل إتمامها ليتفق عليها ، فظهر أن بيع السلم من المصالح الحاجية ، وقد سماه الفقهاء بيع المحايج ، فإن جاز حالا بطلت هذه الحكمة وارتفعت هذه المصلحة ، ولم يكن لاستثنائه من بيع ما ليس عندك فائدة . والله أعلم .

السادسة - في شروط السلم المتفق عليها والمختلف فيها وهي تسعة : ستة في المسلم فيه ، وثلاثة في رأس مال السلم . أما الستة التي في المسلم فيه فإن يكون في الذمة ، وأن يكون موصوفا ، وأن يكون مقدرا ، وأن يكون مؤجلا ، وأن يكون الأجل معلوما ، وأن يكون موجودا عند محل الأجل . وأما الثلاثة التي في رأس مال السلم فإن يكون معلوم الجنس ، مقدرا ، تقدا . وهذه الشروط الثلاثة التي في رأس المال متفق عليها إلا النقد حسب ما تقدم . قال ابن العربي : وأما الشرط الأول وهو أن يكون في الذمة فلا إشكال في أن المقصود منه كونه في الذمة ؛ لأنه مديونية ، ولولا ذلك لم يُشرع ديناً ولا قصد الناس إليه ربما ورقا . وعلى ذلك القول اتفق الناس ، بيد أن مالكا قال ؛ لا يجوز السلم في المعين إلا بشرطين :

أحدهما أن يكون قربة مأمونة ، والثاني أن يشرع في أخذه كاللبن من الشاة والرطب من النخلة ، ولم يقل ذلك أحد سواه . وهاتان المسألتان صحيحتان في الدليل ؛ لأن التمين امتنع في السلم بخلاف المزائنة والقرر ؛ فلا يتعذر عند المحل . وإذا كان الموضع مأمونا لا يتعذر وجود ما فيه في الغالب جاز ذلك ؛ إذ لا يثبت ضمان العواقب على القطع في مسائل الفقه ؛ ولا بد من احتمال القرر اليسير ، وذلك كثير في مسائل الفروع ، تعددها في كتب المسائل . وأما السلم في اللبن والرطب مع الشروع في أخذه فهي مسألة مدنية اجتمع عليها أهل المدينة ، وهي مبنيّة على قاعدة المصلحة ؛ لأن المرء يحتاج إلى أخذ اللبن والرطب مياومة ويشق أن يأخذ كل يوم ابتداء ؛ لأن التقد قد لا يحضره ولأن السعر قد يختلف عليه ، وصاحب النخل واللبن يحتاج إلى التقد ؛ لأن الذي عنده عروس لا يتصرف له . فلما اشتركا في الحاجة رخص لهما في هذه المعاملة قياسا على العرايا وفيها من أصول الحاجات والمصالح . وأما الشرط الثاني وهو أن يكون موصوفا فاتفق عليه ، وكذلك الشرط الثالث . والتقدير يكون من ثلاثة أوجه : الكيل ، والوزن ، والمسدد ، وذلك يتبنّى على العرف ؛ وهو إما عرف الناس وإما عرف الشرع . وأما الشرط الرابع وهو أن يكون مؤجلا فاختلف فيه ؛ فقال الشافعي : يجوز السلم الحال ، ومنه الأكثر من العلماء . قال ابن العربي : واضطربت المالكية في تقدير الأجل حتى ودّوه إلى يوم ؛ حتى قال بعض علمائنا : السلم الحال جائز . والصحيح أنه لا بد من الأجل فيه ؛ لأن المبيع على ضربين : متجبل وهو العين ، ومؤجل . فإن كان حالا ولم يكن عند المسلم إليه فهو من باب : بيع ما ليس عندك ، فلا بد من الأجل حتى يخلص كل عقد على صفته وعلى شروطه ، وتتزل الأحكام الشرعية منازلها . وتحديدته عند علمائنا مدة تختلف الأسواق في مثلها . وقول الله تعالى : « إلى أجل مسمى » وقوله عليه السلام : « إلى أجل معلوم » ينفي عن قول كل قائل .

قلت - الذي أجازته علمائنا من السلم الحال ما تختلف فيه البلدان من الأسعار ، فيجوز السلم فيما كان بينه وبينه يوم أو يومان أو ثلاثة . فأما في البلد الواحد فلا ؛ لأن سعره واحد ،



والله أعلم . وأما الشرط الخامس وهو أن يكون الأجل معلوما فلا خلاف فيه بين الأمة ،  
لوصف الله تعالى ونبيه الأجل بذلك . وانفرد مالك دون الفقهاء بالأصاحار بجواز البيع  
إلى الجَدَّاذ والحَصَاد ؛ لأنه رآه معلوما . وقد مضى القول في هذا عند قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ  
عَنِ الْآهِلَةِ » <sup>(١)</sup> . وأما الشرط السادس وهو أن يكون موجودا عند المحل فلا خلاف فيه  
بين الأمة أيضا ؛ فإن انقطع المبيع عند محل الأجل بأمر من الله تعالى انفسخ العقد عنه  
كافة العلماء .

السابعة - ليس من شرط السلم أن يكون المسلم إليه مالكا للسلم فيه خلافا لبعض  
السلف ، لما رواه البخاري عن محمد بن المجالد قال : بعني عبد الله بن شداد وأبو ردة إلى  
عبد الله بن أبي أوفى قالا : سلمه هل كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في عهد النبي  
صلى الله عليه وسلم يُسلفون في الحنطة ؟ فقال عبد الله : كما تُسلف نبيط <sup>(٢)</sup> أهل الشام في الحنطة  
والشعير والزيت في كل معلوم إلى أجل معلوم . قلت : إلى من كان أصله عنده ؟ قال :  
ما كنا نسلم عن ذلك . ثم بعثني إلى عبد الرحمن بن أبيزى فسأله فقال : كان أصحاب النبي  
صلى الله عليه وسلم يُسلفون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم نسلمهم لهم حث أم لا ؟ .  
وشرط أبو حنيفة وجود المسلم فيه من حين العقد إلى حين الأجل ، مخافة أن يطلب المسلم  
فيه فلا يوجد فيكون ذلك غررا ؛ وخالفه سائر الفقهاء وقالوا : المرأى وجوده عند الأجل .  
وشرط الكوفيون والثوري أن يذكر موضع القبض فيما له حمل ومؤنة وقالوا : السلم فاسد  
إذا لم يذكر موضع القبض . وقال الأوزاعي : هو مكروه . وعندنا لو مكتوبته لم يفسد  
العقد ، ويتعين موضع القبض ؛ وبه قال أحمد وإسحاق وطائفة من أهل الحديث ؛ لحديث  
ابن عباس فإنه ليس فيه ذكر المكان الذي يقبض فيه السلم ، ولو كان من شروطه لينه النبي  
صلى الله عليه وسلم كإبراهيم الكيل والوزن والأجل ؛ ومثله حديث ابن أبي أوفى .

(١) جامع ج ٢ من ٣٤١ (٢) القبط (فتح الموحدين) خمسة ج ٢ (٣) لعل هو الماعز .  
وقيل : لعم يزولون البطاخ ؛ وهو ما به لاحتهم إلى استخراج المياه من الياض لكثرة طلبهم القلاحة . وقيل :  
ضاد الشام الذين عمروها . (من القسطنطين) .

العامية - روى أبو داود عن سعد (يعني الطائي) عن عطية بن سعد عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ أَصْلَفَ فِي شَيْءٍ فَلَا يَغْفِرْهُ إِلَى غَيْرِهِ " . قال أبو محمد عبد الحق بن عطية : هو التوقيف ولا يمحج أحد بمحدثه ، وإن كان الأجلية قد رَوَوْا عنه . قال مالك : الأمر عندنا فيمن أصلف في طعام بسعر معلوم إلى أجل مسمى خُلَّ الأجل فلم يجد المُبتاع عند البائع وفاء مما ابتاعه منه فاقاله ، أنه لا ينبغي له أن يأخذ منه إلا ورقه أو ذهبه أو الثمن الذي دفع إليه بعينه ، وأنه لا يشتري منه بذلك الثمن شيئا حتى يفيضه منه ، وذلك أنه إذا أخذ غير الثمن الذي دفع إليه أو صرفه في سلعة غير الطعام الذي ابتاع منه فهو بيع الطعام قبل أن يستوفي . قال مالك : وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الطعام قبل أن يستوفي .

التاسعة - قوله تعالى : ( فَأَكْتُبُوهُ ) يعني الذين والأجل . ويقال : أمر بالكتابة ولكن المراد الكتابة والإشهاد ، لأن الكتابة بنسب شهود لا تكون حجة . ويقال : أمرنا بالكتابة ليكلا نلتقى - وروى أبو داود الطيالسي في مسنده عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل : « إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ » إلى آخر الآية : " إن أول من عهد آدم عليه السلام إن الله أراه ذريته فرأى رجلا أزهر ساطعا نوره فقال يارب من هذا قال هذا ابنته داود قال يارب فإ عمره قال متون سنة قال يارب زده في عمره فقال لا إلا أن تزيد من عمره قال وما عمرى قال ألف سنة قال آدم فقد وهبت له أربعين سنة قال فكتب الله عليه كتابا وأشهد عليه ملائكته فلما حضرته الوفاة جاءت الملائكة قال إنه بقي من عمرى أو بعون سنة قالوا إنك قد وهبتها لأبنك داود قال ما وهبت لأحد شيئا قال فأنزع الله تعالى الكتاب وشهد عليه ملائكته - في رواية : وأتم لداود مائة سنة ولآدم عمره ألف سنة . نخرج الترمذي أيضا . وفي قوله « فَأَكْتُبُوهُ » إشارة ظاهرة إلى أنه يكتبه بجميع صفته المهيبة له

المعيرة عنه ؛ للاختلاف التوهم بين المتعاملين ، المعرفة للحاكم ما يحكم به عند ارتضاعهما إليه والله أعلم .

المشارة - ذهب بعض الناس إلى أن كتب الديون واجب على أر بابها ، فرض يله الآية ، فيما كان أو قرضاً ، لتلاقم فيه نسيان أو جحود ، وهو اختيار الطبري . وقال ابن جريج : من اذنان فليكتب ، ومن باع فليشهد . وقال الشعبي : كانوا يرون أن « قوله فَإِنْ أَمِنَ » ناسخ لأمره بالكتب . وحكى نحوه ابن جريج ، وقاله ابن زيد ، وروى عن أبي سعيد الخدري . وذهب الربيع إلى أن ذلك واجب بهذه الألفاظ ، ثم خففه الله تعالى بقوله : « فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا » . وقال الجمهور : الأمر بالكتب نذب إلى حفظ الأموال وإزالة الريب ، وإذا كان الغريم تقياً فما يضره الكتاب ، وإن كان غير ذلك فالكتاب ثقاف<sup>(١)</sup> في دينه وحاجة صاحب الحق . قال بعضهم : إن أشهدت فخرم ، وإن استمتت فني حل وسعة . ابن عطية : وهذا هو القول الصحيح . ولا يترتب نسخ في هذا ؛ لأن الله تعالى نذب إلى الكتاب فيما لزمه أن يبه ويتركه بإجماع ، فندبه إنما هو على جهة الحيلة للناس .

الحادية عشرة - قوله تعالى : ﴿ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ قال عطاء وغيره : واجب على الكاتب أن يكتب ؛ وقاله الشعبي ، وذلك إذا لم يوجد كاتب سواء فواجب عليه أن يكتب . السدي : واجب مع الفراغ . وحذفت اللام من الأول وأثبتت في الثاني ؛ لأن الثاني غائب والأول للمخاطب . وقد ثبتت في المخاطب ؛ ومنه قوله تعالى : « فلتقرحوا<sup>(٢)</sup> » بالناه . ونحذف في الغائب ؛ ومنه :

مُحَدِّدٍ نَفْسِكَ كُلِّ نَفْسٍ • إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَايَا

الثانية عشرة - قوله تعالى : « بِالْعَدْلِ » أي بالحق والمعدلة ، أي لا يكتب لصاحب الحق أكثر مما قاله ولا أقل . وإنما قال « بَيْنَكُمْ » ولم يقل أحدهم ؛ لأنه لما كان الذي له الدين يتيم في الكتابة الذي عليه الدين وكذلك بالعكس شرع الله سبحانه كاتباً غيرهما يكتب بالعدل لا يكون قلبه ولا قلبه موافقة لأحدهما على الآخر . وقيل : إن الناس لما كانوا يتعاملون

(١) ثقاف : لغة زدك . (٢) راجع ٨ ص ٢٥١ (٣) في درر حرارط : « مرادة » .

حتى لا يشد أحدهم عن المعاملة، وكان منهم من يكتب ومن لا يكتب، أمر الله سبحانه أن يكتب بينهم كاتب بالعدل .

الثالثة عشرة - الباء في قوله تعالى «بِالْعَدْلِ» متعلقة بقوله : «وَلْيَكْتُبْ» وليست متعلقة به «كَاتِبٌ» لأنه كان يلزم ألا يكتب وثيقة إلا بالعدل في نفسه، وقد يكتبها الصبي والعبد والمتحوط إذا أقاموا فقهها . أما المتصبون لكتبتها فلا يجوز للولاة أن يتركهم إلا عدولا مرضيين . قال مالك رحمه الله تعالى : لا يكتب الوثائق بين الناس إلا عارف بها عدل في نفسه مأمون ؛ لقوله تعالى : «وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ» .

قلت : فالباء على هذا متعلقة بـ «كاتب» أي يكتب بينكم كاتب عدل ؛ فـ «بالعدل» في موضع الصفة .

الرابعة عشرة - قوله تعالى : «وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ» نهى الله الكاتب عن الإباء . واختلف الناس في وجوب الكتابة على الكاتب والشهادة على الشاهد ؛ فقال الطبري والربيع : واجب على الكاتب إذا أمر أن يكتب . وقال الحسن : ذلك واجب عليه في الموضع الذي لا يقدر على كاتب غيره ، فيضر صاحب الدين إن امتنع ؛ فإن كان كذلك فهو فريضة ، وإن قدير على كاتب غيره فهو في سعة إذا قام به غيره . السدي : واجب عليه في حال فراغه ، وقد تقدم . وحكى المهدوي عن الربيع والضحاك أن قوله «وَلَا يَأْبَ» منسوخ بقوله «وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ» .

قلت : هذا يخفى على قول من رأى أو ظن أنه قد كان وجب في الأول على كل من اختاره المتبايعان أن يكتب ، وكان لا يجوز له أن يمتنع حتى نسخه قوله تعالى : «وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ» وهذا بعيد ، لأنه لم يثبت وجوب ذلك على كل من أراده المتبايعان كتابا من

(١) اضطربت الأصول في رسم هذه الكلمة ، قرأب : «والمنخرط» وفي ٥ : «د» : «والمنخرط» وفي ١ : «والمنخرط» وفي ٢ : «المحرد» وأيضا اضطرب رسمها في قسم ابن حلية ؛ ففي التيمورية : «والمنخرط» وفي ٢ : «والمنخرط» ولعل سوابها «والمنخرط» . (٢) وردت هذه الجملة في الأصول وتفسير ابن حلية والبر لا يجان هكذا : «أما أن المتصين لكتبتها لا يجوز... الخ» وفي هذه الصورة غير واضحة .

كان . ولو كانت الكتابة واجبة ماصح الاستعجار بها ؛ لأن الإجارة على فعل الفروض باطلة ، ولم يختلف العلماء في جواز أخذ الأجرة على كُتُب الوثيقة . ابن العربي : والصحيح أنه أمر إرشاد فلا يكتب حتى يأخذ حقه . وأبى يابى شاذ ، ولم يحى إلا قل يلقى وأبى يابى <sup>(١)</sup> وغشى يقسى وجبى الخراج يجي ، وقد تقدم .

الخامسة عشرة — قوله تعالى : ( كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ ) الكاف في « كما » متعلقة بقوله « أَنْ يَكْتُبَ » المعنى كتبها كما علمه الله . ويحتمل أن تكون متعلقة بما في قوله « وَلَا يَأَبَ » من المعنى ، أى كما أنعم الله عليه بعلم الكتابة فلا يَأَب هو ويُفَضِّل كما أفضّل الله عليه . ويحتمل أن يكون الكلام على هذا المعنى تاما عند قوله « أَنْ يَكْتُبَ » ثم يكون « كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ » ابتداء كلام ، وتكون الكاف متعلقة بقوله « فَلْيَكْتُبْ » .

السادسة عشرة — قوله تعالى : ( وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ) وهو المدبون المطلوب يُقَرَّر على نفسه بلسانه ليُعلم ما عليه . والإملاء والإملا لنتان ، آتِل وآمِل ؛ فأمل لنة أهل الجواز وبني أسد ، وتميم نقول : أَمَلَيْت . وجاء القرآن باللغتين ؛ قال عز وجل : « فَهِيَ تُمَلِّ عَلَيْهِ بُكَرَةً وَأَصِيلًا » <sup>(٢)</sup> . والأصل أَمَلَيْتُ ، أُبدل من اللام ياء لأنه أخف . فأمر الله تعالى الذى عليه الحق بالإملاء ؛ لأن الشهادة إنما تكون بسبب إقراره . وأمره تعالى بالتقوى فيما يُمَلِّ ، ونهى عن أن يتخس شيئا من الحق . والبخس النقص . ومن هذا المعنى قوله تعالى : « وَلَا يَحِلُّ لِمَنْ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِمْ » <sup>(٣)</sup> .

السابعة عشرة — قوله تعالى : ( فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضِعْفًا ) قال بعض الناس : أى صغيرا . وهو خطأ فإن السفيه قد يكون كبيرا على ما يأتى بيانه . « أَوْ ضِعْفًا » أى كبيرا لا عقل له . ( أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَلِّ ) جعل الله الذى عليه الحق أربعة أصناف : مستقل بنفسه يُمَلِّ ، وثلاثة أصناف لا يُمَلُّون وتقع نوازلهم في كل زمن ، وكون الحق يترتب لهم في جهات سوى المعاملات كالمواريث إذا قُسمت وغير ذلك ، وهم السفيه والضعيف والذى لا يستطيع أن يُمَلِّ . فالسفيه المهتلل الراى في المال الذى لا يحسن الأخذ لنفسه ولا الإعطائه

(١) صى الجبل أظلم . في ج ١٥٥ ص ١٥١ ، دل أوج : صى يصى . والضمير من البيان .

(٢) راجع ج ١٣ ص ٢ (٣) راجع ص ١١٨ من هذا الجزء .

منها، مثبّة بالتوب السفيه وهو الخفيف النسيج . والبديء اللسان يسمى سفيا؛ لأنه لا تكاد تنطق البذاءة إلا في جهال الناس وأصحاب المقول الخفيفة . والعرب تطلق السفه على ضعف العقل تارة وعلى ضعف البدن أخرى؛ قال الشاعر :

تَخَافُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلَامُنَا • وَيَجْهَلُ الدَّهْرُ مَعَ الْحَالِ

وقال ذوالرزمة :

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَرَّتْ رِمَاحُ تَسْفَهَتْ • أَعَالِيهَا مَرَّ الرِّيحِ النَّوَاسِمِ

أى استضعفها واستلانتها فخرّكها . وقد قالوا : الضعف بضم الضاد في البدن ويفتحها في الرأي ، وقيل : هما لغتان . والأقول أصح ، لما روى أبو داود عن أنس بن مالك أن رجلا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان يتناع وفي عقله ضعف فأتى أهله نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا نبي الله، أُنَجِّرْ عَلَيَّ فُلَانٌ فَإِنَّهُ يَتَنَاعُ وفي عقله ضعف . فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه عن البيع ؛ فقال : يا رسول الله، إني لا أصبر عن البيع ساعة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن كنت غير تارك البيع فقل ما وعا ولا خلافة " . وأخرجه أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي الترمذي من حديث أنس وقال : هو صحيح ، وقال : إن رجلا كان في عقله ضعف ؛ وذكر الحديث . وذكره البخاري في التاريخ وقال فيه : " إذا بايعت فقل لا خلافة وأنت في كل سيلة ابتمتها بالخيار ثلاث ليال " . وهذا الرجل هو حَبَّانُ بْنُ مُنْقِذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَنْصَارِيِّ وَالِدِ يَحْيَى وَوَأَسْعِ ابْنِ حَبَّانٍ : وقيل : هو منقذ جد يحيى وأوسع شيوخ مالك والدة حَبَّانٍ ، أتى عليه مائة وثلاثون سنة ، وكان شُجَّجٌ في بعض مغازيه مع النبي صلى الله عليه وسلم مأمومة خُيِّلَ مِنْهَا عَقْلُهُ وَلِسَانُهُ : وروى الذارقطني قال : كان حَبَّانُ بْنُ مُنْقِذِ رجلا ضعيفا ضرير البصر وكان قد سَفِغَ فِي رَأْسِهِ مَأْمُومَةٌ ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم له الخيار فيما يشتري ثلاثة أيام ، وكان قد تَحَلَّى لِسَانَهُ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بَيْعٌ وَقُلْ لَا خِلَافَةَ " فكنت

(١) الخلابة : الهذبة حرره له طبع السلام : " هاردا " بتم الكلام طبع في ص ٣٥٠ من هذا الجزء .

(٢) حَبَّانُ بِالْفَتْحِ . (٣) شجرة آفة ومأمومة : بلغت أم الرأس . (٤) سفغ فلان فلانا : لطمه وضربه .

أسمعه يقول : لا خِذَابَةَ لا خِذَابَةَ . أخرجه من حديث ابن عمرو ، الخليفة في الخلافة ، ومنه قولهم : « إذا لم تَقْلِبْ فَاخْلِبْ » .

الثامنة عشرة - اختلف العلماء فيمن يُخَدِّع في البيوع لفظة خبرته وضمف عقله قول يصجر عليه أولا ؛ فقال بالجر عليه أحد وإحقاق . وقال آخرون : لا يصجر عليه . والقولان في المذهب ، والصحيح الأول ؛ لهذه الآية ، وقوله في الحديث : « ياتني الله أجهل على فلان » . وإنما ترك المجر عليه لقوله : « ياتني الله إنى لا أصبر عن البيع » ، فأباح له البيع وجعله خاصا به ؛ لأن من يُخَدِّع في البيوع ينبغي أن يُجَجَّر عليه لا سيما إذا كان ذلك لخُبْل عقله . ومما يدل على الخصومية ما رواه محمد بن إسماعيل قال : حدثني محمد بن يحيى بن حبان قال : هو جدى سعيد بن عمرو وكان رجلا قد أصابته أُمَّةٌ في رأسه فكسرت لسانه ونازعته عقله ، وكان لا يدع التجارة ولا يزال يَبْنِي ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ؛ فقال : « إذا وَصَّتْ فقل لا خِلافة ثم أنت في كل سَلْعَةٍ تبتاعها بالخيار ثلاث ليال فإن رَضِيتَ فأمسك وإن سَخِطْتَ فأرددها على صاحبها » . وقد كان عمر عمرًا طويلا ، عاش ثلاثين ومائة سنة . وكان في زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه حين فشا الناس وكثروا ، يتاجع البيع في السوق ويرجع به إلى أهله وقد غِنِ غِنًا قبيحا ، فيلومونه ويقولون له تبتاع ؟ فيقول : أنا بالخيار . إن رَضِيتُ أخذتُ وإن سَخِطْتُ رددتُ ، قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلني بالخيار ثلاثا . فبِذِ السَّلْعَةِ على صاحبها من الفد وبعد الفد ؛ فيقول : والله لا أقبلها ، قد أخذتُ سِلْعَتِي وأعطينتني دراهم ؛ قال فيقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعلني بالخيار ثلاثا . فكان يمر الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول للتاجر : ويحك ! إنه قد صدق ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان جعله بالخيار ثلاثا . أخرجه الدارقطني . وذكره أبو عمر في الاستيعاب وقال : ذكره البخاري في التاريخ عن عياض بن الوليد عن عبد الأمل عن ابن إسماعيل .

(١) في لسان العرب : « من قاله بالضم فمناه فاختدع . ومن قال بالكسر فمناه فالتفت قليلا وميلا به من » . كأنه أخذ من غلب الجارحة . قال ابن الأثير : معناه إذا أعياك الأمر مغالبة فاطلبه مخادعة » .

التاسعة عشرة - قوله تعالى : ( **أَوْشَقًا** ) الضعيف هو المدخول العقل الناقص الفطرة<sup>(١)</sup> العاجز عن الإملاء ، إنّا لنعيه أو نخرسه أو جهله بأداء الكلام ، وهذا أيضا قد يكون وليّه أبا أو وصيا . والذي لا يستطيع أن يُمَلّ هو الصغير ، ووليّه وصيه أو أبوه والغائب عن موضع الإشهاد ، إما لمرض أو لغير ذلك من العذر . ووليّه وكيله . وأما الآخر فسوغ أن يكون من الضعفاء ، والأولى أنه ممن لا يستطيع . فهذه أصناف تميز ؛ وسيأتى في « النساء »<sup>(٢)</sup> بيانها والكلام عليها إن شاء الله تعالى .

المرثية عشرين - قوله تعالى : ( **فَلْيَمْلِكْ وَلِيّه بِالْعَدْلِ** ) ذهب الطبري إلى أن الضمير في « وَلِيّه » عائد على « الحق » وأسند في ذلك عن الربيع ، وعن ابن عباس . وقيل : هو عائد على « الذي عليه الحق » وهو الصحيح . وما روى عن ابن عباس لا يصح . وكيف تشهد الأئمة على شيء وتدخل مالا في ذمة السفينة بإملاء الذي له الدين ! هذا شيء ليس في الشريعة . إلا أن يريد قائله : إن الذي لا يستطيع أن يُمَلّ لمرض أو كبر سن لتقل لسانه عن الإملاء لا يخرس ، وإذا كان كذلك فليس على المريض ومن تقل لسانه عن الإملاء لخرس ولىّ هند أحد العلماء ، مثل ما ثبت على الصبي والسفينة عند من يحجر عليه . فإذا كان كذلك فليُمَلّ صاحب الحق بالعدل ويُسمع الذي عجز ، فإذا كمل الإملاء أقر به . وهذا معنى لم تكن الآية إليه : ولا يصح هذا إلا فيمن لا يستطيع أن يُمَلّ لمرض ومن ذكر معه .

الحادية والعشرون - لما قال الله تعالى : ( **فَلْيَمْلِكْ الذي عَلَيْهِ الحق** ) دل ذلك على أنه هو بمن فيما يُورده ويُصدره ؛ فيقتضى ذلك قبول قول الراهن مع يمينه إذا اختلف هو والمرتهن في مقدار الدين والرهن قائم ، فيقول الراهن رهنتم بنحسين والمرتهن يدعى مائة ، فالقول قول الراهن والرهن قائم ، وهو مذهب أكثر الفقهاء : سفیان الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي ؛ واختاره ابن المنذر قال : لأن المرتهن مدّع للفضل ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « البينة على المدّعي واليمين على المدّعي عليه » . وقال مالك : القول قول المرتهن فيما بينه وبين قيمة الرهن ولا يصدق على أكثر من ذلك . فكانه يرى أن الرهن ويمينه شاهد

(١) كذا في د و ج ه ، والفطرة : الطبيعة والجيلة . وفي ج و أ : القطة .

(٢) كذا في د و ج ه ، في د و أ : لته . (٣) راجع ج ه ص ٥٨



للمرتين؛ وقوله تعالى «فَلْيَمْلِكِ اللَّهُ عَلَى الْحَقِّ» رد عليه . فإن الذي عليه الحق هو الرهن .  
وستأتى هذه المسألة . وإن قال قائل : إن الله تعالى جعل الرهن بدلا عن الشهادة والكتاب ،  
والشهادة دالة على صدق المشهود له فيما بينه وبين قيمة الرهن ، فإذا بلغ قيمته فلا وثيقة  
في الزيادة . قيل له : الرهن لا يدل على أن قيمته يجب أن تكون مقدار الدين ؛ فإنه ربما رهن  
الشيء بالقليل والكثير . نعم لا ينقص الرهن غالبا عن مقدار الدين ، فأما أن يطابقه فلا .  
وهذا القائل يقول : يصدق المرتين مع اليقين في مقدار الدين إلى أن يساوى قيمة الرهن .  
وليس العرف على ذلك فربما تنقص الدين عن الرهن وهو الغالب ، فلا حاصل لقولهم هذا .  
الثانية والعشرون - وإذا ثبت أن المراد الولي ففيه دليل على أن إقراره جائز على يمينه ؛  
لأنه إذا أملاه فقد نفذ قوله عليه فيما أملاه .

الثالثة والعشرون - وتصرف السفية المحجور عليه دون إذن وليه فاسد إجماعا مفسوخ  
أبدا لا يوجب حكما ولا يؤثر شيئا . فإن تصرف سفية ولا حجر عليه ففيه خلاف يأتي بيانه  
في «النساء» <sup>(٢)</sup> إن شاء الله تعالى .

الرابعة والعشرون - قوله تعالى : ﴿وَأَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ الاستشهاد  
طلب الشهادة . واختلف الناس هل هي فرض أو نذبة ، والصحيح أنه نذبة على ما يأتي  
بيانه إن شاء الله تعالى .

الخامسة والعشرون - قوله تعالى : ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ رتب الله سبحانه الشهادة بحكمته  
في الحقوق المالية والبدنية والحدود وجعل في كل فن شهادتين إلا في الزنا على ما يأتي بيانه  
في سورة «النساء» . وشهيد بناء مبالغة ؛ وفي ذلك دلالة على من قد شهد وتكرر ذلك منه .  
فكانه إشارة إلى العدالة . والله أعلم .

السادسة والعشرون - قوله تعالى : ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ نص في رفض الكفار والصبيان  
والنساء ، وأما العبيد فاللفظ يتناولهم . وقال مجاهد المراد الأحرار ، واختاره القاضى أبو إسحاق  
وأطنب فيه . وقد اختلف العلماء في شهادة العبيد ؛ فقال شريح وجماعة البصريين وأحمد بن حنبل

(١) في ١ - أ - الصبي . والصواب ما أثبتناه من ١ - ب .  
(٢) ٢ - أ - دارج .

وأبو ثور : شهادة العبد جائزة إذا كان عدلاً ، وغلبوا لفظ الآية . وقال مالك وأبو حنيفة والشافعي وجمهور العلماء : لا تجوز شهادة العبد ، وغلبوا نقض الرق ، وأجازها الشعبي والنخعي في الشيء اليسير . والصحيح قول الجمهور ، لأن الله تعالى قال : « يَرْبُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَعْتُمْ بَيْنَهُمْ » وساق الخطاب إلى قوله « مِنْ رِجَالِكُمْ » فظاهر الخطاب يتناول الذين يتدافعون ، والعبد لا يملكون ذلك دون إذن السادة . فإن قالوا : إن خصوص أول الآية لا يمنع التماق بعموم آخرها . قيل لم : هذا يخصه قوله تعالى : « وَلَا يَأْتِ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا » على ما يأتي بيانه . وقوله « مِنْ رِجَالِكُمْ » دليل على أن الأعمى من أهل الشهادة ، لكن إذا علم يقيناً ، مثل ما روى عن ابن عباس قال : مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشهادة فقال : « ترى هذه الشمس فاشهد على مثلها أودع » . وهذا يدل على اشتراط معاينة الشاهد لما يشهد به ، لا من يشهد بالاستدلال الذي يجوز أن يخطئ . نعم يجوز له وطء امرأته إذا عرف صوتها ، لأن الإقدام على الوطء جائز بقلبة الظن ، فلورقت إليه امرأة وقيل : هذه امرأتك وهو لا يعرفها جازله وطؤها ، ويحمل له قبول هدية جاءته بقول الرسول . ولو أخبره بخبر عن زيد بإقرار أو بيع أو قذف أو غصب لما جازله إقامة الشهادة على المخبر عنه ، لأن سبيل الشهادة اليقين ، وفي غيرها يجوز استعمال غالب الظن ، ولذلك قال الشافعي وابن أبي ليل وأبو يوسف : إذا علمه قبل العمى جازت الشهادة بعد العمى ، ويكون المعنى الحائل بينه وبين المشهود عليه كالفية والموت في المشهود عليه . فهذا مذهب هؤلاء . والذي يمنع أداء الأعمى فيما يتحمل بصيراً لا وجه له ، ونصح شهادته بالنسب الذي يثبت بالخبر المستفيض ، كما يخبر عما تواتر حكمه من الرسول صلى الله عليه وسلم . ومن العلماء من قبل شهادة الأعمى فيما طريقه الصوت ، لأنه رأى الاستدلال بذلك يترقى إلى حد اليقين ، ورأى أن اشتباه الأصوات كاشتباه الصور والألوان . وهذا ضعيف يلزم منه جواز الاعتماد على الصوت للبصير . قلت : مذهب مالك في شهادة الأعمى على الصوت جائزة في الطلاق وغيره إذا عرف للصوت . قل ابن قاسم : قلت لمالك : قال رجل يسمع جاره من وراء الحائط ولا يراه ،

إذا كان « القرطبي » سيجلد في مجلد واحد فتتوزع هذه الورقة

مكتبة دار الشعب  
٩٢ شارع قصر العيني - ت ٢٩٩٩١

# تفسير القرطبي

الجامع لأحكام القرآن  
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

خبركم من علم القرآن وفوائده  
رصدت لمصنفه

١٤

إذا كان « القرطبي » مسجل في مجلد واحد فتتبع هذه الورقة

يسمعه يطلق أمراته فيشهد عليه وقد عرف الصوت؟ قال قال مالك : شهادته جائزة . وقال ذلك علي بن أبي طالب والقاسم بن محمد وشريح الكندي والشعبي وعطاء بن أبي رباح ويحيى ابن سعيد وربيعة وإبراهيم النخعي ومالك والليث .

السابعة والعشرون - قوله تعالى : ( فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ) المعنى إن لم يأت الطالب برجلين فليأت برجل وامرأتين ؛ هذا قول الجمهور . « فرجل » رفع بالابتداء ، « وامرأتان » عطف عليه والخبر محذوف . أى فرجل وامرأتان يقومان مقامهما . ويجوز النصب في غير القرآن ، أى فاستشهدوا رجلا وامرأتين . وحكى سيويه : إن خنجرًا لخنجرًا . وقال قوم : بل المعنى فإن لم يكن رجلا ، أى لم يوجد فلا يجوز استشهاد المرأتين إلا مع عدم الرجال . قال ابن عطية : وهذا ضعيف ، فلفظ الآية لا يعطيه ، بل الظاهر منه قول الجمهور ، أى إن لم يكن المستشهد رجلين ، أى إن أغفل ذلك صاحب الحق أو قصده لغيرهما فليستشهد رجلا وامرأتين . فجعل تعالى شهادة المرأتين مع الرجل جائزة مع وجود الرجلين في هذه الآية ، ولم يذكرها في غيرها ، فأجيزت في الأموال خاصة في قول الجمهور ، بشرط أن يكون معهما رجل . وإنما كان ذلك في الأموال دون غيرها ؛ لأن الأموال أكثر الله أسباب توثيقها لكثرة جهات تحصيلها وعموم البلوى بها وتكررها ؛ فجعل فيها التوثيق تارة بالكتابة وتارة بالإشهاد وتارة بالرقن وتارة بالضمان ، وأدخل في جميع ذلك شهادة النساء مع الرجال . ولا يتوهم عاقل أن قوله تعالى « إِذَا تَدَانَيْتُمْ بَيْنَ يَدَيْنِ » يستعمل على دين المهر مع البضع ، وعلى الصلح على دم العمد ، فإن تلك الشهادة ليست شهادة على الدين ، بل هى شهادة على النكاح . وأجاز العلماء شهادتين منفردات فيما لا يطالع عليه غيرهن للضرورة . وعلى مثل ذلك أجيزت شهادة الصبيان في الجراح فيما بينهم للضرورة .

وقد اختلف العلماء في شهادة الصبيان في الجراح وهى :

الثامنة والعشرون - فأجازها مالك ما لم يختلفوا ولم يفتروا . ولا يجوز أقل من شهادة اثنين منهم على صغير كبير ولكبير على صغير . ومن كان يقضى بشهادة الصبيان فيما بينهم من الجراح عبد الله بن الزبير . وقال مالك : وهو الأمر عندنا المجتمع عليه . ولم يميز الشافعي

وهو حنيفة وأصحابه شهادتهم؛ لقوله تعالى « مِنْ رِجَالِكُمْ » وقوله « يَمُنُّ تَرْصُونَ » وقوله  
« قَدَرِي مَدِيلُ مِنْكُمْ » وهذه الصفات ليست في العربي .

الثامنة والعشرون - لما جعل الله سبحانه شهادة امرأتين بدل شهادة رجل وجب  
أن يكون حكمهما حكمه ؛ فكان له أن يحلف مع الشاهد عندنا ، وعند الشافعي كذلك ، يجب  
أن يحلف مع شهادة امرأتين بمطلق هذه العوضية . وخالف في هذا أبو حنيفة وأصحابه  
فلم يروا اليقين مع الشاهد وقالوا ؛ إن الله سبحانه قسم الشهادة وعددها ، ولم يذكر الشاهد  
واليقين ، فلا يجوز القضاء به ؛ لأنه يكون قسما زائدا على ما قسمه الله ، وهذه زيادة على  
النص ، وذلك نسخ . ومن قال بهذا القول الثوري والأوزاعي وعطاء والحكم بن عتيبة  
وطائفة . قال بعضهم ؛ الحكم باليمين مع الشاهد منسوخ بالقرآن . وزعم عطاء أن أزل من  
نقض به عبد الملك بن مروان ، وقال : الحكم ؛ القضاء باليمين والشاهد بدعة ، وأزل من حكم  
به معاوية . وهذا كله ظلم وظن لا يفنى من الحق شيئا ، وليس من تقى وجهه كمن أثبت  
وعلم ؛ وليس في قول الله تعالى : « وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ » الآية ، ما يؤد به  
قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليمين مع الشاهد ؛ ولا أنه لا يتوصل إلى الحقوق  
ولا يستحق إلا بما ذكر فيها لا غير ، فإن ذلك يبطل بنكول المطلوب ويمين الطالب ، فإن ذلك  
يستحق به المال إجماعا وليس في كتاب الله تعالى ، وهذا قاطع في الرد عليهم . قال مالك ؛  
فمن ألحجة على من قال ذلك القول أن يقال له ؛ أرايت لو أن رجلا ادعى على رجل مالا  
أليس يحلف المطلوب ما ذلك الحق عليه ؟ فإن حلف بطل ذلك الحق عنه ، وإن نكل عن  
اليمين حلف صاحب الحق ، أن حقه لحق ، وثبت حقه على صاحبه . فهذا مما لا اختلاف  
فيه عند أحد من الناس ولا يبلد من البلدان ، فأبى شيء أخذ هذا وفي أي كتاب الله  
وجدته ؟ فمن أقتر بهذا فليقر باليمين مع الشاهد . قال علماءنا ؛ ثم العجب مع شهرة الأحاديث  
ومحبتها بدعوا من عمل بها حتى نقضوا حكمه واستفصروا رأيه ، مع أنه قد عمل بذلك الخلفاء  
الأربعة وأبى من كتب ومعاوية وشرح ومهر بن عبد العزيز - وكتب به إلى عماله -

(١٧) في ط : اليمين .

(٢) تابع ١٥٧ ص ١٥٧

(٣) في ١٥ : أحلهم .

(٤) في ط : ١٥٧ ص ١٥٧

(٥) في ح : ١٥٧ ص ١٥٧



وإياس بن معاوية وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو الزناد وربيعة؛ ولذلك قال مالك؛ وإنه  
ليكنفى من ذلك ما مضى من عمل السنة، أترى هؤلاء تنقض أحكامهم، ويحكم بديعهم !  
هذا إغفال شديد، ونظر غير سديد . روى الأئمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم  
أنه قضى باليمين مع الشاهد . قال عمرو بن دينار : فى الأموال خاصة؛ رواه سيف بن سليمان  
عن قيس بن سعد عن عمرو بن دينار عن ابن عباس . قال أبو عمر : هذا أصح إسناد لهذا  
الحديث ، وهو حديث لا معلق لأحد فى إسناده، ولا خلاف بين أهل المعرفة بالحديث  
فى أن رجاله ثقات . قال يحيى القطان : سيف بن سليمان ثبت ، ما رأيت أحفظ منه .  
وقال النسائي : هذا إسناد جيد ، سيف ثقة ، وقيس ثقة . وقد خرج مسلم حديث  
ابن عباس هذا . قال أبو بكر البزار : سيف بن سليمان وقيس بن سعد ثقتان ، ومن بعدهما  
يُستغنى عن ذكرهما لشهرتهما فى الثقة والعدالة . ولم يأت عن أحد من الصحابة أنه أنكر  
اليمين مع الشاهد ، بل جاء عنهم القول به ، وعليه جمهور أهل العلم بالمدينة . واختلف فيه  
عن عمرو بن الزبير وابن شهاب ؛ فقال معمر : سألت الزهرى عن اليمين مع الشاهد  
فقال : هذا شيء أحدثه الناس ، لا بد من شاهدين . وقد روى عنه أنه أول ما ولي القضاء  
حكم بشاهد ويمين ؛ وبه قال مالك وأصحابه والشافعى وأتباعه وأحمد وإسحاق وأبو عبيد  
وأبو ثور ودาวود بن علي . وجماعة أهل الأثر، وهو الذى لا يجوز عندي خلافة، لتواتر الآثار به  
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمل أهل المدينة قرناً بعد قرن . وقال مالك : يقضى باليمين مع  
الشاهد فى كل البلدان ، ولم يحتج فى موطنه لمسألة غيرها . ولم يختلف عنه فى القضاء باليمين  
مع الشاهد ولا عن أحد من أصحابه بالمدينة ومصر وغيرهما ، ولا يعرف المالكيون فى كل  
بلد غير ذلك من مذهبهم إلا عندنا بالأندلس ؛ فإن يحيى [ بن يحيى ] زعم أنه لم ير الليث يفتى  
به ولا يذهب إليه موخالف يحيى مالكا فى ذلك مع مخالفته السنة والعمل بدار الهجرة ؛  
ثم اليمين مع الشاهد بزيادة حكم من لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كنهية عن نكاح  
المرأة على عمتها وعمل خالتها مع قول الله تعالى : « وَأَحْلَلْ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ » . وكهنية عن

أَكَلَ لَحْمَ الْحِمْرِ الْأَهْلِيَّةِ، وَكُلَّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ مَعَ قَوْلِهِ : « قُلْ لَا أُجِدُّ » . وَكُلَّمَا سَلَخَ عَلَى الْخَلْفَيْنِ ، وَالْقُرْآنُ إِنَّمَا وَرَدَ بِضِلِّ الرَّجُلَيْنِ أَوْ مَسْحَمَاهُمَا ؛ وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ . وَلَوْ جَازَ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ الْقُرْآنَ نَسَخَ حُكْمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ ، لَجَازَ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ الْقُرْآنَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا » . وَفِي قَوْلِهِ : « إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ » نَاسَخَ لِنَهْيِهِ عَنِ الْمُرَابَاةِ وَبَيْعِ الْقَرْوَرِ وَبَيْعِ مَا لَمْ يُخْتَقَ ، إِلَى سَائِرِ مَا نَهَى عَنْهُ فِي الْبَيْعِ ، وَهَذَا لَا يَسُوغُ لِأَحَدٍ ؛ لِأَنَّ السَّنَةَ مَبْنِيَّةٌ لِلْكَتَابِ . فَإِنْ قِيلَ : إِنْ مَا وَرَدَ مِنَ الْحَدِيثِ قَضِيَّةٌ فِي قَبْلِ فَلَا عَمُومَ . قُلْنَا : بَلْ ذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنْ تَقْيِيدِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ : أَرْجَبُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُكْمَ بِالْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ . وَمَا يَشْهَدُ لِهَذَا التَّأْوِيلِ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِشَاهِدٍ وَيَمِينٍ فِي الْحَقِّ ، وَمِنْ جِهَةِ الْقِيَاسِ وَالنَّظَرِ أَنَا وَجَدْنَا الْيَمِينَ أَقْوَى مِنَ الْمَرَاتِينِ ؛ لِأَنَّهُمَا لَا مَدْخَلَ لَهَا فِي اللَّعَانِ وَالْيَمِينِ تَدْخُلُ فِي اللَّعَانِ . وَإِذَا حَمَّتِ السَّنَةَ فَالْقَوْلُ بِهَا يَجِبُ ، وَلَا تَحْتَاجُ السَّنَةُ إِلَى مَا يَتْبَعُهَا <sup>(٣)</sup> ؛ لِأَنَّ مِنْ خَالِفِهَا مَجْجُوجٌ بِهَا . وَبِاللهِ التَّوْفِيقَ .

المؤوية ثلاثين - وإذا تقرر وثبت الحكم باليمين مع الشاهد ، فقال القاضي أبو محمد هبة الوهاب : ذلك في الأموال وما يتعلق بها دون حقوق الأبدان ؛ للإجماع على ذلك من كل قائل باليمين مع الشاهد . قال : لأن حقوق الأموال أخفض من حقوق الأبدان ؛ بدليل قبول شهادة النساء فيها . وقد اختلف قول مالك في جراح العمى ، هل يجب القود فيها بالشاهد واليمين ؟ فيه روايتان : إحداهما أنه يجب به التخيير بين القود والدية . والأخرى أنه لا يجب به شيء ؛ لأنه من حقوق الأبدان . قال : وهو الصحيح . قال مالك في الموطأ : وإنما يكون ذلك في الأموال خاصة ؛ وقاله عمرو بن دينار . وقال المازني <sup>(٥)</sup> : يقبل في المال المحض من غير خلاف ، ولا يقبل في النكاح والطلاق المحضين من غير خلاف . وإن كان مضمون الشهادة

(١) راجع ٧ ص ١١٥ (٢) راجع ٥ ص ١٥١ (٣) في ط ٥ : من يتابعها .

(٤) في ط ٥ : بدلالة . (٥) المازني : أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التيمي القفجي

الساكني ؛ توفي سنة ثمانين ومائة بالمزني ففتح الميم وبعدها انضم زاي ففتحة وقد كثرت أيضا ثم راء هذه النسبة إلى « مازر » وهي بلدة بمزيرة صفية . (عن ابن خلكان) .

ما ليس بمال، ولكنه يؤدي إلى المال، كالشهادة بالوصية والنكاح بعد الموت، حتى لا يطلب من ثبوتها إلا المال إلى غير ذلك، ففي قبوله اختلاف؛ فمن رأى المال قبله كما يقبله في المال، ومن رأى الحال لم يقبله. وقال المهدي: شهادة النساء في الحدود غير جائزة في قول عامة الفقهاء، وكذلك في النكاح والطلاق في قول أكثر العلماء؛ وهو مذهب مالك والشافعي وغيرهما؛ وإنما يشهدن في الأموال. وكل ما لا يشهدن فيه فلا يشهدن على شهادة غيرهن فيه، كان معهن رجل أو لم يكن، ولا يتقلن شهادة إلا مع رجل تقلن عن رجل وامرأة. ويُقضى باثنتين منهن في كل ما لا يحضره غيرهن كالولادة والاستيلاء ونحو ذلك. هذا كله مذهب مالك، وفي بعضه اختلاف.

الحادية والثلاثون — قوله تعالى: ﴿يَمُنُّ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ في موضع رفع على الضمة لرجل وامرأتين. قال ابن بكير وغيره: هذه مخاطبة للحكام. ابن عطية: وهذا فيه نبيل، وإنما الخطاب لجميع الناس، لكن المتلبس بهذه القضية إنما هم الحكام، وهذا كثير في كتاب الله يعم الخطاب فيما يتلبس به البعض.

الثانية والثلاثون — لما قال الله تعالى: ﴿يَمُنُّ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ دل على أنه في الشهود من لا يرضى، فيجىء من ذلك أن الناس ليسوا محمولين على العدالة حتى تثبت لهم، وذلك معنى زائد على الإسلام؛ وهذا قول الجمهور. وقال أبو حنيفة: كل مسلم ظاهر الإسلام مع السلامة من فسق ظاهر فهو عدل وإن كان مجهول الحال. وقال شريح وعثمان البتي وأبو ثور: هم عدول المسلمين وإن كانوا عبيدا.

قلت — فعمموا الحكم؛ ويلزم منه قبول شهادة البدوي على القروي إذا كان عدلاً مرضياً وبه قال الشافعي ومن وافقه، وهو من رجالنا وأهل ديننا. وكونه بدويًا بكونه من بلد آخر والعمومات في القرآن الدالة على قبول شهادة العدول تسوي بين البدوي والقروي؛ قال الله تعالى: ﴿يَمُنُّ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ ذ «منكم» خطاب للمسلمين. وهذا يقتضي قطعاً أن يكون معنى العدالة زائداً على الإسلام ضرورة؛ لأن الصفة زائدة

على الموصوف، وكذلك «يَمْنُ تَرْضَوْنَ» مثله، خلاف ما قال أبو حنيفة، ثم لا يعلم كونه مرضيا حتى يُتَّهَرَّ حاله، فيلزمه ألا يكنى بظاهر الإسلام. وذهب أحمد بن حنبل ومالك في رواية ابن وهب عنه إلى رد شهادة البَدَوِيِّ على القُرَوِيِّ لحديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تجوز شهادة بَدَوِيٍّ على صاحب قرية». والصحيح جواز شهادته إذا كان عدلا مرضيا، على ما أتى بيانه في «النساء»<sup>(١)</sup> و«براءة»<sup>(٢)</sup> إن شاء الله تعالى. وليس في حديث أبي هريرة فرق بين القُرَوِيِّ في الحضرة أو السفر، ومتى كان في السفر فلا خلاف في [قبوله]<sup>(٣)</sup>. قال علماؤنا: العدالة هي الاعتدال في الأحوال الدينية، وذلك يتم بأن يكون مجتنباً للجائر محافظاً على مروءته وعلى ترك الصفات، ظاهر الأمانة غير مغفل. وقيل: صفاء السريرة واستقامة السيرة في ظن المعدل، والمعنى متقارب.

الثالثة والثلاثون - لما كانت الشهادة ولاية عظيمة ومرتبة منيعة، وهي قبول قول الغير على الغير، شرط تعالى فيها الرضا والعدالة. فمن حكم الشاهد أن تكون له شائئيل ينفرد بها وقضائيل يتقلى بها حتى تكون له مزية على غيره، توجب له تلك المزية رتبة الاختصاص بقبول قوله، ويحكم بشغل ذمة المطلوب بشهادته. وهذا أدل دليل على جواز الاجتهاد والاستدلال بالأمارات والعلامات عند علمائنا على ما خفي من المعاني والأحكام. وسيأتي لهذا في سورة «يوسف» زيادة بيان إن شاء الله تعالى. وفيه ما يدل على تفويض الأمر إلى اجتهاد الحكام، فربما تفزّس في الشاهد غفلة أو ريبة فبرّد شهادته لذلك.

الرابعة والثلاثون - قال أبو حنيفة: يكنى بظاهر الإسلام في الأموال دون الحدود. وهذه مناقضة تسقط كلامه وتفسد عليه مرامه؛ لأننا نقول: حق من الحقوق. فلا يكنى في الشهادة عليه بظاهر الدين كالحدود؛ قاله ابن العربي.

الخامسة والثلاثون - وإذا قد شرط الله تعالى الرضا والعدالة في المداينة كما بينا فاشتراطها في النكاح أولى، خلافاً لأبي حنيفة حيث قال: إن النكاح ينقذ بشهادة فاسقين. فنفى

(١) راجع ج ٥ ص ١٢٤ (٢) راجع ج ٨ ص ٢٢٢ (٣) كتاب ط. وفي باقي الأصول؛ فلا خلاف في قوله (٤) راجع ج ٩ ص ١٧٢ فابعد ص ٢٤٥

الاحتياط المأمور به في الأموال عن النكاح ، وهو أولى لما يتصلق به من الحلل والحسرة والحد والنسب .

قلت : قول أبي حنيفة في هذا الباب ضعيف جداً ، لشرط الله تعالى الرضا والرضا ليس يعلم كونه مرضياً بمجرد إجماع الإسلام ، وإنما يعلم بالنظر في أحواله حسب ما تقدم . ولا يمتنع بظاهر قوله : أنا مسلم . فربما انطوى على ما يوجب رد شهادته ؛ مثل قوله تعالى : « وَيَنْتَهِى النَّاسُ مَنْ يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا فِي قُلُوبِهِ » إلى قوله « وَاللَّهُ لَا يُؤْتِي الْفُسَادَ » . وقال : « وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ » الآية .

السابعة والثلاثون — قوله تعالى : ( أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ) قال أبو عبيد بن جراح : تضيئ وتضيئ . والضلال عن الشهادة إنما هو نسيان جزء منها وذكر جزء ، وبين المرء حيران بين ذلك ضاللاً . ومن نسي الشهادة حجلة فليس يقال : ضل فيها . وقرا حمزة « إن » بكسر الهمزة على معنى الجزاء والفاء في قوله « فَتَذَكَّرْ » جوابه ، وموضع الشرط وجوابه رفع على الصفة للراغبين والرجل ، وارتفع « تَذَكَّرْ » على الاستثناء ؛ كما ارتفع قوله « وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ » هذا قول حبيوبة . ومن فتح « أن » فهي مفعول له والعامل [ فيها ] محذوف . وانتصب « فَتَذَكَّرْ » على قراءة الجماعة عطفاً على الفعل المنصوب بأن . قال النحاس : ويجوز « تَضَلَّ » بفتح التاء والضاد ، ويجوز تَضَلَّ بكسر التاء وفتح الضاد . فمن قال : « تَضَلَّ » جاء به على لغة من قال : ضَلَّ تَضَلَّ . وعلى هذا تقول تَضَلَّ فتكسر التاء لندل على أن الماضي فعلت . وقرا الحمدي وعيسى ابن عمر « أَنْ تَضَلَّ » بضم التاء وفتح الضاد بمعنى تَنَسَّى ، وهكذا حكى عنهما أبو عمرو الداني . وحكى النقاش عن الحمدي ضم التاء وكسر الضاد بمعنى أن تَضَلَّ الشهادة . يقول لاضلَّت الفرس والبعير إذا تلقا لك وذهبا فلم يجمعهما .

السابعة والثلاثون — قوله تعالى : ( فَتَذَكَّرْ ) خفف الذال والكاف ابن كثير وأبو عمرو ؛ وعليه فيكون المعنى أن تَذَكَّرْ ذِكْرًا في الشهادة ؛ لأن شهادة المرأة نصف شهادة ؛ فإذا شهدتا صار مجموعهما كشهادة ذكر ؛ قاله سفيان بن عيينة وأبو عمرو بن العلاء . وفيه

(١) تابع ص ١٤ ط المطبوع . (٢) تابع ص ١٤ ط المطبوع . (٣) تابع ص ٦٤ ط المطبوع .

(٤) كذا في ط مطبوع . (٥) في ج مطبوع .

مُدٌّ، إِذْ لَا يَحْصُلُ فِي مَقَابِلَةِ الشَّلَالِ الَّذِي مَعْنَاهُ النِّسْيَانُ إِلَّا الدُّكْرُ، وَهُوَ مَعْنَى قِرَاءَةِ الْجُمَاعَةِ  
فَقَدْ كَرِهَ بِالتَّشْدِيدِ، أَيْ تَنْبِيْهَا إِذَا غَفَلْتَ وَنَسِيتَ .

قلت : وإليها ترجع قراءة أبي عمرو، أي إن نَسَسَ إحداهما قَدْ كَرِهَ الأُخْرَى ؛ يقال :  
مَدَّ كَرْتِ الشَّيْءِ وَأَذْكَرْتُهُ غَيْرِي وَذَكَّرْتُهُ بِمَعْنَى ؛ قَالَهُ فِي الصَّحَاحِ .

الثامنة والثلاثون - قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ قال الحسن :  
جُمِعَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَمْرَيْنِ ، وَهِيَ أَلَّا تَأْتِيَ إِذَا دُعِيَتْ إِلَى تَحْصِيلِ الشَّهَادَةِ ، وَلَا إِذَا دُعِيَتْ إِلَى  
أَدَائِهَا ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَقَالَ قَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ وَابْنُ عَبَّاسٍ : أَيْ لِيَحْتَمِلَهَا وَإِثْبَاتُهَا فِي الْكِتَابِ .  
وَقَالَ بِمَجَاهِدٍ : مَعْنَى الْآيَةِ إِذَا دُعِيَتْ إِلَى آدَاءِ شَهَادَةٍ وَقَدْ حَصَلَتْ عِنْدَكَ . وَأَسْنَدَ النَّقَاشُ  
إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ فُسِّرَ الْآيَةُ بِهَذَا ؛ قَالَ بِمَجَاهِدٍ : فَأَمَّا إِذَا دُعِيَتْ لِشَهَادَةٍ أَوَّلًا  
فَإِنْ شَتَّ فَازْهَبَ وَإِنْ شَتَّ فَلَا ؛ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَمَجْلُوسُهُ وَابْنُ جُبَيْرٍ وَالسَّدي  
وَابْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُمْ . وَعَلَيْهِ فَلَا يَجِبُ عَلَى الشُّهُودِ الْحُضُورُ عِنْدَ الْمُتَمَاقِدِينَ ، وَإِنَّمَا عَلَى الْمُتَدَانِينَ أَنْ  
يَحْضُرُوا عِنْدَ الشُّهُودِ ؛ فَإِذَا حَضَرَهُمْ وَسَلَّاهُمْ إِثْبَاتُ شَهَادَتِهِمْ فِي الْكِتَابِ فَهَذِهِ الْحَالَةُ الَّتِي يَحُوزُ  
أَنْ تَرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ لِإِثْبَاتِ الشَّهَادَةِ فَإِذَا ثَبَتَتْ شَهَادَتُهُمْ  
ثُمَّ دُعُوا لِإِقَامَتِهَا عِنْدَ الْحَاكِمِ فَهَذَا الدُّعَاءُ هُوَ بِحُضُورِهَا عِنْدَ الْحَاكِمِ ، عَلَى مَا بَاقِي . وَقَالَ  
ابْنُ عَطِيَّةٍ : وَالْآيَةُ كَمَا قَالَ الْحَسَنُ جُمِعَتْ أَمْرَيْنِ عَلَى جِهَةِ التَّنْدِبِ ؛ فَالْمُسْلِمُونَ مَنُودُونَ إِلَى  
مَعُونَةِ إِخْوَانِهِمْ ، فَإِذَا كَانَتْ النِّسْعَةُ لِكثَرَةِ الشُّهُودِ وَالْأَمْنُ مِنْ تَعْطِيلِ الْحَقِّ فَالْمَدْعُوُّ مَنُودٌ ،  
وَلَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ لِأَدْنَى عُدْرٍ ، وَإِنْ تَخَلَّفَ لَغَيْرِ عُدْرٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَلَا ثَوَابَ لَهُ . وَإِذَا كَانَتْ  
الضَّرُورَةُ وَخِيفَ تَعْطِيلُ الْحَقِّ أَدْنَى خَوْفِ قَوِي النَّدْبِ وَقُرْبٍ مِنَ الْوُجُوبِ ، وَإِذَا عَلِمَ أَنَّ  
الْحَقَّ يَذْهَبُ وَيَتَأَخَّرُ بِتَأَخُّرِ الشَّاهِدِ عَنِ الشَّهَادَةِ فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ الْيَأْمُ بِهَا ، لَا سِيَّيَا إِنْ كَانَتْ مُحْصَلَةً  
وَكَانَ الدُّعَاءُ إِلَى أَدَائِهَا ، فَإِنْ هَذَا الظَّرْفُ آكَدٌ ؛ لِأَنَّهَا قِلَادَةٌ فِي الْعَقْدِ وَأَمَانَةٌ تَقْتَضِي الْأَدَاءَ .  
قلت : وَقَدْ يَسْتَلُوحُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ جَائِزًا لِلْإِمَامِ أَنْ يَقِيْمَ لِلنَّاسِ شُهُودًا وَيَجْعَلَ  
لَهُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَسَالِكِ كِفَايَتَهُمْ ، فَلَا يَكُونُ لَهُمْ شُغْلٌ إِلَّا بِمَحْمَلِ حَقُوقِ النَّاسِ حِفْظَ لَهَا ، وَإِنْ لَمْ

(١) ذَبَ : وَطِئَ فَلَا يَجِبُ الْحُ . (٢) ذَبَ : الْحُكَامُ . (٣) ذَبَ : طَوَّبَ ؛ قَالَ  
ابْنُ سُلَيْمٍ . (٤) ذَبَ : الْحَقُوقُ . (٥) ذَبَ : لَعَنَ .

يكن ذلك ضاعت الحقوق وبطلت . فيكون المني ولا باب الشهادة إذا أخذوا حقوقهم أن يجيبوا . والله أعلم . فإن قيل : هذه شهادة بالأجرة قلنا : إنما هي شهادة خالصة من قوم استوفوا حقوقهم من بئس المال ، وذلك كأرزاق القضاة والولاة وجميع المصالح التي تيقن<sup>(١)</sup> للساكنين وهذا من جملة . والله أعلم . وقد قال تعالى : « وَالْمَالِ يَلِينُ طَيِّبًا » ففرض لهم .  
التاسعة والثلاثون — لما قال تعالى : « وَلَا يَأْتِ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا » دل على أن الشاهد هو الذي يمشى إلى الحاكم ، وهذا أصح في طلب الشرح وتعليل في كل زمان ونهجه كل أمة ، ومن أمثاله : « فِي يَمِينِهِ يُوْتَى الْحُكْمُ » .

المفوية أربعين — وإذا ثبت هذا فالعبد خارج من جملة الشهداء ، وهو يفتن شرم قوله : « مِنْ رِجَالِكُمْ » لأنه لا يمكنه أن يجيب ، ولا يصح له أن يأتي ، لأنه لا استقلال له بنفسه ، وإنما يتصرف بإذن غيره ، فانحط عن منصب الشهادة كما انحط عن منزل الولاية . سم ! وكما انحط عن فرض الجمعة والجهاد والجم ، على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

الحادية والأربعون — قال ملائنا : هذا في حال الدماء إلى الشهادة . فأما من كانت عنده شهادة لرجل لم يعاها مستحقتها الذي ينفع بها فقال قوم : أداؤها ندب لقوله تعالى : « وَلَا يَأْتِ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا » ففرض الله الأداء عند الدماء ، وإنما لم يدع كان ندبا ، لقوله عليه السلام : « خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يعاها » رواه الأئمة . والصحيح أن إدامها فرض وإن لم يعاها إذا خاف على الحق ضياعه أو فوته ، أو بطلان أو حق على من أقام على نصرته على الاستعانة بالزوجة واستخدام العبد إلى غير ذلك ، فيجب على من يحمل شيئا من ذلك أداء تلك الشهادة ، ولا يجب أداؤها على أن تعال منه ليضيع الحق ، وقد قال تعالى : « وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ » وقال : « إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَسْتَوُونَ » . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : « انصروا خالك ظالما أو مظلوما » . فقد تدبر عليه نصره بأداء الشهادة التي له عنده إحياء لحقه الذي أماته الإنكار .

(١) في : نحن المصلين . (٢) راجع ج ٨ ص ١٧٨ (٣) راجع ج ١٨ ص ١٥٩

(٤) راجع ج ١٦ ص ١٢٢

الثانية والأربعون - لا إشكال في أن من وجبت عليه شهادة على أحد الأوجه التي ذكرناها فلم يؤديها أنها جُرحة في الشاهد والشهادة؛ ولا فرق في هذا بين حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين؛ هذا قول ابن القاسم وغيره . وذهب بعضهم إلى أن تلك الشهادة إن كانت بحق من حقوق الآدميين كان ذلك جُرحة في تلك الشهادة نفسها خاصة ، فلا يصلح له أداؤها بعد ذلك . والصحيح الأول ؛ لأن الذي يوجب جرحته إنما هو فسقه بامتناعه من القيام بما وجب عليه من غير عذر، والفسق يسلب أهلية الشهادة مطلقا ، وهذا واضح .

الثالثة والأربعون - لا تعارض بين قوله عليه السلام : "خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها" وبين قوله عليه السلام في حديث عمران بن حصين : "إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" - ثم قال عمران : فلا أدري أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين أو ثلاثا - ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون وينونون ولا يؤتمنون ويتنذرون ولا يؤفون ويظهر فيهم السمن<sup>(١)</sup> " أخرجهما الصحيحان . وهذا الحديث محمول على ثلاثة أوجه : أحدها أن يراد به شاهد الزور ، فإنه يشهد بما لم يستشهد ، أي بما لم يعمل له ولا يحمله . وذكر أبو بكر بن أبي شيبة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب بباب الجابية فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا كفاي فيكم ثم قال : "يا أيها الناس اتقوا الله في أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يغشوا الكذب وشهادة الزور" . الوجه الثاني أن يراد به الذي يحمله الشرع على تنفيذ ما يشهد به ، فيبادر بالشهادة قبل أن يُسألها ؛ فهذه شهادة مردودة ؛ فإن ذلك يدل على هوى غالب على الشاهد . الثالث ما قاله إبراهيم النخعي<sup>(٢)</sup> راوى طرق بعض هذا الحديث : كانوا يتهوننا ونحن غلمان عن المهد والشهادات .

الرابعة والأربعون - قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْأَلُوا أَنْ تَكْتُبَوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ﴾ "تَسْأَلُوا" معناه تَمَلُّوا . قال الأخفش : يقال سَمِيتُ أَسْأَمَ سَأَمًا وَسَأَمَةً وَسَأَمًا [ وَسَأَمَةً ] وسَأَمًا ؛ كما قال الشاعر :

سَمِيتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَحْيَ . فَمَنْ حَوْلًا - لَا أَمَّاكَ - بِسَأَمِ

(١) هذه رواية مسلم . (٢) في نسخة دوط : بأمر طر . (٣) في نسخة السان .



« أَنْ تَكْتُبُوهُ » في موضع نصب بالفعل . « صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا » حالان من الضمير في « تَكْتُبُوهُ » وقدم الصغير اهتماما به . وهذا النهي من السأمة إنما جاء لتردد المدائنة عنهم تخفيف عليهم أن يَمْلَأُوا الكتب ، ويقول أحدهم : هذا قليل لا احتاج إلى كُتْبِهِ ، فأكَّد تعالى التحضيض<sup>(١)</sup> في القليل والكثير . قال علماءنا : إلا ما كان من قيراط ونحوه لزارته وعدم تنوُّف النفس إليه إقرارًا وإنكارًا

الخامسة والأربعون — قوله تعالى : ( ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ) معناه اعدل ، بني أن يُكْتَبَ القليل والكثير ويُسْهَدَ عليه . ( وَأَقْرَبُ لِلشَّهَادَةِ ) أي أجمع وأحفظ . ( وَأَدْنَى ) معناه أقرب . و ( تَرْتَابُوا ) تَسْكُوا .

السادسة والأربعون — قوله تعالى : « وَأَقْرَبُ لِلشَّهَادَةِ » دليل على أن الشاهد إذا رأى الكتاب ولم يذكر الشهادة لا يؤديها لما دخل عليه من الرية فيها ، ولا يؤدي إلا ما يعلم ، لكنه يقول : هذا خطي ولا أذكر الآن ما كتبت فيه . قال ابن المنذر : أكثر من يحفظ عنه من أهل العلم يمنع أن يشهد الشاهد على خطه إذا لم يذكر الشهادة . واحتج مالك على جواز ذلك بقوله تعالى : « وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا » . وقال بعض العلماء : لما نسب الله تعالى الكتابة إلى العدالة وسمه أن يشهد على خطه وإن لم يتذكر . ذكر ابن المبارك عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه في الرجل يشهد على شهادة فينساها قال : لا بأس أن يشهد إن وجد علامته في الصلِّ أو خط يده . قال ابن المبارك : استحسنت هذا جدًا . وفيما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حكم في أشياء غير واحدة بالدلائل والشواهد ، وعن الرسل من قبله ما يدل على صحة هذا المذهب . والله أعلم . وسبأني لهذا مزيد بيان في « الأخفاف » إن شاء الله تعالى .

السابعة والأربعون — قوله تعالى : ( إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ) « أن » في موضع نصب استثناء ليس من الأول . قال الأخفش [ أبو سعيد ] : أي إلا أن تقع تجارة ، فكانت بمعنى وقع وحدث . وقال غيره : « تُدِيرُونَهَا » الخبر . وقرأ عاصم وحده « وَتِجَارَةً »

(١) كذا في جوه ، وفي ب و أ و ح و ط : التحسين .

(٢) راجع ١٦٦ ص ١٨١ فاجد . (٤) قراءة نافع . (٥) م ب .

(٢) راجع ٩٦ ص ٢٤٤

على خبر كان واسمها مضمر فيها . . . حَاضِرَةٌ : نعت لتجارة ، والتقدير إلا أن تكون التجارة  
تجارة ، أو إلا أن تكون المبايعة تجارة ؛ هكذا قلده مجي وأبو علي الفارسي ؛ وقد تقدم نظائره  
والاستشهاد عليه . ولما علم الله تعالى مشقة الكتاب عليهم نصّ على ترك ذلك ورفع الجناح  
فيه في كل مبايعة بنقد ، وذلك في الأغلب إنما هو في قليل كالمطعم ونحوه لا في كثير كالأملاك  
ونحوها . وقال السدي والضحاك : هذا فيما كان يدا بيد .

الثامنة والأربعون - قوله تعالى : ( لَدِيرُوهَا بَيْنَكُمْ ) يقتضي التقابض واليمينونة  
المقبوض . ولما كانت الرِّبَاع والأرض وكثير من الحيوان لا يقبل اليمينونة ولا يغاب عليه ،  
حسن الكتّاب فيها ولحقّت في ذلك مبايعة الدين ؛ فكان الكتاب توقفا لما عسى أن يطرا  
من اختلاف الأحوال وتغير القلوب . فاما إذا تفاصلا في المعاملة وتقابضا وبأن كل واحد  
منهما يما ابتاعه من صاحبه ، فيقبل في العادة خوف التنازع إلا بأسباب غامضة . وتنبه الشرع  
على هذه المصالح في حالي النسبة والتقد وما يغاب عليه وما لا يغاب ، بالكتاب والشهادة  
والرهن . قال الشافعي : البيوع ثلاثة : بيع بكتاب وشهود ، وبيع برهان ، وبيع بأمانة ، وقرا  
هذه الآية . وكان ابن عمر إذا باع بنقد أشهد ، وإذا باع بسينة كتب .

التاسعة والأربعون - قوله تعالى : ( وَأَشْهَدُوا ) قال الطبري : معناه وأشهدوا على  
صغير ذلك وكبيره . واختلف الناس هل ذلك على الوجوب أو النسخ ؛ فقال أبو موسى  
الأشعري وابن عمر والضحاك وسعيد بن المسيّب وجابر بن زيد ومجاهد وداود بن علي وابنه  
أبو بكر : هو على الوجوب ؛ ومن أشدّهم في ذلك عطاء قال : أشهد إذا بعث وإذا اشترت  
بدرهم أو نصف درهم أو ثلث درهم أو أقل من ذلك ؛ فإن الله عز وجل يقول : ( وَأَشْهَدُوا  
إِذَا تَبَايَعْتُمْ ) . وعن إبراهيم قال : أشهد إذا بعث وإذا اشترت ولو دَسْتَجَةً بَقْل . ومن كان  
ينهب إلى هذا ويرتجعه الطبري ، وقال : لا يصل لمسلم إذا باع وإذا اشترى إلا أن يشهد ،  
والا كان مخالفا لكتاب الله عز وجل ، وكذا إن كان إلى أجل فعليه أن يكتب ويشهد إن

وجد كاتبنا . وذهب لشئى والحسن إلى أن ذلك على التفسير والإرشاد لا على الحتم .  
ويحكى أن هذا قول مالك والثانى وأصحاب الراى . وزعم ابن العربى أن هذا قول الكوفة  
قال : وهو الصحيح . ولم يحك عن أحد من قال بالوجوب إلا الضعاف . قال وقد باع  
النبي صلى الله عليه وسلم وكتب . قال : ونسخة كتابه : " بسم الله الرحمن الرحيم . هذا  
ما اشترى العطاء بن خالد بن هوزة من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لشترى منه هذا  
— أو أمة — لاداء ولا فائقة ولا خبثة بيع المسلم المسلم " . وقد باع ولم يشهد ، واشتق  
ورهن دبره عند يهودى . ولم يشهد . ولو كان الإشهاد أمرا واجبا لوجب مع الرحمن  
لخوف المنازعة .

قلت : قد ذكرنا الوجوب عن غير الضعاف . وحديث العطاء هذا أخرجه القوارقلى  
وأبو داود . وكان إسلامه بعد الفتح وحين ، وهو القائل : قالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يوم حنين فلم يظهرنا الله ولم ينصرنا ، ثم أسلم فحسن إسلامه . ذكره أبو عمر ، وذكر حديثه  
هنا ، وقال فى آخره : " قال الأصمى : سألت سعيد بن أبى هريرة عن عائشة فقالت :  
الإباق والسرقة والزنا ، وسأته عن الخبثة فقال : بيع أهل عهد المسلمين " . وقال الإمام  
أبو محمد بن عطية : والوجوب فى ذلك قلبي ، أنا فى الدقائق فصب شاق ، وأما ما كثر  
قربا يقصد التاجر الاستتلاف بترك الإشهاد ، وقد يكون عادة فى بعض البلاد ، وقد يستعجب  
من العالم والرجل الكبير الموقر فلا يشهد عليه ، فيدخل ذلك كله فى الائتمان ويسقى الأمر  
بالإشهاد تدبا ، لما فيه من المصلحة فى الأغلب ما لم يقع حذر يمنع منه كما ذكرنا . وحكى  
للمهدوى والنحاس ومكى عن قوم أنهم قالوا : " وأشهدوا إنا نبأ بكم " منسوخ بقوله :  
" فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا " . وأسند النحاس عن أبى سعيد الخدرى ، وأنه تلا " يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَابَعْتُمْ بَيْنَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ " إلى قوله " فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا  
فَلْيُؤَدِّ الَّذِى آتَىٰهُ أَمَانَتَهُ " ، قال : نسخت هذه الآية ما قبلها . قال النحاس : وهذا قول  
الحسن والحكم وعبد الرحمن بن زيد . قال الطبرى : وهذا لا معنى له ، لأن هذا حكم غير  
(١) الماء ، ما دلل فيه من عب يخر أرطاة باطة لا ترى . ولشك من الراى ، كان فى الاستنباط . وفيه  
" بيع المسلم المسلم " . كان فى ربيع ما ، وقد " بيع المسلم المسلم " . (٢) كذا فى طرد ورجوعه  
على من حله . وقد ورد فى الروايات .

لأول، وإنما هذا حكم من لم يجد كتابا قال الله عز وجل : « وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كِتَابًا فَرِهَاتٍ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَاعْلَمُوا بِمَا نَدَّبَكُم بِهِ » . قال : ولو جاز أن يكون هذا لأول الجواز أن يكون قوله عز وجل : « وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدُكُمْ مِنَ الْغَائِطِ » الآية ناسخا لقوله عز وجل : « وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ » الآية ولجاز أن يكون قوله عز وجل : « فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قِصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ » ناسخا لقوله عز وجل : « فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ » وقال بعض العلماء : إن قوله تعالى « فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا » لم يثبت تأخر نزوله عن صدر الآية المشتملة على الأمر بالإشهاد بل وردا معا . ولا يجوز أن يرد النسخ والمنسوخ معا جميعا في حالة واحدة . قال : وقد روى عن ابن عباس أنه قال لما قيل له : إن آية الدين منسوخة قال : لا والله إن آية الدين حكمة ليس فيها نسخ قال : والإشهاد إنما جعل للطمانينة ، وذلك أن الله تعالى جعل لتوثيق الدين طرقا منها الكتاب ، ومنها الرهن ، ومنها الإشهاد . ولا خلاف بين علماء الأمصار أن الرهن مشرور بطريق النذب لا بطريق الوجوب . فيعلم من ذلك مثله في الإشهاد . وما زال الناس يتابعون حضرا وسفرا وبرا وبحرا وسهلا وجبلا من غير إشهاد مع علم الناس بذلك من غير تكبر ؛ ولو وجب الإشهاد ما تركوا التكبر على تاركه .

قلت : هذا كله استدلال حسن ، وأحسن منه ما جاء من صريح السنة في ترك الإشهاد ، وهو ما أخرجه الدارقطني عن طارق بن عبد الله المحاربي قال : « أقبلنا في ركب من الربة وجنوب الربة حتى زدنا قريبا من المدينة ومعنا ظليعة لنا . فبينما نحن قعود إذ أتانا رجل عليه ثوبان أبيضان فسلم فردنا عليه ، فقال : من أين [أقبل] القوم ؟ قلنا : من الربة وجنوب الربة . قال : ومعنا جبل أحمر ؟ فقال : تيموني بجلكم هذا ؟ قلنا نعم . قال بكم ؟ قلنا : بكذا وكذا صاعا من تمر . قال : فما استوضعتا شيئا وقال : قد أخذته ، ثم أخذ برأس الجمل حتى

(١) راجع - ص ١٠٤ وص ٨٠ وص ٣١٤ وص ٣٢٧ (٢) الربة (بالضرب) : من فرى اللديسة على ثلاثة أميال قريبة من ذات هرق على طريق الجواز إذا دخلت من فند تريد مكة ؛ وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، وكان قد خرج إليها مغتنيا لعنان بن عفان رضي الله عنه فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢ هـ (عن معجم البلدان لأقوت) . (٣) من الدارقطني .

دخل المدينة فتوارى عنا، فتلأومنا بينما قلنا : أعطيتكم جلعك من لا تعرفونه ! فقالت الطعينة : لا تلأوموا فقد رأيت وجه رجل ما كان ليخفيكم ، ما رأيت وجهه وجل أشبه بالقمر ليلة القدر من وجهه . فلما كان العشاء<sup>(١)</sup> أتانا رجل فقال : السلام عليكم ، أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم ، وإنه أمركم أن تاكلوا من هذا حتى تشبعوا ، وتكألوا حتى تستوفوا . قال : فأكلنا حتى شبعنا ، وأكنا حتى استوفينا . وذكر الحديث الزهري عن عمارة بن خزيمة أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرساً من أعرابي ، الحديث . وفيه : فطَفِقَ الأعرابي يقول : هَلْ شَهِدْتُ أَنِّي بِكَ — قال خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ : أنا أشهد أنك قد بعت . فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على خُزَيْمَةَ فقال : "بم تشهد" ؟ فقال : بتصديقك يا رسول الله . قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة بشهادة رجلين . أخرجه النسائي وغيره .

الموفية بحسين — قوله تعالى : ( وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ) فيه ثلاثة أقوال : الأول — لا يكتب الكاتب ما لم يَمْلُ عليه ، ولا يزيد الشاهد في شهادته ولا ينقص منها . قاله الحسن وقتادة وطاوس وابن زيد وغيرهم .

وروى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء أن المعنى لا يمنع الكاتب أن يكتب ولا الشاهد أن يشهد . « وَلَا يُضَارَّ » على هذين القولين أصله يُضَارَّرُ بكسر الراء ، ثم وقع الإدغام ، وفتحت الراء في الجزم لخفة الفتحة . قال النحاس : ورأيت أبا إسحاق يميل إلى هذا القول . قال : لأن بعده « وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ قُضِيَ بِكُمْ » فالأولى أن تكون ، من شهد بغير الحق أو حرف في الكتابة أن يقال له : فاسق ، فهو أولى بهذا من سأل شاهداً أن يشهد وهو مشغول . وقرأ عمر بن الخطاب وابن عباس وابن أبي إسحاق يُضَارَّرُ بكسر الراء الأولى .

وقال مجاهد والضحاك وطلوس والسدي وزوي عن ابن عباس : معنى الآية " وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ " بأن يدعى الشاهد إلى الشهادة والكاتب إلى الكتب وهما مشغولان ، فإذا اعتذرا بعذرهما أخرجهما وأذاهما ، وقال : خالفهما أمر الله ، ونحو هذا من الأقول

(١) كذا في الدارقطني ، وفي الأصول جيتا : المعنى . (٢) الثاني قول ابن عباس والثالث قول مجاهد والضحاك . (٣) في يد وبوط : خرج .

فبضرّ بهما : وأصل « يضرّ » على هذا يضرّ بفتح الزاء ، وكذا قرأ ابن مسعود « يضرّ » بفتح الزاء الأولى ؛ نهى الله سبحانه عن هذا ؛ لأنه لو أطلقه لكان فيه شغل لها عن أمر دينها ومعاشها . ولفظ المضارة ؛ إذ هو من اثنين ، يقتضى هذه المعاني . والكاتب والشهيد على القولين الأولين رفع بفعلهما ، وعلى القول الثالث رفع على المفعول الذى لم يسم فاعله .

الحادية والخمسون - قوله تعالى : ( وَإِنْ تَعْلَمُوا ) يعنى المضارة ، ( فَإِنَّهُ نَسُوهُ يَكُنْ ) أى معصية ، عن سفیان الثوري . فالكتاب والشاهد يعصيان بالزيادة أو النقصان ، وذلك من الكذب المؤذى فى الأموال والأبدان ، وفيه إبطال الحق ، وكذلك إذا بينهما إذا كانا مشغولين بمعصية ونروج عن الصواب من حيث المخالفة لأمر الله . وقوله « يَكُنْ » تقديره فسوف حال بكم .

الثانية والخمسون - قوله تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه، أى يعمل فى قلبه نورا يفهم به ما يلقي إليه؛ وقد يعمل الله فى قلبه ابتداء فرقانا، أى فصلا يفصل به بين الحق والباطل؛ ومنه قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا » . والله أعلم .

قوله تعالى : وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْصُودَهُ  
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ  
وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا  
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾  
فيه أربع وعشرون مسألة :

الأولى - لما ذكر الله تعالى التنب إلى الإسهاد والكتب لمصلحة حفظ الأموال والأديان،<sup>(٣)</sup> عقب ذلك بذكر حال الأعذار المانعة من الكتب، وجعل لها الزهن، ونص من

(١) راجع ج ٧ ص ٣٩٦ (٢) اخذنا أربع لمافى و اوجه عن تمام الحادية والعشرين قوله :  
 تموضت هنا ثلاث مسائل تم أربع وعشرين . (٣) كذا فى الأصول وابن حطية . والأدهان . الطاعات ،  
 وعدم أداء الحقوق فسوق من أمر الله . ولله : الأبدان ، راجع تفسير قوله تعالى : « فسوق بكم » .

أحوال المنذر على السفر الذي هو غالب الأعداء، لا سيما في ذلك الوقت لكثرة الغزو، ويدخل في ذلك بالمعنى كل منذر. فرب وقت يستعذر فيه الكتاب في الحضر كأوقات أشغال الناس وبالليل، وأيضا فالخوف على خراب ذمة القريم فذركم يوجب طلب الرهن. وقد رهن النبي صلى الله عليه وسلم دِرْعَه عند يهودى طلب منه سلف الشعير فقال: إنما يريد عهد أن يذهب بمالي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كذب إني لأمين في الأرض أمين في السماء ولو اتعنتي لأتيت أذهبوا إله بدرعى» فسات ودرعه مرهونة صلى الله عليه وسلم، على ما يأتي بيانه آتيا.

الثانية - قال جمهور من العلماء: (١١) الرهن في السفر بنص التزويل، وفي الحضر ثابت بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا صحيح. وقد بينا جوازه في الحضر من الآية بالمعنى، إذ قد ترتب الأعداء في الحضر، ولم يرو عن أحد منعه في الحضر سوى مجاهد والضحاك وداود، متمسكين بالآية. ولا حجة فيها؛ لأن هذا الكلام وإن كان خرج مخرج الشرط فالمراد به غالب الأحوال. وليس كون الرهن في الآية في السفر مما يحظر في غيره. وفي الصحيحين وغيرهما عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودى طعاما إلى أجل ودرعه درهما له من حديد. وأخرجه النسائي من حديث ابن عباس قال: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير لأهله.

الثالثة - قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجِدُوا كَاتِبًا﴾ قرأ الجمهور «كتابا» بمعنى رجل يكتبه. وقرأ ابن عباس وأبو مجاهد والضحاك وعكرمة وأبو العالية «ولم يجدوا كتابا». قال أبو بكر الأنباري: فسره مجاهد فقال: معناه فإن لم يجدوا مبدانا يبنى في الأسفار. وروى عن ابن عباس «كتابا». قال النحاس: هذه القراءة شاذة والعامة على خلافها، وقابها يخرج شيء عن قراءة العامة إلا وفيه قطع، ونسق الكلام على كاتب، قال الله عز وجل قبل هذا: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ﴾ وكتاب يقتضى جماعة. قال ابن عطية: كتابا يحسن من حيث

لكل نازلة كاتب، فليلجأ إليه؛ ولم يجدوا كتاباً. وحكى المهدوي عن أبي العباس أنه قرأ «كتاباً» وهذا جمع كتاب من حيث النوازل مختلفة. وأما قراءة أبي وابن عباس «كتاباً» فقال النحاس ومكي: هو جمع كتاب كقائم وقيام. مكي: المعنى وإن مديت الدواة والقلم والصحيفة. وثق وجود الكاتب يكون بعدم أي آلة أتفق، وثق الكاتب أيضاً يقتضى ثقل الكتاب؛ فالقراءتان حستان إلا من جهة خط المصحف.

الرابعة - قوله تعالى: ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ وقرأ أبو عمرو وابن كثير «فرهن» بضم الراء والهاء، وروى عنهما تخفيف الهاء. وقال الطبري: «نازل قوم أن «رُهنا» بضم الراء والهاء جمع رهان، فهو جمع جمع، وحكاها الزجاج عن الفراء. وقال المهدوي: «فرهان» ابتداء والخبر محذوف، والمعنى فرهان مقبوضة بكفى من ذلك. قال النحاس: وقرأ عاصم بن أبي النجود «فرهن» بإسكان الراء، وروى عن أهل مكة. والباب في هذا «رهان»؛ كما يقال: بثل ويقال: وكبش وكباش؛ ورهن سبيله أن يكون جمع رهان؛ مثل كتاب وكُتِبَ. وقيل: هو جمع رهن؛ مثل سَقَف وسُقِف، وحَلَق وحُلِق، وقَرَش وقُرِش، وقُشِر وقُشِر، وشبهه. «ورهن» بإسكان الراء سبيله أن تكون الضمة حذفت لثقلها. وقيل: هو جمع رهن؛ مثل سَمَّ حَشْر، أي دقيق، وسهام حَشْر. والأول أولى؛ لأن الأول ليس بنعت وهذا نعت. وقال أبو علي الفارسي: وتفسير «رهن» على أقل العدد لم أعلمه جاء، فلو جاء كان قياسه أفعلاً ككلب وأكُلب؛ وكأنهم استغنوا بالقليل عن الكثير، كما استغنى ببناء الكثير عن بناء القليل في قولهم: ثلاثة سُوس، وقد استغنى ببناء القليل عن الكثير في رَسَن وأرْسَن؛ فرهن يجمع على بناءين وهما فُعْل وفَعَال. الأخفش: فُعْل على فُعْل فيج وهو قليل شاذ، قال: وقد يكون «رهن» جمعاً للرهان، كأنه يجمع رهن على رهان، ثم يجمع رهان على رهن؛ مثل فراس وفرش.

(١) في ج: نشر ونشر له قرأ نافع «شرا بين» بضم السين، أو بشر وبشر: لأن السين غير مشققة. ولى: نشر بالثين ومهله، ولى: بمرأ بالياء. والله أعلم.



الخامسة - معنى الرهن : احتباس الدين وثيقة بملق ليستوفى لملق من ثمنها أو من  
 ثمن متاعها عند تملكو أخذه من التريم ؛ هكذا حذاه العلماء ، وهو في كلام العرب بمعنى السام  
 والاستمرار . وقال ابن سيده : ورهته أى أدانته ؛ ومن رهن بمعنى دام قول الشاعر :  
 الحُبْرُ وَالْقَمُّ لَمْ رَاهِنٌ • وَقَهْوَةٌ رَاوَوْقَهَا سَاكِبٌ

قال الجوهري : ورهن الشيء رهنا أى دام . وأرهنت لِم الطعام والشراب أدته لِم  
 وهو طعام راهن . والراهن : الثابت ، والراهن : المزهول من الإبل والناس ؛ قال :  
 إِنَّا تَرَى جِسْمِي خَلَا قَدْ رَهْنٌ • هَزَلًا وَمَا يَجِدُ الرَّجَالُ فِي السَّمَنِ

قال ابن عطية : ويقال في معنى الرهن الذى هو الوثيقة من الرهن : أَرَهَنْتُ إِرْهَانًا ؛  
 حكاه بعضهم . وقال أبو علي : أَرَهَنْتُ في المَعَالاة ، وأما في القرض والبيع فرهنت . وقاله  
 أبو زيد : أَرَهَنْتُ في السَّلعة إِرْهَانًا ؛ غَالِيَتْ بِهَا ؛ وهو في الغلاة خاصة . قال :  
 • عِدِيَّةٌ أَرَهَنْتُ فِيهَا الدَّنَائِيرَ •

بصفت نافقة . والعيد بطن من مَهْرَةٍ وإِيلٌ مَهْرَةٌ موصوفة بالنجابة . وقال الزجاج : يقال  
 في الرهن : رَهَنْتُ وَأَرَهَنْتُ ؛ وقاله ابن الأعرابي والأخفش . قال عبد الله بن همام السلولي :  
 فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَا فِرْعَمَ • نَجَوْتُ وَأَرَهَنْتُهُم مَالَكَا

قال تملب : الزواة كلهم على أرهنتهم ، على أنه يجوز رهته وأرهنته ، إلا الأصمعي فإنه زواه  
 وأرهنتهم ، على أنه عطف بفعل مستقبل على فعل ماض ، وشبهه بقولهم : قَتُّ وَأَصَكُ وَجْهَهُ  
 وهو مذهب حسن ؛ لأن الواو واو الحال ؛ فجعل أَصَكُ حالا للفعل الأول على معنى قَتَّ حَاكَا  
 وجهه ، أى تركته مقبياً عندهم ؛ لأنه لا يقال : أَرَهَنْتُ الشيء ، وإنما يقال : رهته . وتقولون :  
 رَهَنْتُ لِسَانِي بِكَذَا ، ولا يقال فيه : أَرَهَنْتُ . وقال ابن السكيت : أَرَهَنْتُ فيها بمعنى أسلفت .  
 والمريث : الذى يأخذ الرهن . والنثى : مرهون ورهين ، والأثنى رهينة . ورهنت فلانا على  
 كذا مرهنة : خاطرته . وأرهنت به ولدى إرهانا : أخطرته به خطراً . والرهينة واحدة

(١) موهبة بن حبان في رواية ومحمّد بن عيسى : • بطوى ابن سنان ركب بها •

المرتين : كله من الجوهري . ابن عطية : وقال بلا خلاف في البيع والقرض : رهن  
مئة ، ثم متى يهلك المصدر الشيء المنفوع يقول : رهن رهنًا ، كما يقول رهنتم ثوبًا .

السادسة - قال أبو علي : ولما كان الرهن بمعنى الثبوت ، والنوام فمن ثم بطل الرهن  
عند الفقهاء إذا خرج من يد المرتين إلى الراهن بوجه من الوجوه ؛ لأنه فارق ما جعل  
[ باختيار المرتين <sup>(١)</sup> ] له .

قلت - هذا هو المعتمد عندنا في أن الرهن متى رجع إلى الراهن باختيار المرتين بطل  
الرهن ، وقاله أبو حنيفة ، ضرائفه قال : إن رجع ببارية أو دمية لم يبطل . وقال الشافعي :  
إن رجوعه إلى يد الراهن مطلقا لا يبطل حكم القبض المتقدم ؛ ودليلا « قِرْهَانٌ مَقْبُوضَةٌ » ،  
فلذا خرج عن يد القابض لم يصدق ذلك اللفظ عليه لغة ، فلا يصدق عليه حكما ، وهذا واضح .  
السابعة - إذا رهنه قولا ولم يقبضه فعلا لم يوجب ذلك حكما ؛ لقوله تعالى : « قِرْهَانٌ  
مَقْبُوضَةٌ » . قال الشافعي : لم يجعل الله الحكم إلا برهن موصوف بالقبض ، فإذا عدت الصفة  
وجب أن يعدم الحكم ، وهذا ظاهر جدا . وقالت المالكية : يلزم الرهن بالعقد ويجب  
الراهن مل دفع الرهن ليحوزه المرتين ؛ لقوله تعالى : « أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » <sup>(٢)</sup> وهذا عقد ، وقوله  
« بِالْعَهْدِ » <sup>(٣)</sup> وهذا عهد . وقوله عليه السلام : « الْمُؤْمِنُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ » وهذا شرط ، فالقبض  
هنا شرط في كمال فائدته . وعندهما شرط في لزومه وصحته .

الثامنة - قوله تعالى : ( « مَقْبُوضَةٌ » ) يقتضي بينونة المرتين بالرهن . وأجمع الناس على  
صحته قبض المرتين ، وكذلك على قبض وكيله . وأختلفوا في قبض عدل يوضع الرهن على يديه ؛  
فقال مالك وجميع أصحابه وجمهور العلماء : قبض العدل قبض . وقال ابن أبي ليل وقتادة  
والحكم وعطاء : ليس بقبض ، ولا يكون مقبوضا إلا إذا كان عند المرتين ، ورأوا ذلك تعبدا .  
وقول الجمهور أصح من جهة المعنى ؛ لأنه إذا صار عند العدل صار مقبوضا لغة وحقيقة ؛ لأن  
العدل نائب عن صاحب الحق وبمثلة الوكيل ؛ وهذا ظاهر .

التاسعة - ولو وضع الرهن على يد عدل فضاغ لم يضمن المرتين ولا الموضوع على  
يده ؛ لأن المرتين لم يكن في يده شيء يضمنه . والموضوع على يده أمين والأمين غير ضامن .

(١) الزيادة في ج . (٢) راجع ج ١ ص ٣١ (٣) كذا في د ، وفي غيرها : يده .

الساخرة — لما قال تعالى : «مقبوضة» قال علماءنا : فيه ما يقتضى بظاهره ومطلعه جواز رهن المشاع<sup>(١)</sup> . خلافاً لأبي حنيفة وأصحابه ، لا يجوز عندهم أن يرهنت ثلث دار ولا نصفها من عبء ولا سيف ، ثم قالوا : إذا كان لرجلين على رجل مال مما فيه لرجل كان لرجلها بذلك أرضاً فهو جائز إذا قبضها . قال ابن المنذر : وهذا إجازة رهن المشاع ، لأن كل واحد منهما مرتهن نصف دار . قال ابن المنذر : رهن المشاع جائز كما يجوز بيعه .

الحادية عشرة — ورهن ما في الذمة جائز عند علماءنا ، لأنه مقبوض خلافاً لمن منع ذلك ، ومثاله رجلان تاملان لأحدهما على الآخر دين فرهنته دينه الذي عليه . قال ابن خزيمة : مندأد : وكل عرض جاز بيعه جاز رهنه ، ولهذا العلة يجوزنا رهن ما في الذمة ، لأن بيعه جائز ، ولأنه مال ، تقع الوثيقة به فجاز أن يكون رهناً ، قياساً على سلعة موجودة . وقال من منع ذلك : لأنه لا يتحقق إقباضه والتبض شرط في لزوم الرهن ، لأنه لا بد أن يستوفى الحق منه عند الحل ، ويكون الاستيفاء من ماله لا من عينه ولا يتصور ذلك في الدين .

الثانية عشرة — روى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الظهور يركب بنفقته إذا كان مرهوناً ولين الذي يشرب بنفقته إذا كان مرهوناً وعلى الذي يركب ويشرب النفقة» . وأخرجه أبو داود وقال بدل «يشرب» في الموضعين : «يحمل» . قال الخطابي : هذا كلام مبهم ليس في نفس اللفظ بيان من يركب ويحمل ، هل الرهن أو المرتين أو العادل الموضوع على يده الرهن ؟

قلت : قد جاء ذلك مبيناً مفسراً في حديثين ، وبمجهما اختلف العلماء في ذلك ، فروى الدارقطني من حديث أبي هريرة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إذا كانت الدابة مرهونة فعلى المرتين علقها ولين الذي يشرب وعلى الذي يشرب نفقته» . أخرجه عن أحمد ابن علي بن العلاء حدثنا زياد بن أيوب حدثنا هشيم حدثنا زكريا عن الشعبي عن أبي هريرة . وهو قول أحمد وإسحاق : أن المرتين يتنفع من الرهن بالحلب والركوب بقدر النفقة . وقال أبو ثوب : إذا كان الزاين يتنفع عليه لم يتنفع به المرتين . وإن كان الزاين لا يتنفع عليه وتركه

(١) في : ٥ : الفاع . (٢) كذا في الأصول ، ينبغي : نصف أرض .

في يد المرتين فاتفق عليه فله يركوبه واستخدم العبد . وقاله الأوزاعي والليث . الحديث الثاني ترجمه الدار قطنى أيضا ، وفي إسناده مقال ويأتى بيانه - من حديث إسماعيل بن عياش عن ابن أبي ذئب عن الزهري<sup>(١)</sup> عن الثوري<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يَنَاقُ الرِّهْنُ وَلِصَاحِبَهُ غُنْمُهُ وَعَلَيْهِ غُرْمُهُ " . وهو قول الشافعى والشافعى وابن سيرين ، وهو قول مالك وأصحابه . قال الشافعى : منفعة الرهن للراهن ، ونفقة عليه ، والمرتبن لا ينفع بشئ من الرهن خلا الإحفاظ للوثيقة . قال الخطابى : وهو أولى الأقوال وأصحها ، يدل عليه قوله عليه السلام : " لا يَنَاقُ الرِّهْنُ مِنْ صَاحِبِهِ الَّذِى رَهْنَهُ لَهُ غُنْمُهُ وَعَلَيْهِ غُرْمُهُ " [ قال الخطابى : وقوله : " من صاحبه أى لصاحبه " ] . والعرب تضع « ين » موضع اللام ، كقولهم :

• أَيْنَ أُمَّ أَوْقَى دِمْنَةً لَمْ تُكَلِّمْ •

قلت : قد جاء صريحا "لصاحبه" فلا حاجة للتأويل . وقال الطحاوى : كان ذلك وقت كون الربا مباحا ، ولم ينه عن قرض جر منفعة ، ولا عن أخذ الشئ بالشئ ، وإن كانا غير متساويين ، ثم حرم الربا بعد ذلك . وقد أجمعت الأمة على أن الأمة المرهونة لا يجوز للراهن أن يطاها ، فكذلك لا يجوز له خدمتها . وقد قال الشافعى : لا ينفع من الرهن بشئ . فهذا الشعبي روى الحديث وأتى بخلافه ، ولا يجوز عنده ذلك إلا وهو منسوخ . وقال ابن عبد البر وقد أجمعوا أن لبن الرهن وظهوره للراهن . ولا يخلو من أن يكون احتلاب المرتين له بإذن الراهن أو بغير إذنه ؛ فإن كان بغير إذنه فى حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يَحْتَلِبَنَّ أَحَدٌ مَاشِيَةَ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ " ما يردّه ويقضى بنسخه . وإن كان بإذنه فى الأصول المجتمع عليها فى تحريم الجهول والفرّ وبيع ما ليس عندك وبيع ما لم يخلق ، ما يردّه أيضا ؛ فإن ذلك كان قبل نزول تحريم الربا . والله أعلم .

(١) كذا فى كل الأصول ، والصواب كما فى الدار قطنى : عن الزهري عن سديد بن المسبب . وساق فرياً .

(٢) غلق الرهن : من قبل المباحية أن الراهن إذا لم يؤد ما عليه فى الوقت المعين ملك المرتين الرهن فأبطله الإسلام . (عن التاية) .

(٣) الزيادة من جرد وروط . هذه رواية غير المقتمة للدارقطنى .

(٤) فى جرد وروط : الرهن .

وقال ابن خوزيمنداد : ولو شرط المرتن الانتفاع بالرهن فذلك حائتان : إن كان من قرض لم يميز ، وإن كان من بيع أو إجارة جاز ؛ لأنه يصير بائعا للسلعة بالثمن المذكور ومتاع الرهن مدة معاومة فكانه بيع وإجارة ، وأما في القرض فلائنه يصير قرضا جرة منفعة ، ولأن موضوع القرض أن يكون قربة ، فإذا دخله نفع صار زيادة في الجنس وذلك ربا .

الثالثة عشرة — لا يجوز فلق الرهن ، وهو أن يشترط المرتن أنه له بحقه إن لم يأت به عند أجله . وكان هذا من فعل الجاهلية فأبطله النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا يفلق الرهن » هكذا قيده برفع القاف على الخبر ، أي ليس يفلق الرهن . نقول : أغلقت الباب فهو مغلق . وعلق الرهن في يد مرتنه إذا لم يفتك ؛ قال الشاعر :

أجارتنا من يجمع يتفرق \* ومن يك رهنه لحوادث يفلق

وقال زهير :

وفارقتك رهن لا فيكك له \* يوم الوداع فامسى الرهن قد فلقا

الرابعة عشرة — روى الدارقطني من حديث سفيان بن عينة عن زياد بن سعد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يفلق الرهن له غنمه وعليه غرمه » . زياد بن سعد أحد الحفاظ الثقات ، وهذا إسناد حسن . وأخرجه مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب مرسل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يفلق الرهن » . قال أبو عمر : وهكذا رواه كل من روى الموطأ عن مالك فيما علمت ؛ إلا معن بن عيسى فإنه وصله ، ومعن ثقة ؛ إلا أني أخشى أن يكون الخطأ فيه من علي بن عبد الحميد الفضائري عن مجاهد بن موسى عن معن بن عيسى . وزاد فيه أبو عبد الله عمرو بن الأثير بإسناده : « له غنمه وعليه غرمه » . وهذه اللفظة قد اختلف الرواة في رفعها ؛ فرفعها ابن أبي ذئب ومعمر وغيرهما . ورواه ابن وهب وقال : قال يونس قال ابن شهاب : وكان سعيد بن المسيب يقول : الرهن ممن رهنه ، له غنمه وعليه غرمه ؛ فأخبر ابن شهاب أن هذا من قول سعيد لا عن النبي صلى الله عليه وسلم . إلا أن معمر ذكره عن

(١) في ٥ : تابعه . (٢) في ٦ : « ومنافع الرهن معلومة » . (٣) في ٦ : يفتك .

(٤) في ٦ : ابن عمرو والصحيح من التمهيد .

ابن شهاب مرفوعاً، ومَعْمَرُ أَمِيْتُ النَّاسِ فِي ابْنِ شَهَابٍ . وَتَابِعَهُ عَلَى رَفْعِهِ يَحْيَى بْنُ أَبِي أَنَسٍ  
وَيَحْيَى لَيْسَ بِالْقَوِي . وَأَصْلُ هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالنُّقْلِ مُرْسَلٌ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ وَصَلَ  
مِنْ جِهَاتٍ كَثِيرَةٍ فَاتَّهَمَ بِمُتْلَوْنَهَا . وَهُوَ مَعَ هَذَا حَدِيثٌ لَا يَرْفَعُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَإِنْ اخْتَلَفُوا  
فَقَدْ تَأَوَّلَهُ وَمَعْنَاهُ . وَرَوَاهُ الدَّارِقُطَنِيُّ أَيْضًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ عَنْ ابْنِ أَبِي ذَنْبٍ عَنْ  
الزَّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً . قَالَ أَبُو عَمْرِو : لَمْ يَسْمَعْهُ إِسْمَاعِيلُ مِنْ ابْنِ أَبِي ذَنْبٍ  
وَإِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ عُبَادِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ ابْنِ أَبِي ذَنْبٍ ، وَعُبَادٌ عَنْهُمْ ضَعِيفٌ لَا يُتَّبَعُ بِهِ . وَإِسْمَاعِيلُ  
عَنْهُمْ أَيْضًا فَيُرْمَقُوبُ الْحَدِيثُ إِذَا حَدَّثَ عَنْ غَيْرِ أَهْلِ بَلَدِهِ ؛ فَإِذَا حَدَّثَ عَنِ الشَّامِيِّينَ فَخَدِثَهُ  
مُسْتَقِيمٌ ، وَإِذَا حَدَّثَ عَنِ الْمَدَنِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ فَفِي حَدِيثِهِ خَطَأٌ كَثِيرٌ وَاضْطِرَابٌ .

الخامسة عشرة - تَمَاءُ الرِّهْنِ دَاخِلٌ مَعَهُ إِنْ كَانَ لَا يَتَّخِذُ كَالسَّيْنِ ، أَوْ كَانَ نَسْلًا كَالْوِلَادَةِ  
وَالنَّجَاحِ ؛ وَفِي مَعْنَاهُ قَسِيرُ النَّخْلِ ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ غَلَّةٍ وَثَمَرَةٍ وَلَبَنٍ وَصُوفٍ فَلَا يَدْخُلُ فِيهِ  
إِلَّا أَنْ يَشْتَرِطَهُ . وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْأَوْلَادَ تَتَّبِعُ فِي الزَّكَاةِ لِلْأُمَهَاتِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْأَصْوَابُ  
وَالْأَبَانُ وَثَمَرُ الْأَشْجَارِ ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ تَتَّبِعُ لِلْأُمَهَاتِ فِي الزَّكَاةِ وَلَا هِيَ فِي صُورِهَا وَلَا فِي مَعْنَاهَا  
وَلَا تَقُومُ مَعَهَا ، فَلَهَا حُكْمُ نَفْسِهَا لِاحْكُمِ الْأَصْلَ خِلَافَ الْوَلَدِ وَالنَّجَاحِ . وَاتَّقِ اعْلَمْ بِصَوَابِ ذَلِكَ .

السادسة عشرة - وَرَهْنٌ مَنْ أَحَاطَ الدِّينَ بِمَالِهِ جَائِزًا لَمْ يُغْلَسْ ، وَيَكُونُ الْمَرْتَبَيْنِ أَحَقُّ  
بِالرَّهْنِ مِنَ الْغَرْمَاءِ ؛ قَالَهُ مَالِكٌ وَجَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ . وَرَوَى عَنْ مَالِكٍ خِلَافَ هَذَا - وَقَالَهُ  
عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ - أَنَّ الْغَرْمَاءَ يَدْخُلُونَ مَعَهُ فِي ذَلِكَ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يُحْجَرْ  
عَلَيْهِ تَنْصَرِفَاتُهُ صَحِيحَةٌ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ مِنْ بَيْعٍ وَشُرَاءٍ ، وَالْغَرْمَاءُ عَامِلُوهُ عَلَى أَنَّهُ يَبِيعُ وَيَشْتَرِي  
وَيَقْبِضُ ، لَمْ يَخْتَلَفْ قَوْلُ مَالِكٍ فِي هَذَا الْبَابِ ، فَكَذَلِكَ الرِّهْنُ . وَاتَّقِ اعْلَمْ .

السابعة عشرة - قَوْلُهُ تَعَالَى : ( فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ) الْآيَةُ . شَرْطُ رِبْطِهِ وَضِيَّةُ  
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ بِالْأَدَاءِ وَتَرْكِ الْمَطْلِ . يَعْنِي إِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ أَمِينًا عِنْدَ صَاحِبِ الْحَقِّ  
وَنَفَقَةً فَلْيُؤَدِّ لَهُ مَا عَلَيْهِ أَتَمَّنْ . وَقَوْلُهُ ( فَلْيُؤَدِّ ) مِنَ الْأَدَاءِ مَهْمُوزٌ ، [وَهُوَ جَوَابُ الشَّرْطِ] وَيُجَوِّزُ  
تَخْفِيفَ هَمْزِهِ تَقْلِبُ الْهَمْزَةِ وَاوًا وَلَا تَقْلِبُ أَلِفًا وَلَا تَجْعَلُ بَيْنَ بَيْنَ ؛ لِأَنَّ الْأَلِفَ لَا يَكُونُ

ما قبلها إلا مفتوحا - وهو أمر معناه الوجوب، بقرينة الإجماع على وجوب أداء التلويح •  
وثبوت حكم الحاكم به وجبه الترماء عليه، وبقرينة الأحاديث الصريحة في تحريم مال الخمر •  
الثامنة عشرة - قوله تعالى : ( أَمَّا نَسَتْ ) الأمانة مصدر مسمى به الشيء الذي في الذمة  
وأضافها إلى الذي عليه الدين من حيث لما إليه نسبة كما قال تعالى : « وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ  
أَمْوَالَكُمُ » •

التاسعة عشرة - قوله تعالى : ( وَلَيَسِّرْ اللَّهُ رَوْبَهُ ) أى في ألا يكتم من الحق شيئا •  
وقوله : ( وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ) تفسير لقوله : « وَلَا يُضَارُّ » بكسر العين • نهى الشاهد  
عن أن يضرب بكتان الشهادة، وهو نهى على الوجوب بعدة فرائض منها الوعيد • وموضع النهى  
هو حيث يخاف الشاهد ضياع حق • وقال ابن عباس : على الشاهد أن يشهد حيثما استشهد،  
ويخبر حيثما استخبر، قال : ولا تقل أخبر بها عند الأمير بل أخبر بها لعله يرجع ويرعى •  
وقرأ أبو عبد الرحمن « ولا يكتموا » بالياء، جعله نهيًا للغائب •

المؤفية عشرين - إذا كان على الحق شهود تعين عليهم أدائها على الكفاية، فإن أذاها  
اثنان وأجترأ الحاكم بهما مقلط القرض عن الباقيين، وإن لم يجترأ بها تعين المشي إليه حتى يقع  
الإثبات • وهذا يعلم بدعاء صاحبها، فإذا قال له : أحبي حتى بأداء ما عندك لي من الشهادة  
تعين ذلك عليه •

الحادية والعشرون - قوله تعالى : ( وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَمٌ قَلْبُهُ ) خص القلب بالذكر  
إذ الكتم من أفعاله، وإذ هو المضمة التي يصلح الجسد كله كما قال عليه السلام •  
فعبّر ببعض من أفعاله، وقد تقدم [ في أول السورة ] وقال البكاء : لما عزم على  
ألا يؤدّيها وترك أدائها باللسان رجح المأثم إلى الوجهين جميعا • فقوله : « آتَمٌ قَلْبُهُ » مجاز،  
وهو أكد من الحقيقة في الدلالة على الوعيد، وهو من بديع البيان ولطيف الإعراب عن  
المعاني • يقال : آتم القلب سبب مسخه، والله تعالى إذا مسخ قلبا جعله منافقا وطبع عليه،  
نمود بالله منه [ وقد تقدم في أول السورة ] • « قلبه » رفع، « وآتم » و « آتم » ضمير

(١) نفس • (٢) الثامنة • (٣) رفع • (٤) آتم • (٥) ضمير

« إِنَّهُ » وَلَئِنْ شئتَ وَفُتْ آمَنَّا بِالْإِبتداءِ ، وَ « قَلْبُهُ » فاعِلٌ يَسُدُّ مَسَدَ الْخَبَرِ وَالْجُمْلَةِ خَبَرُ « إِنْ »  
 وَلَئِنْ شئتَ وَفُتْ آمَنَّا عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ الْإِبتداءِ تَتَوى بِهِ التَّأخِيرُ . وَإِنْ شئتَ كَانَ « قَلْبُهُ » يَدُلَّا  
 مِنْ « أَمَّا » بِدَلِّ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ . وَإِنْ شئتَ كَانَ يَدُلَّا مِنَ الْمَضْمَرِ الَّذِي فِي « آمَنَّا » .  
 وَتَعَرَّضَتْ هُنَا ثَلَاثُ مَسَائِلَ تَبَيَّنَتْ أَرْبَعٌ وَعِشْرِينَ :

الْأُولَى - نَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الشَّهَادَةِ وَالْكِتَابَةِ لِمُرَاعَاةِ صَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ  
 وَفِي النَّارِخِ الْوَقُوفِ إِلَى نَسَائِدَاتِ الْبَيْنِ ؛ لِئَلَّا يَسْؤَلَ لَهُ الشَّيْطَانُ جُحُودَ الْحَقِّ وَتَجَاوُزَ مَا حَذَلَهُ  
 لِلشَّرْعِ ، أَوْ تَرَكَ الْإِفْتِصَالَ عَلَى الْمَقْدَارِ الْمُسْتَحَقِّ ؛ وَلِأَجْلِهِ حَرَّمَ الشَّرْعُ الْيَبَاعَاتِ الْمَجْهُولَةَ الَّتِي  
 لَهَا نَصِيبُهَا يُوَدِّعُ إِلَى الْإِخْتِلَافِ ، وَنَسَائِدَاتِ الْبَيْنِ وَلِإِقْبَاحِ التَّضَاغُنِ وَالتَّابِينِ . فَمِنْ ذَلِكَ مَا حَرَّمَهُ  
 اللَّهُ مِنَ الْبَيْسَرِ وَالْقَهَارِ وَشَرِبِ الْخَمْرِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ  
 وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسَرِ » الْآيَةِ . فَمَنْ تَأَذَّبَ بِأَدَبِ اللَّهِ فِي أَوَامِرِهِ وَزَوَاجِرِهِ حَازَ صَلَاحَ  
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ لَكُنَّا خَيْرًا لَهُمْ » الْآيَةِ .

الثَّانِيَّةُ - رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ  
 أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يَرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَهَا يَرِيدُ إِتْلَافِهَا أَتْلَفَهَا اللَّهُ » . وَرَوَى  
 النَّسَائِيُّ عَنْ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا اسْتَدَانَتْ ، فَقِيلَ : يَا أُمَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
 تَمْسُدِينَ بَيْنَ بَيْنٍ وَلَيْسَ عِنْدَكَ وَفَاءٌ ؟ قَالَتْ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :  
 « مَنْ أَخَذَ دِينَارًا وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُؤْذِيَهُ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ » . وَرَوَى الطَّحَاوِيُّ وَأَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ  
 وَالْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ عَقْبَةَ بْنِ حَاصِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :  
 « لَا تُخْفُوا الْأَنْفُسَ بَعْدَ أَمْنِهَا » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : « الَّذِينَ » .  
 وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَعَاءِ ذَكَرَهُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ  
 مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَضَلَعِ الدِّينِ وَقَلْبَةِ الزَّوْجِ » . قَالَ الْعُلَمَاءُ :  
 ضَلَعُ الدِّينِ هُوَ الَّذِي لَا يَجِدُ دَانِيَةً مِنْ حَيْثُ يُؤْذِيهِ . وَهُوَ مَا خَوْفُ مَنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : يَمْلُ مُضْلِعٍ  
 أَيْ يَمْلُ ، حَاجَةً مُضْلِعٍ لَا تَقْدِرُ عَلَى الْخَلْقِ ، قَالَه صَاحِبُ الْمَعْنَى . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :



«الدين شين الدين» . وروى عنه أنه قال : «الدين هم بالليل ومثله بالهار» . قال  
 علاماؤنا : وإنما كان شيئا ومثله لما فيه من شغل القلب والبال والمهم اللازم في قضاءه ، والتذلل  
 للفرع عند لقائه ، وتحمل مثله بالآخر إلى حين إوائه . وربما يعد من نفسه القضاء فيختلف ،  
 أو يحدث الفرع بسببه فيكذب ، أو يخلف له فيحنت ، إلى غير ذلك . ولهذا كان عليه السلام  
 يتعوذ من المأثم والمغرم ، وهو الدين . فقيل له : يا رسول الله ، ما أكثر ما تتعوذ من المغرم ؟  
 فقال : «إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف» . وأيضاً فرمى قد مات ولم  
 يقض الدين فيرتن به ، كما قال عليه السلام : «تسعة المؤمن مرتبة في قبره يدينه حتى يقضى  
 عنه» . وكل هذه الأسباب مشائ في الدين تذهب بجماله وتنتقص كماله . والله أعلم .

الثالثة - لما أمر الله تعالى بالكتب والإشهاد وأخذ الزهان كان ذلك نصاً قاطعاً  
 على مراعاة حفظ الأموال وتبينها ، ورداً على الجهالة المتصوفة ورماعها الذين لا يرون ذلك ،  
 فيخرجون عن جميع أموالهم ولا يتركون كفاية لأنفسهم وعيالهم ، ثم إذا احتاج وانقر عياله  
 فهو إما أن يتعرض لئمن الإخوان أو لصداقاتهم ، أو أن يأخذ من أبواب الدنيا وظلماتهم ،  
 وهذا الفعل مذموم منهي عنه . قال أبو الفرج الجوزي : «ولست أعجب من الترهدين  
 الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم ، إنما أتعجب من أقوام لهم علم وعقل كيف حنوا على هذا  
 وأصرروا به مع مضادته للشرع والعقل . فذكر المحاسبي في هذا كلاماً كثيراً ، وشيئاً أبو حامد  
 الطوسي ونصره . والحارث عندي أعذر من أبي حامد ، لأن أبا حامد كان أفتة ، غير أن دخوله  
 في التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه . قال المحاسبي في كلام طويل له : ولقد بلغني  
 أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال فاس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
 إنما تخاف على عبد الرحمن فيما ترك . فقال كعب : سبحان الله ! وما تخافون على عبد الرحمن ؟  
 كتب طيباً وأفق طيباً وترك طيباً . فبلغ ذلك أباذر فخرج متفضلاً يريد كعباً ، فترى بلحي يجمع  
 فأخذه بيده ، ثم أطلق يطلب كعباً ، فقبل لكعب : «إذ أبادر بطلبك . فخرج هارياً حتى

(١) هو أبو عبد الله الحارث بن أحمد الزاهد المحاسبي ، روى المحاسبي لكثرة عجايبه لنفسه (من أنساب السعديين) .  
 (٢) أراد كعب الأضواء يدل على قوله : «بأنه لم يرد» . ولهذا فهو صحيح على ما يأتي من قوله : «وكان عليه السلام» .  
 (٣) أي : «فلم يترك» . وهو الذي عليه الأسمان .



ما تتقدمه المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة ، وأن حبه ينافي التوكل ، ولا ينكر أنه يخاف من فقته ، وأن خلقا كثيرا اجتنبوه لخوف ذلك ، وأن جمعه من وجهه ليمز<sup>(١)</sup> ، وأن سلامة القلب من الافتتان به تقل ، واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يسد<sup>(٢)</sup> ، فلهذا خيف فقته . فاما كسب المال فإن من اقتصر على كسب البُلغة من حلها فذلك أمره لا بد منه ، وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الجلال فيُظرف مقصوده ، فإن قصد نفس المفارقة والمباهاة فيئس المقصود ، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته ، وأذخر لحوائث زمانه وزمانهم ، وقصد التوسعة على الإخوان وإغناء الفقراء وفعل المصالح أوجب على قصده ، وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات . وقد كانت نيات خلق كثير من الصحابة في جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم بجمعه ، فحرصوا عليه وسألوا زيادته . ولما أقطع النبي صلى الله عليه وسلم الزبير حضر فريسه أجرى الفرس حتى قام ثم رمى سوطه ، فقال : " أعطوه حيث بلغ سوطه " . وكان سعد بن عباد يقول في دعائه : اللهم وسع علي . وقال اخوة يوسف : " وَتَزِدَادُ كُلَّ يَوْمٍ " . وقال شعيب لموسى : " فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا قَبْلَ مِائَةٍ " . وإن أبوب لما عوفي نُثر عليه رجل من جراد من ذهب ، فأخذ يتخفي في ثوبه ويستكثر منه . فقيل له : أما شِئْتَ ؟ فقال : يا رب فقير يشبع من فضلك ؟ . وهذا أمر مَرَكُوز في الطباع . وأما كلام المحاسبي خطأ يدل على الجهل بالعلم ، وما ذكره من حديث كُتِبَ وأبى ذر فقال : من وضع الجهال وخفيت عدم محنته عنه لقُوفه بالقوم . وقد روى بعض هذا وإن كان طريقه لا ينبت ، لأن في سنده ابن لبيبة وهو مطعون فيه . قال يحيى : لا ينجح بحديثه . والصحيح في التاريخ أن أباذر توفي سنة خمس وعشرين ، وعبد الرحمن بن هوف توفي سنة اثنين وثلاثين ، فقد عاش بعد أبي ذر سبع سنين . ثم لفظ ما ذكره من حديث يدل على أن حديثهم موضوع ، ثم كيف تقول الصحابة : إنا نخاف على عبد الرحمن ! أوليس الإجماع متقدا على إباحة [جمع] المال من جهله ، فإوجه الخوف مع الإباحة ؟ أو يأذن الشرع في شيء ثم يعاقب<sup>(٣)</sup> .

(١) كما في دبره ، وفي دبره - (٢) المضر (بضم فسكون) والاستكثار ، انقطاع الفرس في حلقه . (٣) راجع ٩٦ ص ٢٢٢ (٤) راجع ١٢٤ ص ٢٢٧ (٥) الرطل (بضم فسكون) . القطعة العظيمة من الجراد . (٦) من ب و ج و هـ .

عليه ؟ هذا قلة فهم وفقه . ثم أينكر أبو نذر على عبد الرحمن ، وعبد الرحمن خير من أبي نذر  
 بما لا يتقارب ؟ ثم تعلقه بعد الرحمن وحده دليل على أنه لم [يسب] سيرة الصحابة ؛ فإنه قد خلف  
 طليعة ثلاثمائة يهافر في كل يهافر ثلاثة قناطير . واليهار الحبل . وكان مال الزبير خمسين ألفا  
 ومائتي ألف . وخلف ابن مسعود تسعين ألفا . وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها  
 ولم ينكر أحد منهم على أحد . وأما قوله : « إن عبد الرحمن يحب حواء يوم القيامة » فهذا  
 دليل على أنه ما عرف الحديث ، وأعوذ بالله أن يحب عبد الرحمن في القيامة ؛ أفترى من سبق  
 وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ومن أهل بدر والشورى يحبو ؟ ثم الحديث يرويه عمار  
 ابن زاذان ؛ وقال البخاري : ربما اضطرب حديثه . وقال أحمد : يروى عن أنس أحاديث  
 ضاكية ، وقال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به . وقال الدارقطني : ضعيف . وقوله : « ترك  
 المال الحلال أفضل من جمعه » ليس كذلك ، ومتى فتح القصد بجمعه أفضل بلا خلاف عند  
 العلماء . وكان سعيد بن المسيب يقول : لا خير فيمن لا يطلب المال ، يقضى به دينه  
 ويصون به عرضه ؛ فإن مات تركه ميراثا لمن بعده . وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار ،  
 وخلف سفيان الثوري مائتين ، وكان يقول : المال في هذا الزمان سلاح . وما زال السلف  
 يمدحون المال ويمومونه للنواب وإعانة الفقراء ؛ وإنما تحاماه قوم منهم إثارا للتشاكل  
 بالعبادات ، وجمع المم ففتحوا باليسير . فلو قال هذا القائل : إن التقليل منه أولى قرب الأمر  
 ولكنه زاحم به مرتبة الإنهم .

قلت : وما يدل على حفظ الأموال ومراعاتها إباحة القتال دونها وعليها ؛ قال صلى الله  
 عليه وسلم : « من قتل دون ماله فهو شهيد » . وسيأتي بيانه في « المائدة » إن شاء الله تعالى .

قوله تعالى : **لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي  
 أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْصَرُوا بِمَحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ  
 وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (٢٨)

قوله تعالى : (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) تقدم معناه .  
 قوله تعالى : (وَأِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ بِمَا يَحْسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ) فيه مسائلان :  
 الأولى - اختلف الناس في معنى قوله تعالى : «وَأِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ بِمَا يَحْسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ» على أقوال خمسة :

الأول - أنها منسوخة ، قاله ابن عباس وابن مسعود وعائشة وأبو هريرة والشعبي وعطاء ومحمد بن سيرين ومحمد بن كعب وموسى بن عبيدة وجماعة من الصحابة والتابعين .  
 وأنه بقي هذا التكليف حولا حتى أنزل الله الفرج بقوله : «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» .  
 [وهو قول ابن مسعود وعائشة وعطاء ومحمد بن سيرين ومحمد بن كعب وغيرهم] وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : لما نزلت : «وَأِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ بِمَا يَحْسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ» قال : دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «قولوا سمعنا وأطعنا وسألنا» قال : فأتى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى : «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ وَبِمَا تَأْخِذُنَا إِنْ نَبِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا» [قال : «قد فعلت»] <sup>(١)</sup> «رَبَّنَا وَلَا تَجْعَلْ عَلَيْنَا مَسْرَعًا حَقَّتْهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا» [قال : «قد فعلت»] <sup>(٢)</sup> «رَبَّنَا وَلَا تَجْعَلْنَا مِلًّا طَائِفَةً لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» [قال : «قد فعلت»] <sup>(٣)</sup> : في رواية فلما فعلوا ذلك نسخها الله ثم أنزل تعالى : «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» وسباق .

الثاني - قال ابن عباس وعكرمة والشعبي ومجاهد : إنها محكمة مخصوصة ، وهي في معنى الشهادة التي نهى عن كتمانها ، ثم أعلم في هذه الآية أن الكتمان لها القضي ما في نفسه محاسب .

الثالث - أن الآية فيها بطرا على النفوس من الشك واليقين ، وقاله مجاهد أيضا .

الرابع - أنها محكمة عامة غير منسوخة ، والله محاسب خلقه على ما عملوا من عمل وعلى ما لم يعملوه مما ثبت في قلوبهم وأخبروه ونوره وأرادوه ، فيغفر للمؤمنين ويأخذ به أهل الكفر والنفاق ، ذكره الطبرسي من قوم ، وأدخل عن ابن عباس ما يشبهه هذا . روى عن علي

(١) الزيادة من صحيح مسلم  
 (٢) هذا الخبر في نسخة من صحيح مسلم  
 (٣) الزيادة من صحيح مسلم

ابن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال : لم تنسخ ، ولكن إذا جمع الله الخلائق يقول : "إني أخبركم بما أكنتم في أنفسكم" فاما المؤمنون فيخبرهم ثم يفقر لهم ، واما أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوه من التكذيب ، فذلك قوله : **وَيُخَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ** ، وهو قوله عز وجل : **« وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ »** من الشك والتفائق . وقال الضحاك : يملأه الله يوم القيامة بما كان يسره ليعلم أنه لم يخف عليه . وفي الخبر : "إن الله تعالى يقول يوم القيامة هذا يوم تُبْلَى فيه السرائر وتخرج الضمائر وأن كُنَّا لم يكتبوا إلا ما ظهر من أعمالكم وأنا المطلع على ما لم يطلعوا عليه ولم يُخْبَرُوا ولا يكتبوه فانا أخبركم بذلك وأحاسبكم عليه فأغفر لمن أشاء وأعذب من أشاء" فيفقر للؤمنين ويعذب الكافرين ، وهذا أصح ما في الباب ، يدل عليه حديث النجوى على ما يأتي بيانه ، **[ لا يقال ]** : فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم "إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به" . فإنا نقول : ذلك محمول على أحكام الدنيا ، مثل الطلاق والعناق والبيع التي لا يلزمه حكمها ما لم يتكلم به ، والذي ذكر في الآية فيما يؤخذ العبد به بينه وبين الله تعالى في الآخرة . وقال الحسن : الآية محكمة ليست بمنسوخة . قال الطبري : وقال آخرون نحو هذا المعنى الذي ذكر عن ابن عباس ، إلا أنهم قالوا : إن العذاب الذي يكون جزاء لما خُفِرَ في النفوس وصحبه الفكر إنما هو بمصائب الدنيا وآلامها وسائر مكارهاها . ثم أسند عن عائشة نحو هذا المعنى ، وهو (القول الخامس) : ورجح الطبري أن الآية محكمة غير منسوخة : قال ابن عطية : وهذا هو الصواب ، وذلك أن قوله تعالى : **« وَإِنْ تَبَدَّلَا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوا »** معناه مما هو في وسعكم وتحت كسبكم ، وذلك استصحاب المعتد والفكر ، فلما كان اللفظ مما يمكن أن تدخل فيه الخواطر أشق الصعابة والنبي صلى الله عليه وسلم ، فبين الله لهم ما أراد بالآية الأخرى ، وخصصها ونص على حكمه أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها ، والخواطر ليست هي ولا دفعها في الوسع ، بل هي أمر غالب وليست مما يكتب وما فكان في هذا البيان فرجهم وكشف كُرهِهم ، وبقي الآية محكمة لا نسخ فيها : وبما يدفع أمر النسخ أن الآية خبر والأخبار لا يدخلها النسخ ، فإن ذهب ذاهب إلى تقدير النسخ فإثما يترتب له في الحكم الذي لحق الصعابة حين نزولها من الآية ، وذلك أن قول النبي صلى الله عليه وسلم : **(١) قراءة تابع كما قال (٢) وأصح من ٩٩ من هذا الجزء . (٣) طلب الزيادة من موهوب . (٤) لا بد من دوط وابن حلية ، وكان الآية . موهوب .**

عليه وسلم لم : « قولوا سمعنا وأطعنا » يحيى منه الأمر بأن يشبوا على هذا ويترموه ويغظروا لطف الله في القرآن . فإذا قرر هذا الحكم نصحيح وقوع النسخ فيه ، وتشبه الآية حينئذ قوله تعالى : « إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَقْبَلُوا بِأَتَيْنٍ » فهذا لفظه الخبر ولكن معناه التزموا هذا وأثبتوا عليه وأصبروا بحسبه ، ثم نسخ بعد ذلك . وأجمع الناس فيما علمت على أن هذه الآية في الجهاد منسوخة بصبر المائة للآتين . قال ابن عطية : وهذه الآية في « البقرة » أشبه شيء بها . وقيل : في الكلام إضمار وتقييد ، تقديره يحاسبكم به الله إن شاء ، وعلى هذا فلا نسخ . وقال النحاس : ومن أحسن ما قيل في الآية وأشبه بالظاهر قول ابن عباس : إنها عامة ، ثم أدخل حديث ابن عمر في التجوى ، أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ، واللفظ لمسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يَدْنِي الْمُؤْمِنُ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ] مِنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَفَّهُ فَيَقْرُرَهُ بِذُنُوبِهِ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُ فَيَقُولُ [أَيُّ] رَبِّ أَعْرِفُ قَالَ فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهَا وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَتَأَدَّى بِهِمْ عَلَى رءُوسِ الْخَلَائِقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ » . وقيل : إنها نزلت في الذين يتولون الكافرين من المؤمنين ، أى وإن تعلموا ما في أنفسهم أيها المؤمنون من ولاية الكفار أو تسروها يحاسبكم به الله ، قاله الواقدى ومقاتل . واستدلوا بقوله تعالى في ( آل عمران ) « قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوا — مِنْ ولاية الكفار — يَعْلَمُهُ اللَّهُ » يدل عليه ما قبله من قوله : « لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ » . قلت : وهذا فيه بعد ، لأن سياق الآية لا يقتضيه ، وإنما ذلك بين في « آل عمران » والله أعلم . وقد قال سفيان بن عيينة : بلغني أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يأتون قومهم بهذه الآية « يَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُكُمْ بِحَسْبِكُمْ بِهِ اللَّهُ » . قوله تعالى : ( فَيَقْبَلُونَ مِنَّا مَا نَشَاءُ ) قرأ ابن كثير ووافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي « فَيَقْبَلُونَ — وَيُؤْتُونَ » بالجزم عطف على الجواب . وقرأ ابن عامر وعاصم بالرفع

(١) في أبو وط : ويجوز في عطية : يمتروا . (٢) أريج ج ٨ ص ٤٤

(٣) كذا في ابن عطية . وفي أبو جوده : وأبوا . (٤) الزيادة من صحيح مسلم . (٥) أريج ج ٨ ص ٥٧

فِيهِمَا عَلَى الْقَطْعِ، أَيْ نَهْرٌ يَنْفَرُ وَيَسْتَبُّ. وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْأَعْرَجِ وَأَبِي الْعَالِيَةِ وَعَاصِمِ  
الْحُسَيْنِيِّ بِالنَّصْبِ فِيهِمَا عَلَى إِضْمَارٍ « أَنْ » . وَحَقِيقَتُهُ أَنَّهُ عَطَفَ عَلَى الْمَعْنَى ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ  
تَعَالَى : « فَيُضَاعِفُهُ لَهُ » . وَقَدْ تَقَدَّمَ . وَالْعَطْفُ عَلَى اللَّفْظِ أَجُودُ لِلشَّاعِرِ ؛ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :  
وَمَنْ مَاجَ مِنْكَ كَلَامًا • يَتَكَلَّمُ فَيُجِيبُكَ بِعَقْلِ

قَالَ النُّعْمَانُ : وَرَوَى عَنْ طَلْعَةَ بِنْتِ مُصَرِّفٍ « بِحَاسِبِكَ بِهَ اللَّهُ يَنْفَرُ » بِفِرَافِهِ عَلَى الْبَدَلِ .  
ابْنُ عَطِيَّةٍ : وَبِهَاقِرَ الْجَعْفِيِّ وَخِلَادٍ . وَرَوَى أَنَّهُ كَذَلِكَ فِي مَصْحُفِ ابْنِ مَسْعُودٍ . قَالَ  
أَبْنُ جُنَيْ : هِيَ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ « بِحَاسِبِكَ » وَهِيَ تَفْسِيرُ الْحَاسِبَةِ ؛ وَهَذَا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :  
رَوَيْدًا بَيْنَ شَيْئَانِ بَعْضٌ وَعِيدُكُمْ • تَلَاوُفًا غَدَا خَيْلٍ عَلَى سَقَوَانِ  
تَلَاوُفًا جَيَادًا لَا تَجِدُ عَنْ الْوَعَى • إِذَا مَا غَدَتْ فِي الْمَازِقِ الْمُتَدَانِ

فَهَذَا عَلَى الْبَدَلِ . وَكَرَّرَ الشَّاعِرُ الْفِعْلَ ؛ لِأَنَّهُ الْفَائِدَةُ فِيمَا يَلِيهِ مِنَ الْقَوْلِ . قَالَ النُّعْمَانُ : وَأَجُودُ  
مِنْ الْجَزْمِ لَوْ كَانَ بَلَا فَاءَ الرُّنْحِ ؛ يَكُونُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ؛ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :  
مَنْ تَأْتِيهِ تَعْتُو إِلَى ضَمُومِ نَارِهِ • تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مَوْقِدٍ

قَوْلُهُ تَعَالَى : « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ  
كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ  
وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » (٢٨٦) لَا يَكِلُفُ اللَّهُ  
نَفْسًا إِلَّا أَوْسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا  
إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَاْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَلَقَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا  
وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٧)



فيه إحدى عشرة مسألة :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [وَوَيْهِ مِنَ الْحَقِّ] ومجاهد والضحاك : أن هذه الآية كانت في قصة المعراج ، وهكذا روى في بعض الروايات عن ابن عباس ، وقال بعضهم : جميع القرآن نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم إلا هذه الآية فإن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي سمع ليلة المعراج ، وقال بعضهم : لم يكن ذلك في قصة المعراج ، لأن ليلة المعراج كانت بمكة وهذه السورة كلها مدنية ، فأما من قال : إنها كانت ليلة المعراج قال : لما صعد النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ في السموات في مكان مرتفع ومعه جبريل حتى جاوز سدرة المنتهى فقال له جبريل : إني لم أجاوز هذا الموضع ولم يؤمر بالمجاورة أحد هذا الموضع غيرك بخاؤز النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الموضع الذي شاء الله ، فأشار إليه جبريل بأن سلم على ربك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : التَّحِيَّاتُ لله والصلوات والطيبات . قال الله تعالى : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون لأتمه حظ في السلام فقال : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . فقال جبريل وأهل السموات كلهم : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . قال الله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ﴾ على معنى الشكر أي صدق الرسول ﴿ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يشارك أمته في الكرامة والفضيلة فقال : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفِرُّ بَيْنَ رُسُلِهِ ﴾ يعني يقولون آمنا بجميع الرسل ولا نكفر بأحد منهم ولا نفرق بينهم كما فرقت اليهود والنصارى ، فقال له ربه كيف قبولهم بآي الذي أنزلتها ؟ وهو قوله : ﴿ إِنْ تَدْرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ يعني المرجع . فقال الله تعالى عند ذلك ﴿ لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْمَهَا ﴾ يعني طاقها ويقال : إلاً دون طاقتها . ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ من الخير ﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ من الشر ، فقال جبريل عند ذلك : سل تعطه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا ﴾ يعني إن جهلنا ﴿ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ يعني إن تعبدنا ، ويقال : إن علمنا بالنسيان

واخطأ . فقال له جبريل : قد أعطيت ذلك قد رفع عن أمتك الخطأ والنسيان . فسل شيئا آخر فقال : « رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا » يعني تملأ « نَحْمَلْنَهُ حَتَّى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا » وهو أنه حرم عليهم الطيبات بظلمهم ، وكانوا إذا أذنبوا بالليل وجدوا ذلك مكتوبا على بابهم ، وكانت الصلوات عليهم تحسين ، تنقذ الله عن هذه الأمة وخطئ عنهم بعد ما فرض تحسين صلاة . ثم قال : « رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ » يقول : لا تملأنا من العمل ما لا نطبق فخطئنا ، ويقال : ما تلقى علينا لأنهم لو أمروا بحسين صلاة لكانوا يطبقون ذلك ولكنه يشق عليهم ولا يطبقون الإدامة عليه « وَاعْفُ عَنَّا » من ذلك كله « وَاعْفِرْ لَنَا » وتجاوز عنا . ويقال : « وَاعْفُ عَنَّا » من المسخ « وَاعْفِرْنَا » من الخسف « وَارْحَنَا » من القذف ؛ لأن الأثم الماضية بعضهم أصابهم المسخ وبعضهم أصابهم الخسف وبعضهم القذف ثم قال : « أَنْتَ مَوْلَانَا » يعني وليسنا وحافظنا « فَأَنْصِرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » فاستجبت دعوته . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نهضت بالرب سبعة شهر » ويقال إن النزاة : إذا خرجوا من ديارهم بالنية الخالصة وضربوا بالطليل وقع الرعب والهبة في قلوب الكفار مسمة شهر في شهر ، علموا بخروجهم أولم يعلموا ، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع أوحى الله هذه الآيات ، يعلم أنه بذلك . ولهذا الآية تفسير آخر ، قال الزجاج : لما ذكر الله تعالى في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة وبين أحكام الحج وحكم الطهارة والطلاق والإفلاء وأقاصيص الأنبياء وبين حكم الربا ، ذكر تعظيمه سبحانه بقوله سبحانه وتعالى : « فِيهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ » ثم ذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم ثم ذكر تصديق المؤمنين بجميع ذلك فقال : « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ » أي صدق الرسول بجميع هذه الأشياء التي جرى ذكرها وكذلك المؤمنون كلهم صدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله [ ١ ] .

(١) هذه الزيادة لا توجد في الأصول إلا في نسخة ب يوجد بين منها ، وفي نسخة ط توجد عليها وعليها اعتدناها وهي كما يرى شادة في مضمونها أول الكلام إذا أجمع عليه سلفا وخلفا أن القرآن نزل به الروح الأمين جميعا على نبيينا هذا صلى الله عليه وسلم « نزل به الروح الأمين على لسانك » وهذا هو المتواتر وتكون هذه الآية تقاضا لهذا صلوات الله عليه ليلة المراج بجانب ما تواتر ، ويكون أشد مجافاة إذا علمت أن الإسراء كان في الخامسة بعد البيت ، وقيل : يستل الحجرة والبقرة مدية بالإجماع . وقد وردت أحاديث في صحيح مسلم ، وسنن أبي داود وابن مردويه في ذكر ما ذكره القرطبي يد أن التواتر يجعل تلك الروايات على ضرب من التواتر متى صحت سندنا ومنها . مصححه .

قال علماءنا: قوله في الرواية الأولى<sup>(١٣)</sup> "قد فعلت" وهنا قال: "نعم" دليل على نقل الحديث بالمعنى، وقد تقدم. ولما تقرر الأمر على أن قالوا: "سمعنا وأطعنا، مدحهم الله وأثنى عليهم في هذه الآية، ورفع المشقة في أمر الخواطر عنهم؛ وهذه ثمرة الطاعة والانشطاع إلى الله تعالى؛ كما جرى لبني إسرائيل ضد ذلك من ذمهم وتحميلهم المشقات من الذلة والمسكنة والانحلاله إذ قالوا: "سمعنا وعصينا؛ وهذه ثمرة البصيان والتتوّد على الله تعالى، إغاذاً لله من عقابه بمنته وكرمه. وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له: إن بيت ثابت بن قيس بن شماس

(١) من صحيح مسلم . (٢) في الأصول بد نوله : «ما اكتسبت» قال : نعم . وليس في صحيح مسلم . (٣) ص ٤٢١ .

وَمَرَّ كُلُّ لَيْلَةٍ بِصَاحِبٍ . قَالَ : « فَلَهُ بِهَا سِدَّةُ الْبُقْعَةِ » فَمِثْلُ ثَابِتٍ قَالَ : قَرَأْتُ مِنْ  
 صِدَّةِ الْبُقْعَةِ . آمَنَ الرَّسُولُ . فَكَانَ جِبْرِئُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُمْ  
 اللَّهُ تَعَالَى . مِنْ عِلَّاسِهِمْ عَلَى مَا اخْتَنَ قَوْمُهُمْ ، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 فَقَالَ : « فَلَكُمْ قَوْلُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ » قَالُوا : بَلْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ،  
 فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى شَأْنَهُ عَلَيْهِمْ . آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
 « وَنَحْنُ لَمْ نَلِدْهُمْ » .

الثانية - قوله تعالى : ( آمَنَ ) أى صدَّق ، وقد تقدَّم . والذي أنزل هو القرآن .  
 وقرأ ابن مسعود « وآمن المؤمنون كل آمن بالله » على اللفظ ، ويجوز في غير القرآن « آمنوا »  
 على المعنى . وقرأ تابع ولهن كثير وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر ( وَكُنَّ ) على الجمع .  
 وقرأ في « التحريم » كتابه ، على التوحيد . وقرأ أبو عمرو هنا وفي « التحريم » « وَكُنَّ »  
 على الجمع . وقرأ حمزة والكسائي « وكأبه » على التوحيد فيها . فمن جمع أراد جمع كتاب ، ومن  
 أفرد أراد المصدر الذي يجمع كل مكتوب كان نزوله من عند الله . ويجوز في قراءة من وحد  
 أن يراد به الجمع ، يكون الكتاب إسمًا للجنس فتستوى القراءتان ؛ قال الله تعالى : « قَبِمَتْ  
 اللَّهُ النَّبِيِّينَ مَبْشَرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأُنْزِلَ مِنْهُمْ الْكِتَابُ » . قرأت الجماعة « وَرُسُلِهِ » بضم السين ،  
 وكذلك « رُسُلَنَا وَرُسُلَكُمْ وَرُسُلُكُمْ » ؛ إلا أبا عمرو فروى عنه تخفيف « رُسُلَنَا وَرُسُلَكُمْ » ،  
 وروى عنه في « رُسُلَكُمْ » التثنية والتخفيف . قال أبو علي : من قرأ « رُسُلَكُمْ » بالتثنية  
 فذلك أصل الكلمة ، ومن خفف فكما يخفف في الآحاد ؛ مثل عُنُقٍ وَطُنْبٍ . وإذا خفف  
 في الآحاد فذلك أحرى في الجمع الذي هو انتقل ؛ وقال منناه مكي . وقرأ جمهور الناس  
 « لَا تَفَرُّقُ » بالنون ، والمعنى يقولون لا تفرق ؛ فحذف القول ، وحذف القول كثير ؛ قال الله  
 تعالى : « وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْهِمْ » : أى يقولون سلام عليكم .  
 وقال : « وَتَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا » أى يقولون

ورثه وما كان مثله . وقرا سعيد بن جبيرة وعيسى بن يسار وابو لؤثة بن عمرو بن جهم  
 ومحمد بن لايفرق ، بالياء ، وعدنا على لفظ كل . قال هارون : وهي لم حرف ابن مسعود  
 « لا يفرون » . وقال « بين أحد » على الأفراد ولم يقبل كعاد ؛ لأن الأحد يتناول الواحد  
 والجميع ؛ كما قال تعالى : « قَاتِلْهُمْ مِنْ أَجْدِ عَتَّةَ حَاجِزِينَ » فـ « حاجزِينَ » صفة لأحد ؛ لأن  
 معناه الجمع . وقال صلى الله عليه وسلم : « ما أسلت القنائم لأحد سود الروس غيركم » وقاله روية  
 إذا أسود الناس ديت دينكا . لا يقبون أحدا من دونكا  
 ومعنى هذه الآية : أن المؤمنين ليسوا كاليهود والنصارى في أنهم يؤمنون ببعض  
 ويكفرون ببعض .

الثالثة - قوله تعالى : ( وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ) فيه حذف ، أى سمعنا سماع قاطع ،  
 وقيل : سمع بمعنى قول ؛ كما يقال : سمع الله لمن حمده ، فلا يكون فيه حذف . وعلى الجملة فهنا  
 القول يقتضى المدح لقائله . والطاعة قبول الأمر . وقوله ( غُفْرَاتُك ) مصدر كالكفران  
 والخسران ، والعامل فيه فعل مقدر ، تقديره : غفر غفراك ؛ قاله الزجاج . وضربه : تطلب  
 أو أسأل غفراك . ( وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ) إقرار بالبعث والوقوف بين يدي الله تعالى . وروى  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية قال له جبريل : « إن الله قد أحل التنازع  
 عليك وعلى أمك فسل تُعْطَهُ » فقال إلى آخر السورة .

الرابعة - قوله تعالى : ( لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ) التكليف هو الأمر بما ينش  
 عليه . وتكلف الأمر تجشمته ؛ حكاة الجوهري . والوسع : الطاقة والجدة . وهذا  
 خبر جزم . نص الله تعالى على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عبادة من أعمال القلب  
 أو الجوارح إلا وهي في وسع التكلف وفي مقتضى إدراكه وقبضته ؛ وبهذا انكشفت الكربة من  
 المسلمين في تأويلهم أمر الخواطر . وفي معنى هذه الآية ما حكاة أبو هريرة رضى الله عنه قال :  
 ما وجدت أن أحدا ولدني أنه إلا جعفر بن أبي طالب ؛ فإني تبعته يوما وأنا جالس فلما بلغ

منزله لم يجد فيه سوى نجي ستم قد بق فيه أثاره فشقه بين أيدينا ، فجعلنا نلق ما فيه من الحسن والرب وهو يقول :

ما كلف الله قساً لوقى طاقها • ولا تجسود يد إلا بما تجد

الخامسة - اختلف الناس في جواز تكليف ما لا يطاق في الأحكام التي هي في الدنيا ، بعد اغتافهم على أنه ليس والعسا في الشرع ، وأن هذه الآية آذنت بعدهم ؛ قال أبو الحسن الأشعري وجماعة من المتكلمين : تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً ، ولا يجرم ذلك شيئاً من مفائد الشرع ، ويكون ذلك أمانة على تعذيب المكلف وقطعاً به ، وينظر إلى هذا تكليف المصور أن يعقد شعيرة . واختلف القائلون بجوازه هل وقع في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أو لا ؟ فقالت فرقة : وقع في نازلة أبي لهب ، لأنه كلفه بالإيمان بحملة الشريعة ، ومن بعثها أنه لا يؤمن ؛ لأنه حكم عليه بقبّ اليدين وصلي النار ، وذلك مؤذن بأنه لا يؤمن ؛ فقد كلفه بأن يؤمن بأنه لا يؤمن . وقالت فرقة : لم يقع قط . وقد حكي الإجماع على ذلك . وقوله تعالى : « سَيَصْلَى نَاراً » معناه إن وآق ؛ حكاه ابن عطية . « وَيُكَلِّف » يتعدى إلى مفعولين أحدهما محذوف ؛ تقديره عبادة أو شيئاً . فانه سبحانه بطه وإنعامه علينا وإن كان قد كلفنا بما يشق ويثقل كثيrot الواحد للعشرة ، وهجرة الإنسان ونخروجه من وطنه ومفارقة أهله ووطنه وعادته ، لكنه لم يكلفنا بالمشقات المثقلة ولا بالأمور المؤلمة ؛ كما كلف من قبلنا بقتل أنفسهم وفرض موضع البول من ثيابهم وجلودهم ، بل سهل ورتق ووضع عنا الإصر والأغلال التي وضعها على من كان قبلنا . فانه الحمد والمنة ، والفضل والنعمة .

السادسة - قوله تعالى : ( لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ) يريد من الحسنات والسيئات . قاله السدي . وجماعة المفسرين لا خلاف بينهم في ذلك ؛ قاله ابن عطية . وهو مثل قوله : « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا . والخواطر ونحوها ليست من كسب الإنسان . وجاءت العبارة في الحسنات بـ « لَهَا » من حيث هي مما

يخرج المرء بكسبه ويسر بها، فتضاف إلى ملكه . وجاءت في السببات بدعائها من حيث هي أحوال وأوزار وتعملات صعبة؛ وهذا كما تقول: «لِي مَالٍ وَهَلِيٌّ» <sup>(١)</sup>، وكرر فعل الكسبة لخالف بين التصريف حسنا لنمط الكلام؛ كما قال: «فَهَلِيّ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤُوسًا» <sup>(٢)</sup> . قال ابن عطية: ويظهر لي في هذا أن الحسنات هي مما تكتسب دون تكلف، إذ كاسبها على جادة أمر الله تعالى ورغم شرعه؛ والسببات تكتسب ببناء المبالغة، إذ كاسبها يتكلف في أمرها نرق حجاب نهى الله تعالى ويخطئه إليها؛ فيحسن في الآية معنى التصريفين إحراراً؛ لهذا المعنى.

السابعة - في هذه الآية دليل على صحة إطلاق أئمتنا على أفعال العباد كتباً وأكتساباً؛ ولذلك لم يطلقوا على ذلك لا خَلَقَ ولا خَلَقَ؛ خلافاً لمن أطلق ذلك من مجترئة المبتدعة . ومن أطلق من أئمتنا ذلك على العبد، وأنه فاعل فبالجواز المحض . وقال المهدوي: وغيره . وقيل معنى الآية لا يؤخذ أحد بذنب أحد . قال ابن عطية: وهذا صحيح في نفسه ولكن من غير هذه الآية .

الثامنة - قال الكيا الطبري: قوله تعالى: «لَمَّا مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مَا كُنْتُمْ» يستدل به على أن من قتل غيره بمقتل أو بقتل أو بتزريق فعله ضامنه قصاصاً أو دية؛ خلافاً لمن جعل دية على العاقلة؛ وذلك يخالف الظاهر، ويدل على أن سقوط القصاص عن الأب لا يقتضي سقوطه عن شريكه . ويدل على وجوب الحد على العاقلة إذا مكنت مجنونا من نفسها . وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «ذكر علماءنا هذه الآية في أن القود واجبة على شريك الأب خلافاً لأبي حنيفة، وعلى شريك الخطأ، خلافاً للشافعي وأبي حنيفة؛ لأن كل واحد منهما قد اكتسب القتل» وقالوا: إن اشتراك من لا يجب عليه القصاص مع من يجب عليه القصاص لا يكون شبهة في دمه ما يدرأ بالشبهة .

التاسعة - قوله تعالى: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا» <sup>(٣)</sup> المعنى: أعف عن إثم ما يقع منا على هذين الوجهين أو أحدهما؛ كقوله عليه السلام: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان»

وما استكروا عليه " أى إثم ذلك . وهذا لم يختلف فيه أن الإثم مرفوع ، وإنما اختلف فيما يتعلق على ذلك من الأحكام ، هل ذلك مرفوع لا يلزم منه شيء أو يلزم أحكام ذلك كله ؟ اختلف فيه . والصحيح أن ذلك يختلف بحسب الوقائع ، فقسم لا يسقط باتفاق كالنمرات والديات والصلوات المفروضات . وقسم يسقط باتفاق كالفصاص والنطق بكلمة الكفر . وقسم ثالث يختلف فيه كمن أكل ناسيا في رمضان أو حنث ساهيا ، وما كان مثله مما يقع خطأ ونسيانا ، ويعرف ذلك في الفروع .

الماترة - قوله تعالى : ( رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا ) أى ثقلا . قال مالك والربيع : الإصر الأمر الغليظ الصعب . وقال سبيد بن جبير : الإصر شدة العمل ، وما غلظ على بن إسرائيل من البول ونحوه . قال الضحاك : كانوا يحملون أمورا شديدا ، وهذا نحو قول مالك والربيع ؛ ومنه قول النابتة :

يا مانع الضم أن يغشى سرّاتهم • والحامل الإصر عنهم بعد ما عرفوا<sup>(١)</sup>

عطاه : الإصر المسخ قسدة وخنازير ؛ وقاله ابن زيد أيضا . وعنه أيضا أنه الذنب الذى ليس فيه توبة ولا كفارة . والإصر فى اللغة العهد ؛ ومنه قوله تعالى : « وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ<sup>(٢)</sup> إِصْرِي » . والإصر : الضيق والذنب والقتل . والإصر : الحبل الذى تربط به الأحمال ونحوها ؛ يقال : أصرا أصرا حبس . والإصر ( بكسر المعزة ) من ذلك قال الجوهري : والموضع مأصر ومأصر والجمع مآصر ، والعامّة تقول مآصر . قال ابن خزيمة : ويمكن أن يستدل بهذا الظاهر فى كل عبادة أدعى انحصار تثقيلا ؛ فهو نحو قوله تعالى : « وَمَا جَعَلْ<sup>(٣)</sup> سُبُحَّكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » ، وكقول النبي صلى الله عليه وسلم : « الَّذِينَ يَسْرِ فَيَسْرُوا وَلَا تَعْسُرُوا » . اللهم شق على من شق على أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

قلت : ونحوه قال الكيا الطبري قال : يمنع به فى الحرج والضيق المنافى ظاهره للحنيفية السمحة ، وهذا بين .

(١) كذا فى جميع الأصول ، إلا ط ك فى شراء النصرانية ؛ فرفوا .

(٢) راجع ج ٤ ص ١٢٤

(٣) راجع ج ٤ ص ١٢٤



الحادية عشرة - قوله تعالى : ( وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ) قال قتادة : معناه لا تستند علينا كما شددت على من كان قبلك . الضحاك : لا تحمله من الأعمال <sup>التي</sup> لا تطيق . وقال نحوه ابن زيد . ابن جرير : لا تسخرنا قردة ولا تحزير . وقال مسلم بن صالح : الذي لا طاقة لنا به : الغلبة ؛ وحكاه النقاش عن مجاهد وعطاء . وروى أن أبا الدرداء كان يقول في دعائه : وأعوذ بك من غلبة ليس لها عدة . وقال السدي : هو التخليط والإفلال التي كانت على بني إسرائيل .

قوله تعالى : ( وَأَعِثُّ عَنَّا ) أي عن ذنوبنا . ففوت من ذنبه إذا تركه ولم يعاقبه . ( وَأَغْفِرْ لَنَا ) أي استر على ذنوبنا . والنفس : السر . ( وَأَرْحَمْنَا ) أي تفعل برحمة مبدية منك علينا . ( أَنْتَ مَوْلَانَا ) أي أولنا وناصرنا . وخرج هذا مخرج التعليم لخلق كيف يدعوهم . روى عن معاذ بن جبل أنه كان إذا فرغ من قراءة هذه السورة قال : آمين ، قال ابن عطية : هذا يُظَنُّ به أنه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن كان ذلك فكمال ، وإن كان بقياسه على سورة الحمد من حيث هنالك دعاء وهنا دعاء فحسن . وقال علي بن أبي طالب : ما أظن أن أحدا عقل وأدرك الإسلام ينام حتى يقرأهما .

قلت : قد روى مسلم في هذا المعنى عن أبي مسعود الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه " . قيل : من قيام الليل ؟ كما روى عن ابن عمر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " أنزل الله على آيتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألف عام من قرأهما بعد العشاء مرتين أجزأاه من قيام الليل " آمن الرسول إلى آخر البقرة " . وقيل : كفتاه من شر الشيطان فلا يكون له عليه سلطان . وأسند أبو عمرو الداني عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله جل وعز كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام فأنزل منه هذه الثلاث آيات :

(١) الفلة ( رضى العين المعجمة ) هيجان شهوة النكاح وعلم يلم من باب تعب أشد شهوة .

لَقِيَ خُتَمَ بَيْنَ الْبَقَرَةِ مِنْ قَرَاهَنٍ فِي يَمِينِهِ لَمْ يَغْرِبْ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ . وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أُوتِيَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَثَرَتِ تَحْتَ الْعَرْشِ  
 لَمْ يُؤْتِنِ نَجَى قَبْلُ » . وَهَذَا صَحِيحٌ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْفَاتِحَةِ زَوَلُ الْمَلِكِ بِهَا مَعَ الْفَاتِحَةِ .  
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

مُطَبَّحَةٌ .

أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ أَطْفِيشَ

# بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : **الْم - اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ①

فيه خمس مسائل :

الأولى - قوله : **(الْم - اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)** هذه السورة مدنية بإجماع . وحكى النقاش أن اسمها في التوزاة طيبة . وقرأ الحسن وعمر بن حبيب وطام بن أبي النجود وأبو جعفر الرضائي <sup>(١)</sup> « **الْم - اللَّهُ** » يقطع ألف الوصل ، مل تقدير الوقف على « **الْم -** » كما يقدرون الوقف على أسماء الأعداد في نحو واحد ، إثنان ، ثلاثة ، أربعة ، وهم واصلون . قال الأخفش سعيد : ويحذف « **الْم** » بكسر الميم لالتقاء الساكنين . قال الزجاج : ههنا خطأ ، ولا نقوله العرب ليقطعه . قال النحاس : « **القرأة** [الأولى قرأة] العاتية ، وقد تكلم فيها النحويون القدماء ، فذهب سبويه أن الميم قُضت لالتقاء الساكنين ، واختاروا لها الفتح لتلا يجمعون بين كسرة وياء وكسرة قبلها . وقال الكسائي : حروف التهجى إذا لحقتها ألف وصل حذفت ألف الوصل حركتها بحركة الألف فقلت : **الْم الله** ، و**الْم** أذكر ، والم اقتربت . وقال الفراء : الأصل « **الْم الله** » كما قرأ الرضائي فالتفت حركة المحذرة على الميم . وقرأ صهر بن الخطّاب « **الحى القيّوم** » . وقال خازجة : في مصحف عبد الله « **الحى القيّوم** » . وقد تقدّم ما للعلماء [من أراد] في الحروف التي في أوائل السور في أول « **البقرة** » . [و] من حيث جاء في هذه السورة « **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** » جملة قائمة بنفسها تتصور تلك الأقوال كلها .

(١) في القاموس وشرحه (مادة واس) : « **دو بنو قاس** (بالهم) : حمى من طام بن صبيحة . قال الأزهري : وكان أبو عمر الزاهد يقول في أبي جعفر الرضائي أحد القراء والمحدثين أنه الرضائي ، فخرج الزاهد والواو من غير حمزة منسوب إلى رضاء فبقي من مسلم ، وكان ينكر أن يقول الرضائي بالمحذرة كما يقول المحدثون وغيرهم . قلت : ويصحب أبي جعفر هذا محمد بن سادة الرضائي . ذكر نطش أنه أقول من وضع نحو الكوفيين ، وله تصانيف » .

(٢) الكلمة عن إصراخ القرآن للنحاس . (٣) زيادة بتضخيم السين . (٤) راجع جرد ١٤٤ : ١٤٤ طبع ثانية أو ثالثة .

الثانية - وروى اليكافي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلى العشاء فاستفتح ذلك عمران فقرأ فاتم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، قرأ في الركعة الأولى بمائة آية ، وفي الثانية بالمائة الباقية . قال علماؤنا : ولا يقرأ سورة في ركعتين ، فإن فعل أجزاء . وقال مالك في المجموعة : لا بأس به ، وما هو بالشأن .

قلت : الصحيح جواز ذلك . وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم بالأعراف في المغرب لوقتها في ركعتين . ترجمه النسائي أيضا ، وصححه أبو محمد عبد الحق ، وسيأتي .

الثالثة - هذه السورة وردت في فضلها آثار وأخبار ، فمن ذلك ما جاء أنها أمان من الحيات ، وكثرة الصلوك ، وأنها تحتاج عن قارئها في الآخرة ، وكتب لمن قرأ آخرها في ليلة قيام ليلة ، إلى غير ذلك . ذكر النابيجي أبو محمد في مسنده حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام قال حدثني عبيد الله الأنصبي قال : حدثني يسعرق قال حدثني جابر ، قبل أن يقع فيا وقع فيه ، عن الشعبي قال قال عبد الله : نيم كثر الصلوك سورة « آل عمران » يقوم بها في آخر الليل . حدثنا محمد بن سعيد حدثنا عبد السلام عن الجرجري عن أبي السليل قال : أصاب رجل دما قال : فأوى إلى وادي حجة ، واد لا يمضي فيه أحد إلا أصابته حجة ، وعلى شفير الوادي راهبان ، فلما أمسى قال أحدهما لصاحبه : هلك والله الرجل ! قال : فانتح سورة « آل عمران » قال : فقرأ سورة طيبة لعله سينجو . قال : فأصبح سليما . وأسند عن مكحول قال : من قرأ سورة « آل عمران » يوم الجمعة صلت عليه الملائكة إلى الليل . وأسند عن عثمان بن عفان قال : من قرأ آخر سورة « آل عمران » في ليلة كتب له قيام ليلة . في طريقه ابن لميعة . وخرج مسلم عن النّوّاس بن سيمعان اليماني قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « يؤتى

(١) هو جابر بن زيد بن الحارث الجعفي . توفي سنة ١٢٨ هـ . قال ابن سعد : كان يدين وكان ضعيفا جادا رابعا وروايته . وقال العجلي : كان ضعيفا يظن في التثنية . وقال أبو بدر : كان جابري يهج به مرة في السنة مرة فيبذى ويخلط في الكلام . فقل ما حكمه كان في ذلك الوقت . وقال الأنصبي سينا ما وقع فيه بأنه ما كان من تغير عقله . (عن تهذيب التهذيب) . (٢) الجرجري : يضم الجيم وقع الراء الأولى وكسر الثانية وسكون ياء فيها ، وهو صاحب بن الماس . ينسب إلى جرجون جاد . (عن تهذيب التهذيب) . (٣) أبو السليل (ينفع النجعة وكسر اللام) هو ضرب من (بالنصير) بن قنبر ، وقال تقي ، وقال تقييل . (عن تهذيب التهذيب) .

بالقرآن يوم القيامة وأهل الذين كانوا يعملون به قَدَّمَهُ سورة البقرة وآل عمران - وضرب  
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد<sup>(١)</sup> : - كأنهما غمائلان  
أو ظلماتان، سَوَدَاوَانِ بينهما شَرْقٌ<sup>(٢)</sup> ، أو كأنهما فِرْقَانِ من طير صَوَافٍ مُتَجَانِّينِ عن صاحبهما .  
وخرج أيضا عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اقْرَءُوا  
القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفعا لأصحابه اقْرَءُوا الزُّهْرَ أَوْ بِنْتَهُ البقرة وسورة آل عمران فإنهما  
يأتیان يوم القيامة كأنهما غمائلان أو كأنهما غَيَّابَتَانِ أو كأنهما فِرْقَانِ من طير صَوَافٍ مُتَجَانِّينِ  
عن أصحابهما اقْرَءُوا سورة البقرة فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ » . قال  
معاوية : بَلَّفَنِي أَنْ الْبَطَلَةُ السَّحَرَةُ<sup>(٣)</sup> .

الرابعة - للعلماء في تسمية « البقرة وآل عمران » بِالزُّهْرَ أَوْ بِنْتَهُ ثلاثة أقوال :  
الأول - أنها التُّرَيْتَانِ ، مأخوذ من الزَّهْر والزُّهْرَةُ ؛ فإِذَا لَهْدَايَهُمَا قَارَنَهُمَا بِمَا يَزْهَرُ لَهُ  
من أنوارهما أى من معانيهما .  
وإِذَا لَمَّا يَتَرَبَّ عَلَى قِرَائَتِهِمَا مِنَ التَّوَرِ التَّامِ يوم القيامة ، وهو القول الثانى .

الثالث - سَمَّيَا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمَا اشْتَرَكَا فِيمَا تَضَمَّنَهُ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ ؛ كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو بَلَدٍ  
وغيره عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ  
الآيَتَيْنِ وَالْهَيْكَلُ لِلَّهِ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وَالَّتِي فِي آلِ عِمْرَانَ أَنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا  
هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » أخرجه ابن ماجه أيضا . والظاهر : السحاب الملتف ، وهو النفاية إذا كانت  
قريبا من الرأس ، وهى الظلة أيضا . والمعنى : أن قَارَنَهُمَا فِي ظِلِّ تَوَابِهِمَا ؛ كَمَا جَاءَ « إِنَّ  
الْمُؤْمِنِينَ فِي ظِلِّ صِدْقَتِهِ » . وقوله : « مُتَجَانِّينِ » أى يَخْلُقُ اللَّهُ مِنْ يَحْدِلُ عَنْهُ شَوَاهِبُهُمَا مَلَائِكَةً  
كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ : « إِنَّ مَنْ قَرَأَ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْآيَةَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعِينَ  
مَلَكًا يَسْتَفِرُّونَ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . وقوله : « بَيْنَهُمَا شَرْقٌ » قَيْدٌ يَسْكُونُ الرَّاءُ وَفَتْحُهَا ،

(١) للشرق : الضوء . وسكون الراء فيه أشهر من ضحها . (٢) في الأصول : « هَفَرَتَانِ » بالفتح .

والضم . عن صحيح مسلم . والفرق : القطة . والحرق والحرقرة : الجماع من كل شيء .

(٣) هو معاوية بن سلام أحد رجال سنة هذا الحديث .

وهو تنبيه على الضياء؛ لأنه لما قال : "سوداوان" قد يتوهم انهما مقلتان، فنفى ذلك بقوله "ينهما شرق". وبني بكونهما سوداوان أى من كاهنهما التى من سبها حالنا بين من تحتها وبين حرارة الشمس وشدة الاله . والله أعلم .

الخامسة - صدرت هذه السورة نزل بسبب وفد مجران فبدأ ذكر محمد بن إسماعيل عن محمد ابن جعفر بن الزبير، وكانوا نصارى وقدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في ستين وإيكاً، فبهم من أشرفهم أربعة عشر رجلاً، في الأربعة عشر ثلاثة نفر اليهم يرجع أمرهم : العاقب أمير القوم وذو آرائهم وأسمه عبد المسيح، والسيد تيسلم وصاحب مجتمعهم وأسمه الأتيهم، وأبو حارثة بن حلقمة أحد بكرين وائل أسقفهم وعالمهم؛ فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أئز صلاة العصر، طيهم ثياب الخيرات جيب وأردية . فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ما رأينا وفداً مثلهم جمالاً وجلالة . وحانت صلاتهم قداموا فصلوا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم إلى المشرق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "دعوم" . ثم أقاموا بها أياماً يناظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى ويعلمون أنه ابن الله، إلى غير ذلك من أقوال شعبة مضطربة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرد طيهم بالبراهين الساطعة وهم لا يصرون . ونزل فيهم صدرت هذه السورة إلى نيف وثمانين آية إلى أن آل أمرهم إلى أن دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المباحلة، حسب ما هو مذكور في سيرة ابن إسحاق وغيره .

قوله تعالى : تَزَلَّ حَلِيكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ④ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ⑤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهَايَتِ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ⑥

(١) السيد والعاقب هما من رؤسائهم وأصحاب مراتهم، والعاقب بنو السيد . (٢) الخال (الكسر) ، لكلاً والقبائل والعلم في الشدة . (٣) الخيرات (تكسر الحاء، وضع اللام، جمع حيرة) : غرب من الثياب الباهية . (٤) باهل القوم بعضهم بعضاً وبأهلوا وأهلوا : تلاعنوا . ومعنى الباهية أن يجمع القوم إذا احتفوا في قوم فيقولوا : نعم الله على العالمين . (٥) راجع سيرة ابن هشام ص ٤٠١ طبع أوروبا .

قوله تعالى : ( تَزَلْ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ) يعني القرآن ( بِالْحَقِّ ) أى بالصدق، وقيل : بالجمعة .

والغالبه . والقرآن نزل نجوما ؛ شيئا بعد شيء ؛ فلذلك قال « نَزَلَ » والتثنية مرة بعد مرة .  
والتوراة والإنجيل نزلا دفعة واحدة ؛ فلذلك قال « أُنْزِلَ » . والباء في قوله « بِالْحَقِّ » في موضع الحال من الكتاب، والباء متعلقة بمحذوف، التقدير أتيا بالحق . ولا تتعلق بقرآن، لأنه قد تعدى الى مفعولين أحدهما بحرف جر، ولا يتعدى الى ثالث . و « مُصَدِّقًا » حال مؤكدة غير متعلقة ؛ لأنه لا يمكن أن يكون غير مصدق، أى غير موافق ؛ هذا قول الجمهور . وقدر فيه بعضهم الانتقال، على معنى أنه مصدق لنفسه ومصدق لغيره .

قوله تعالى : ( لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ) يعني من الكتب المنزلة . والتوراة معناها الضياء والنور؛ مشتقة من وَرَى الزند وَوَرَى لفتان إذا خرجت ناره . وأصلها تَوَرَّى عَلَى وزن تَفَعَّلَ، التاء زائدة، وتحركت الياء وقبلها نحة فُكُلْتُ ألفا . ويموز أن تكون تفعلة فنقل الراء من الكسر الى الفتح؛ كما قالوا في جارية : جَارَاة، وفي ناصية ناصاة ؛ كلاهما عن الفراء . وقال الخليل ؛ أصلها قَوَّلَةٌ ؛ فالأصل وَوَرَّى، قُلْتُ الواو الأولى تاء كما قُلْتُ في تَوَجَّجَ، والأصل وَوَجَّجَ قَوَّلٌ من وَجَّجْتُ، وقُلْتُ الياء ألفا لحركتها وانفتاح ما قبلها . وبناء قَوَّلَةٍ أكثر من تَفَعَّلَةٍ . وقيل : التوراة مأخوذة من التورية، وهى التعريض بالشئ . والكتان لغيره ؛ فكان أكثر التوراة معاريض وتلويحات من غير تصريح وإيضاح ؛ هذا قول المؤرج . والجمهور على أنقول الأقل لقوله تعالى : « وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَكَرَى لِلتَّقِيَيْنَ » يعنى التوراة . والإنجيل إِنْجِيلٌ من النَّجِيل وهو الأصل ، ويعجم على أَنَاجيل ، وتوراة على تَوَارٍ ؛ فالإنجيل أصلٌ لعلوم وِحْكَم . ويقال : لعن الله نَجِلَةً، يعنى والديه ، إذ كانا أصله . وقيل : هو من نَجَلْتُ الشئ إذا استخرجته ؛ فالإنجيل مستخرج به علوم وِحْكَم ؛ ومنه سُمِّي الولد والنسل نَجَلًا لخروجه ؛ كما قال :

إلى معشر لم يورث اللؤم جِذْم • إصاغَهم وكلُّ خلقٍ لهم نَجْلٌ

(١) من لجة طائية ؛ يقولون فى مثل جارية جاراة وناصية ناصاة وكاسية كاساة .

(٢) التورج : كاس الطهي أو الوحش الذى يلع فيه .

والتَّجِيلُ الماء الذي يخرج من التَّوْبَةِ . واستنجلت الأرض ، وبها تَجَلُّلٌ إذا خرج منها الماء ، فسَمِيَ الإِنْجِيلُ به ، لأن الله تعالى أخرج به دَارِسًا من الحق عافياً . وقيل : هو من التَّجِيلِ في العين (بالتحريك) وهو سَعَتُهُما ، وطعنة تَجَلَاءَ ، أى واسعة ؛ قال :  
رُبَّمَا ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ صَغِيرٍ • بَيْنَ بُضْرَى وَطَعْنَةٍ تَجَلَاءَ

فَسَمِيَ الْإِنْجِيلُ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ أَصْلُ أَنْحَرِهِ لَمْ يُوَسِّعْ عَلَيْهِمْ نُورًا وَضِيَاءً . وَقِيلَ : التَّنَاجُلُ التَّنَازُعُ ؛ وَسَمِيَ إِنْجِيلًا لِتَنَازُعِ النَّاسِ فِيهِ . وَحِكْمِي شَرِّعٌ عَنْ بَعْضِهِمْ : الْإِنْجِيلُ كُلُّ كِتَابٍ مَكْتُوبٍ وَافِرٍ السُّطُورِ . وَقِيلَ : يَنْجَلُ عَمَلٌ وَصَمْتُ ؛ قَالَ :

• وَأَنْجِلْ فِي ذَاكَ الصَّنِيعِ كَمَا نَجَلْ •

أى أعمل وأصنع . وقيل : التوراة والإنجيل من اللغة السريانية . وقيل : الإنجيل بالسريانية انجيلون ، حكاه الثعلبي . قال الجوهرى : الإنجيل كتاب عيسى عليه السلام يذكر ويؤتى ، فمن أنت أراد الصحيفة ، ومن ذكر أراد الكتاب . قال غيره : وقد يسمى القرآن إنجيلا أيضا ؛ كما روى في قصة مناجاة موسى عليه السلام أنه قال : " يا رب أرى في الألواح أقواما أناجيلهم في صدورهم فاجعلهم أمتي " . فقال الله تعالى له : " تلك أمة أحد صل الله عليه وسلم " وإنما أراد بالإنجيل القرآن . وقرأ الحسن والآنجيل بفتح الحمة ، والباقون بالكسر مثل الإكليل ، فلتان . ويحتمل أن يكون مما عبرته العرب من الأسماء الأعجمية ، ولا مثال له في كلامها .

قوله تعالى : ( مِنْ قَبْلُ ) يعنى القرآن ( هُدًى لِلنَّاسِ ) قال ابن فورك <sup>(٦١)</sup> : التقدير هُدًى للناس المتقين . دليله فى البقرة « هُدًى لِلْمُتَّقِينَ » فرد هذا العام الى ذلك الخاص . و « هُدًى » فى موضع نصب على الحال . ( وَالْقُرْآنَ ) القرآن . وقد تقدم .

قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥٠﴾

(١٩) ابن توك (يضم القاء وسكون اللام) وضع الزل) هو أبو بكر بن محمد بن الحسن بن توك، الحكيم الأصولي للأندلس، المتوفى بالراشد الأسفاني، قوله من علم بآية (عن ابن عثيمين) .



هذا خبر عن علمه تعالى بالأشياء على التفصيل؛ ومثله في القرآن كثير . فهو العالم بما كان وما يكون وما لا يكون؛ فكيف يكون عيسى إلهًا أو ابن إله وهو تخفى عليه الأشياء ؟

قوله تعالى : هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦١﴾

فيه مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ ) أخبر تعالى عن تصويره للبشر في أرحام الأمهات . وأصل الرحم من الرحمة ، لأنها مما يتراحم به . واشتقاق الصورة من صاره الى كذا إذا أماله ؛ فالصورة مائلة الى شبيهه وهيئة . وهذه الآية تعظيم لله تعالى ، وفي ضمنها الرد على نصارى نجران ، وأن عيسى من المصورين ، وذلك مما لا ينكره مافل . وأشار تعالى الى شرح التصوير في سورة « الحج » و « المؤمنين » . وكذلك شرحه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود ، على ما يأتي هناك إن شاء الله تعالى . وفيها الرد على الطبايعين أيضا إذ يعملونها فاعلة مستبثة . وقد مضى الرد عليهم في آية التوحيد . وفي مسند ابن سبج - واسمه محمد بن سبج - حديث " إن الله تعالى يخلق عظام الجنين وغضائره من مني الرجل وشحمه ولحمه من مني المرأة " . وفي هذا أدل دليل على أن الولد يكون من ماء الرجل والمرأة ، وهو صريح قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى » . وفي صحيح مسلم من حديث ثوبان وفيه : أن اليهودي قال للنبي صلى الله عليه وسلم : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجلا أو رجلا . قال : " ينفعك إن حدثتك " ؟

(١) في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى » آية .

(٢) في قوله تعالى : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلَافَةِ ... » الآيات ١٢ و ١٣ و ١٤ .

(٣) في قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ جِيعًا » ج ١ ص ٢٥١ طبعة ثانية وثالثة .

(٤) الفصاري : جمع غضروف ( يضم اللين ) وهو كل عظم يخص بذكر كل ، وهو ما دون الأنف ، وقطع الكنتف ( العظم الرقيق على طرفها ) ، وروس الأضلاع ، ودهانة الصدر ( عظام في الصدر مشرفة على البطن ) ، ودهان فوق الأنف .

قال : أسمع بأذني ، جئت أسالك عن الولد . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا بيني الرجل بيني المرأة إذا ذكرنا بإذن الله تعالى وإذا علا بيني المرأة بيني الرجل آتانا بإذن الله » الحديث . وسياق بيانه آخر « الثوري » إن شاء الله تعالى .

الثانية - قوله تعالى : ( كَيْفَ يَشَاءُ ) يعني من حسن وقبح ومواد وبياض وطول وقصر وسلامة وعاهة ، إلى غير ذلك من الشقاء والسعادة . وذكر من إبراهيم بن أدهم أنه القراء اجتمعوا إليه ليسمعوا ما عنده من الأحاديث ، فقال لهم : إني مشغول عنكم بأربعة أشياء ، فلا أفتزع لرواية الحديث . فقبل له : وما ذلك الشغل ؟ قال : أحدها أني أنفكر في يوم الميثاق حيث قال : « هؤلاء في الجنة ولا أبالي » هؤلاء في النار ولا أبالي . فلا أدرى من أي هؤلاء كنت في ذلك الوقت . والثاني حيث صوّرت في الرّحم فقال الملك الذي هو موكل على الأرحام : « يا ربّ شقي هو أم سعيد » فلا أدرى كيف كان الجواب في ذلك الوقت . والثالث حين يقبض ملك الموت رُوحى فيقول : « يا ربّ مع الكفر أم مع الإيمان » فلا أدرى كيف يخرج الجواب . والرابع حيث يقول : « وَاَتَّأَزَّوُا الْيَوْمَ أُيُّهَا الْمُجْرِمُونَ » فلا أدرى في أي الفريقين أكون . ثم قال تعالى : ( لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ) أي لا خالق ولا مصور ، وذلك دليل على وحدانيته ، فكيف يكون عيسى إلها مصورا وهو مصور . ( العزيز ) الذي لا يبالغ . ( الحكيم ) ذو الحكمة أو المحكم ، وهذا أخص بما ذكر من التصوير .

قوله تعالى : هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ مِنْ أَمِّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾

فيه تسع مسائل :

الأولى - خرج مُسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ  
 فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ  
 فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ » قالت : قال رسوله  
 الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين متبعهم الله  
 فأحذروهم » . وعن أبي غالب قال : كنت أمشي مع أبي أمامة وهو على حمار له ، حتى إذا  
 انتهى إلى درج مسجد دمشق فإذا رهوس منصوبة ؛ فقال : ما هذه رهوس ؟ قيل : هذه  
 رهوس خوارج يباع بهم من العراق . فقال أبو أمامة : كِلَابُ النَّارِ كِلَابُ النَّارِ !  
 شر قتلى تحت ظل السماء ، طوي لمن قتلهم وقتلوه - يقولها ثلاثا - ثم بكى . فقلت :  
 ما يبكيك يا أبا أمامة ؟ قال : رحمة لهم ، إنهم كانوا من أهل الإسلام فخرجوا منه ؛ ثم قرأ  
 «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ  
 فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ  
 فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ » . فقلت : يا أبا أمامة ، هم هؤلاء ؟  
 قال نعم . قلت : أثنى بقوله بربك أم شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال :  
 إني إذا لجرىء إلى إذا لجرىء ! بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مرة ولا مرتين  
 ولا ثلاث ولا أربع ولا خمس ولا ست ولا سبع ، ووضع أصبعيه في أذنيه ، قال : وإلا فُصِمْنَا  
 - قالها ثلاثا - ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تفزقت بنو إسرائيل  
 على إحدى وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسائرهم في النار وتريدت عليهم هذه الأئمة واحدة  
 واحدة في الجنة وسائرهم في النار .

الثانية - اختلف العلماء في المحكمات والمتشابهات على أقوال عديدة ؛ فقال جابر بن  
 عبد الله ، وهو مقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما : المحكمات في آي القرآن ما عُرِفَ  
 تأويله وفيهم معناه وتفسيره . والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى ما به سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه

دون خلقه . قال بعضهم : وذلك مثل وقت قيام الساعة ، وخروج ياجوج وماجوج والجالوت  
وجيوشهم ، ونحو الحروف التي تقطع في أوائل السور .

قلت : هذا أحسن ما قيل في التشابه . وقد قدمنا في أوائل سورة البقرة عن الربيع  
ابن خيثم أن الله تعالى أنزل هذا القرآن فاستأثر منه بعلم ما شاء ، الحديث . وقال أبو حنيفة :  
الحكم فائمة الكتاب التي لا تجزى الصلاة إلا بها . وقال محمد بن الفضل : سورة الإخلاص ،  
لأنه ليس فيها إلا التوحيد فقط . وقيل : القرآن كله حكم ، لقوله تعالى : « كِتَابٌ أُحْكِمَتْ  
آيَاتُهُ » . وقيل : كله متشابه ، لقوله : « كِتَابًا مُتَشَابِهًا » .

قلت : وليس هذا من معنى الآية في شيء ، فإن قوله تعالى : « كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ »  
أى في النظم والرصف وأنه حق من عند الله . ومعنى « كِتَابًا مُتَشَابِهًا » أى يشبه بعضه بعضا  
ويصدق بعضه بعضا . وليس المراد بقوله « آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ » « وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ » هذا المعنى ؛  
وإنما التشابه في هذه الآية من باب الاحتمال والاشتباه ، من قوله « إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْهِ »  
أى التيسر علينا ، أى يحتمل أنواعا كثيرة من البقر . والمراد بالحكم ما في مقابلة هذا ، وهو  
مالا التباس فيه ولا يحتمل إلا وجهاً واحداً . وقيل : إن التشابه ما يحتمل وجوها ، ثم  
إذا رُدَّت الوجوه إلى وجه واحد وأُزيل الباقي صار التشابه محكما . فالحكم لبنا أصل رُذِّ إليه  
القروح ، والتشابه هو الفرع . وقال ابن عباس : المحكمات هو قوله في سورة الأنعام « قُلْ  
تَمَآلَوْا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ » إلى ثلاث آيات ، وقوله في بني إسرائيل : « وَوَضَعِي رِبِّيَّ  
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَإِلَى الْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » . قال ابن عباس : وهذا عندي مثال أعطاه  
في المحكمات . وقال ابن عباس أيضا : المحكمات ناسخه وسراره وفرائضه وما يؤمن به  
ويعمل به ، والمتشابهات المنسوخات ومقدمه ومؤخره وأمناله وأقسامه وما يؤمن به  
ولا يعمل به . وقال ابن مسعود وغيره : المحكمات الناحيات ، والمتشابهات المنسوخات ، وقاله  
قائدة الربيع والضحاك . وقال محمد بن جعفر بن الزبير : المحكمات هي التي فيها نجمة الرب

وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ، ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضع عليه .  
 والمتشابهات لمن تصريف وتحريف وتأويل ، ابتل الله فيهن العباد ، وقاله مجاهد وابن إسحاق .  
 قال ابن عطية : وهذا أحسن الأقوال في هذه الآية . قال النحاس : أحسن ما قيل  
 في المحكمات والمتشابهات أن المحكمات ما كان قائما بنفسه لا يحتاج أن يرجع فيه إلى غيره ؛  
 نحو «لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» «وَإِنِّي لَفَقَارٌ لِّنَّ تَابَ» . والمتشابهات نحو «إِنَّ اللَّهَ يَنْفِرُ الذُّنُوبَ  
 بَاجِعًا» يرجع فيه إلى قوله جل وعلا : «وَإِنِّي لَفَقَارٌ لِّنَّ تَابَ» وإلى قوله عز وجل :  
 «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» .

قلت : ما قاله النحاس يبين ما أخاره ابن عطية ، وهو الجارى على وضع اللسان ؛  
 وذلك أن المحكم اسم مفعول من أحكم ، والإحكام الإتقان ، ولا شك في أن ما كان واضح  
 المعنى لا إشكال فيه ولا تردد ، إنما يكون كذلك لوضوح مفردات كلماته وإتقان تركيبها ؛  
 ومتى اختل أحد الأمرين جاء التشابه والإشكال . والله أعلم . وقال ابن خزيمة متناد : للتشابه  
 وجوه ، والذي يتعلق به الحكم ما اختلف فيه العلماء أي الآيتين نسخت الأخرى ؛ كقول  
 علي بن عباس في الحامل المتوفى عنها زوجها تمتد أقصى الأجلين . فكان عمر وزيد بن ثابت  
 وابن مسعود وغيرهم يقولون وضع الحمل ، ويقولون : سورة النساء القصص نسخت أربعة أشهر  
 وعشرا . وكان علي بن عباس يقولان لم تنسخ . وكاختلفا في الوصية للوارث هل  
 نسخت أم لم تنسخ . وكتمارض الآيتين أيهما أولى أن تقدم إذا لم يعرف النسخ ولم توجد  
 شرائطه ؛ كقوله تعالى : «وَأَحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكَ» يقتضي الجمع بين الأقارب من ملك اليمين ،  
 وقوله تعالى : «وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» يمنع ذلك . ومنه أيضا تعارض  
 الأخيار عن النبي صلى الله عليه وسلم وتعارض الأقبسة ، فذلك التشابه . وليس من المتشابه  
 أن تقرأ الآية بقرائنين ويكون الاسم محتملا أو مجملا يحتاج إلى تفسير ؛ لأن الواجب منه قدر  
 ما يتناول الاسم أو جميعه . والقراءتان كالآيتين يجب العمل بموجبهما جميعا ؛ كما قرئ ؛

(١) سورة النساء القصص هي سورة الطلاق . ومراده منها «وأولات الأحال أجلهن أن يضمن حملهن» آية ؛

«وَأَمْسَحُوا رُؤُوسَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ» بالفتح والكسر، حل ما يأتي بيانه «في المسألة» إن شاء الله تعالى.

الثالثة - روى البخاري<sup>(٢١)</sup> من سعيد بن جبيرة قال قال رجل لابن عباس : إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ. قال : ما هو؟ قال : «فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ» وقال : «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» وقال : «وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا» وقال : «وَأَنَّهُ رَبَّنَا مَا أَكَّأُ مَشْرِكِينَ» فقد كنتموا في هذه الآية . وفي التازعات «ألم السماء بَنَاهَا ... إلى قوله : دَحَاهَا» فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال «أَتُنْكُمُ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ... إلى : طائعين» فذكر في هذا خلق الأرض قبل خلق السماء . وقال : «وكان الله غفوراً رحيمًا» . «وكان الله عزيزاً حكيمًا» . «وكان الله سميعاً بصيراً» فكأنه كان ثم مضى . فقال ابن عباس : «فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ» في النفخة الأولى، ثم يُنفخ في الصور فصيِق مَنْ في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون؛ ثم في النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون . وأما قوله : «مَا أَكَّأُ مَشْرِكِينَ» «وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا» فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ، وقال للمشركون : تعالوا نقول : لم تكن مشركين؛ نعم الله على أفواههم فتطلق جوارحهم بأعمالهم؛ فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثاً، وعنده يوذ الذين كفروا لو كانوا مسلمين . وخلق الله الأرض في يومين، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات في يومين، ثم دحا الأرض أي بسطها فخرج منها الماء والمرعى ، وخلق فيها الجبال والأنهار والآكام وما بينهما في يومين آخرين ؛ فذلك قوله : «وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا» . خلقت الأرض وما فيها في أربعة أيام، وخلقت السماء في يومين . وقوله : «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» سمي نفسه<sup>(٢٢)</sup>

(٢١) في قوله تعالى : «بِأَيِّهَا الْقَيْنِ آمَنُوا إِذَا قُمَ إِلَى الصَّلَاةِ ... آية ٦

(٢٢) ورد هذا الحديث في صحيح البخاري في كتاب التفسير (سورة السجدة) . وبين رواية صحيح البخاري وما ورد في الأصول باختلاف في بعض الكلمات .

(٢٣) هو تابع بن الأزرق الذي حارب ذلك رأس الأتراك من الخراج : (من شرح القسطلاني) .

(٢٤) هذه عبارة صحيح البخاري . وفي الأصول : «بني نفسه ذلك ...»

ذلك ، أى لم يزل ولا يزال كذلك ، فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذى أراد . ويحك ! فلا يختلف عليك القرآن ، لأن كلا من عند الله .

الرابعة - قوله تعالى : ( وَاتَّخَذْتُمُ اللَّهَ كَالْكَبْرِ وَالصُّغَرِ ، فَلَمَّا جُذِلَتْ عَنْ آلِ الْآلَفِ وَاللَّامِ نُبُتَ الصُّغَرِ . أَوْ حُبِّدَ : لم يصرفوها لأن واحدها لا ينصرف في معرفة ولا نكرة . وأبكر ذلك المبرد وقال : يجب على هذا ألا ينصرف فِضَابٌ وَحِطَّاشٌ . الكسائي : لم تنصرف لأنها صفة . وأبكره المبرد أيضا وقال : إن بُدِّأَ وَحِطَّاشٌ وهما منصرفان . سيبويه : لا يجوز أن تكون أُنْثَرُ معدولة عن الألف واللام ، لأنها لو كانت معدولة عن الألف واللام لكان معرفة ، ألا ترى أن تَحَرَّرَ معرفة في جميع الأقاويل لما كانت معدولة [عن السحر] ، وأمس في قول من قال : ذهب أُنْثَرٌ معدولا عن الأمس ، فلو كان أُنْثَرُ معدولا أيضا من الألف واللام لكان معرفة ، وقد وصفه الله بالنكرة .

الخامسة - قوله تعالى : ( فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ) الذين رفع بالابتداء ، والخبر « فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ » . والزيج الميل ، ومنه زاحت الشمس ، وزاحت الأبهار . ويقال : زاح زينا إذا تركه التقصد ، ومنه قوله تعالى : « فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ » . وهذه الآية تعم كل طائفة من كافرو زنديق وجاهل وصاحب بدعة ، وإن كانت الإشارة بها في ذلك الوقت الى نصارى بجران . وقال قتادة في تفسير قوله تعالى : « فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ » : إن لم يكونوا الحواريين وأنواع الخوارج فلا أدري من هم . قلت : قد مر هذا التفسير من أبى أمامة مرفوعا ، وحسبك .

السادسة - قوله تعالى : ( فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ) قال شيخنا أبو المباسم رحمه الله عليه : متبعو التشابه لا يخلو أن يتبعوه ويصمونه طلبا للشك

(١) أى إذا أردت به محمل لك . فان نكرة مرفوعة .

(٢) راجع المائدة ٢٠٤ ص ٢٥١ طبعة ثانية .

في القرآن وإضلال العوام . كما فعله الزنادقة والقراطة الطاعنون في القرآن ، أو طلباً لاعتقاد  
ظواهر التشابه ، كما فعله المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما ظاهره الحسية  
حتى اعتقدوا أن الباري تعالى جسمٌ مجسمٌ وصورةٌ مصورةٌ ذاتٌ وجهٌ وعينٌ ويدٌ وجنبٌ ورجلٌ  
وأصبعٌ ، تعالى الله عن ذلك ! ، أو يتبعوه على جهة إبداء تأويلاتها وإيضاح معانيها ، أو كما  
فعل صبيغ حين أكثر على عمر في السؤال . فهذه أربعة أقسام :

الأول - الاشك في كفرهم ، وأن حكم الله فيهم القتل من غير استئابة .

الثاني - القول بتكفيرهم ، إذ لا فرق بينهم وبين عبّاد الأصنام والصور ، ويستأبون  
إيان تأبوا وإلا قتلوا كما يفعل بن ارتد .

الثالث - اختلفوا في جواز ذلك بناء على الخلاف في جواز تأويلها ، وقد عرفت أن مذهب  
السلف ترك التعرض لتأويلها مع قطعهم باستحالة ظواهرها ، فيقولون أمرؤها كما جاءت .  
وقذهب بعضهم إلى إبداء تأويلاتها وحملها على ما يصح حملها في اللسان عليها من غير قطع بتعيين  
يحمل منها .

الرابع - الحكم في الأدب البالغ ، كما فعله عمر بصبيغ . وقال أبو بكر الأنباري :  
وقد كانت الأئمة من السلف يعاقبون من يسأل عن تفسير الحروف المشككات في القرآن ،  
لأن السائل إن كان ينيئ بسؤاله تخليد البدعة وإثارة الفتنة فهو حقيق بالكفر وأعظم التعزير ،  
وإن لم يكن ذلك مقصده فقد استحق العتاب بما آجترم من الذنب ، إذ أوجد للنافقين الملمحين  
في ذلك الوقت حيلة إلى أن يقصدوا ضعة المسلمين بالتشكيك والتضليل في تحريف القرآن  
من مشايخ التريل وحقائق التأويل . فمن ذلك ما حدثنا إسماعيل بن إسماعيل القاضي أنبأنا  
صليان بن حرب عن حماد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار أن صبيغ بن عسل

(١) القراطة : قرطبي الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من القرس الذين يتفقدون نبوة زرادشت ومزدك  
وكانوا يمجسون الحزبات . ( راجع عقد الجمان ليعني في حوادث سنة ٢٧٨ ) .

(٢) صبيغ ( وزان أمير ) بن شريك بن المنصور بن قطن بن قنص بن عسل . ( بكسر العين ) بن عمرو بن بروج  
القهمي ، وقد نسب إلى جدّه الأمل فيقال : صبيغ بن أمل . راجع القاموس وشرحه مادة « صبيغ واصل » .



قديم المدينة فجعل يسأل عن مُشابه القرآن وعن أشياء ؛ فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فبعث إليه عمر فأحضره وقد أعد له عَراجين من عراجين النخل . فلما حضر قال له عمر : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله صَبيح . فقال عمر رضى الله عنه : ولنا عبد الله عمر ؛ ثم قام إليه فضرب رأسه بعُرجون فشجّه ، ثم تابع ضربه حتى سال دمه على وجهه ، فقال : حسبك يا أمير المؤمنين ! فقد والله ذهب ما كنت أجد في رأسي . وقد اختلفت الروايات في أدبه ، وسيأتي ذكرها في « الذاريات » . ثم إن الله تعالى ألهمه التوبة وقذفها في قلبه فتاب وحسنت توبته . ومعنى « ابتغاء الفتنة » طلب الشبهات واللّبس على المؤمنين حتى يُفسدوا ذات بينهم ، ويردّوا الناس إلى زيغهم . وقال أبو إسحاق الزجاج : معنى « ابتغاء تأويله » أنهم طلبوا تأويل بَشيم وإحيائهم ، فأعلم جلّ وعزّ أن تأويل ذلك ووقته لا يعلمه إلا الله . قال : والدليل على ذلك قوله تعالى : « هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ - أى يوم يرون ما يؤملون من البعث والنشور والعذاب - يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ - أى تركوه - قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ » أى قد رأينا تأويل ما أنبأنا به الرسل . قال : فالوقف على قوله : « وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ » أى لا يعلم أحد متى البعث إلا الله .

السابعة - قوله تعالى : ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ) يقال : إن جماعة من اليهود منهم حُيي بن أخطب دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : بلغنا أنه نزل عليك « ألم » ، فإن كنت صادقاً في مقاتلك فإن مُلك أمتك يكون إحدى وسبعين سنة ؛ لأن الألف في حساب الجمل واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فقول « وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ » . والتأويل يكون بمعنى التفسير ، كقولك : تأويل هذه الكلمة على كذا . ويكون بمعنى ما يؤول الأمر إليه . واشتقاقه من آل الأمر إلى كذا يؤول إليه ، أى صار . وأولته تأويلاً أى صيرته . وقد حذو بعض الفقهاء فقالوا : هو إبداء احتمال في اللفظ مقصود بدليل خارج عنه . فالتفسير بيان اللفظ ؛ كقوله « لَا رَبَّ فِيهِ » أى لا شك . وأصله من الفسر وهو البيان ؛ يقال : فسرّ

الشيء (عقفا) أَفْسَرَهُ (بالكسر) فَسَّرَا . والتأويل ببيان المعنى ؛ كقوله لاشك فيه عند المؤمنين . أولأنه حتى في نفسه فلا تقبل ذاته الشك ؛ وإنما الشك وصف الشاك . وكقول ابن عباس في الجدة أبا ؛ لأنه تأول قول الله عز وجل : « يَا بَنِي آدَمَ » .

الثامنة - قوله تعالى : ( وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ) اختلف العلماء في « وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ » هل هو ابتداء كلام مقطوع مما قبله ، أو هو معطوف على ما قبله فتكون الواو للجمع . فالذي عليه الأكثر أنه مقطوع مما قبله ، وأن الكلام تم عند قوله « إِلَّا اللَّهُ » هنا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وغيرهم ، وهو مذهب الكسائي والأخفش والفراء وأبي عبيد . قال أبو تيهك الأسدي : إنكم تصلون هذه الآية وإنها مقطوعة . وما انتهى علم الراسخين إلا إلى قولهم « آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبَّنَا » . وقال مثل هذا عمر بن عبد العزيز ، وحكى الطبري نحوه عن يونس عن أشهب عن مالك بن أنس . و« يَقُولُونَ » على هذا خبر الراسخين . قال الخطابي : وقد جعل الله تعالى آيات كتابه الذي أمرنا بالإيمان به والتصديق بما فيه قسمين : مُحْكَمَاتٌ وَمُنْشَأَتٌ ؛ فقال عز من قائل : « هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُنْشَأَتٌ ... » إلى قوله : « كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبَّنَا » فأعلم أن المنشأ من الكتاب قد ابتأثر الله به ، فلا يعلم تأويله أحد غيره ، ثم أثنى الله عز وجل على الراسخين في العلم بأنهم يقولون آمنا به . ولولا صحة الإيمان منهم لم يستحقوا الثناء عليه . ومذهب أكثر العلماء أن الوقف التام في هذه الآية إنما هو عند قوله تعالى : « وَمَا يَسْمُرُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ » وأن ما بعده استئناف كلام آخر ، وهو قوله « وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ » . وروى ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وعائشة . وإنما روى عن مجاهد أنه نسق « الراسخين » على ما قبله وزعم أنهم يعلمونه . واحتج له بعض أهل اللغة فقال : معناه والراسخون في العلم يعلمونه قائلين آمنا ، وزعم أن موضع « يَقُولُونَ » نصب على الحال . وعامة أهل اللغة يتكرونها ويستبعدونها ؛ لأن العرب لا تضع الفعل والمفعول معا ، ولا تذكر حالا إلا مع ظهور الفعل ؛ فإذا لم يظهر فعمل فلا يكون حال ؛ ولو جاز ذلك لجاز

أن يقال : عبد الله راكبا، بمعنى أقبل عبداً راجياً، وإنما يجوز ذلك مع ذكر الفعل كقوله :  
عبد الله يتكلم يصلح بين الناس ؛ فكان « يصلح » حالا له ؛ كقول الشاعر - أنشدني  
أبو عمر قال أنشدنا أبو العباس ثعلب - :

أرسلتُ فيها قِطماً لُكَّالِكَا • يَقْصُرُ يَمْنَى وَيَطُولُ بَارِكَا

أى يقصر ماشياً . فكان قول عامة العلماء مع مساعدة مذاهب النحويين له أولى من قول  
مجاهد وحده . وأيضاً فإنه لا يجوز أن ينفى الله سبحانه شيئاً عن الخلق وربته لنفسه ثم يكون  
له في ذلك شريك . ألا ترى قوله عز وجل : « قُلْ لَا يَسْمُنُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبُ  
إِلَّا اللَّهُ » وقوله : « لَا يُحِبُّهَا لَوْفَتَهَا إِلَّا هُوَ » وقوله : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ » ، فكان هذا  
كله مما استأثر الله سبحانه بعلمه لا يشركه فيه غيره . وكذلك قوله تبارك وتعالى : « وَمَا يَعْلَمُ  
تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ » . ولو كانت الواو في قوله : « وَالرَّاسِخُونَ<sup>(١)</sup> » للنسق لم يكن لقوله : « كُلُّ  
مَنْ عِنْدَ رَبَّنَا » فائدة . والله أعلم -

قلت : ما حكاه الخطابي من أنه لم يقل بقول مجاهد غيره فقد روى عن ابن عباس  
أن الراسخين معطوف على أسم الله عز وجل ، وأنهم داخلون في علم المشابه ، وأنهم مع علمهم به  
يقولون آمناً به ؛ وقاله الزبيج ومحمد بن جعفر بن الزبير والقاسم بن محمد وغيرهم . و « يقولون »  
على هذا التأويل نصب على الحال من الراسخين ؛ كما قال :

الريح تهبكي شجوها • والبرق يلمع في الغمام

وهذا البيت يحتمل المعنيين ؛ فيجوز أن يكون « والبرق » مبتدأ ، والخبر « يلمع » على التأويل  
الأول ، فيكون مقطوعاً مما قبله . ويجوز أن يكون معطوفاً على الريح ، و « يلمع » في موضع  
الحال على التأويل الثاني أى لا يما . واحتج قائلوهذه المقالة أيضاً بأن الله سبحانه مدحهم

(١) في الأصول : « أرسلت فيها رجلاً » والصواب من اللسان وشرح القاموس . والقطع : التضييق ؛ ولعل  
قُلْ وقُلْ وقُلْ : مؤول . والقطع أيضاً : المتشابه وغيره . والكالك (بضم اللام الأولى وكسر الثانية) : الجمل الضخم  
المرى بالحم . ومعنى الشطر الثاني كما قال أبو علي القاسم : يقصر إذا منى لانخفاض بطنه وضعفه وقاربه من الأرض ؛  
فإذا برأه رآه طويلاً لارتفاع سنامه ؛ فهو باركا أطول من قائما . (من لسان العرب طاعة لككها)

(٢) في الأصول : « والراسخون سائقين » زيادة كلمة « سائقين » .

بالرسوخ في العلم؛ فكيف يحصوهم وهم جهال! وقد قال ابن عباس: أنا من يعلم تأويله .  
وقرأ مجاهد هذه الآية وقال: أنا من يعلم تأويله؛ حكاه عنه إمام الحرمين أبو المعالي .

قلتُ - وقد ردّ بعض العلماء هذا القول إلى القول الأول فقال: وتقدير تمام الكلام «عند الله» أن معناه وما يعلم تأويله إلا الله يعني تأويل التشابهات، والراشخون في العلم يعلمون بعضه قائلين آتياه بكل من عند ربنا بما نُصب من الدلائل في المحكم وممكن من رده إليه . فإذا علموا تأويل بعضه ولم يعلموا البعض قالوا آتانا بالجميع كل من عند ربنا، وما لم يُطَبَّ به علمنا من الخفايا مما في شرعه الصالح فعلمه عند ربنا . فإن قال قائل: قد أشكل على الراشخين بعض تفسيره حتى قال ابن عباس: لا أدري ما الأذواء ولا ما غشيين، قيل له: هذا لا يلزم؛ لأن ابن عباس قد علم بعد ذلك ففسّر ما وقف عليه . وجواب أقطع من هذا وهو أنه سبحانه لم يقل وكل راخ فيجب هذا، فإنما لم يعلمه أحد علمه الآخر . ورجح ابن قُورْك أن الراشخين يعلمون التأويل وأطنب في ذلك؛ وفي قوله عليه السلام لابن عباس: «اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل» ما يبين لك ذلك، أي علمه معاني كتابك . والوقف على هذا يكون عند قوله «والراشخون في العلم» . قال شيخنا أبو المباس أحمد بن عمر: وهو الصحيح؛ فإن تسميتهم راشخين يقتضي أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوى في علمه جميع من يفهم كلام العرب وفي أي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع! لكن التشابه يتنوع؛ فله ما لا يعلم لبنة كاسر الروح والساعة مما استأثر الله بنيه، وهذا لا يتعاطى علمه أحد إلا ابن عباس ولا غيره . فمن قال من العلماء الخُذْاق بأن الراشخين لا يعلمون علم التشابه فإنما أراد هذا النوع . وأما ما يمكن حمله على وجوه في اللغة وسأج في كلام العرب فيتأزل ويُعلم تأويله المستقيم، ويزال ما فيه مما عسى أن يتعلق من تأويل غير مستقيم؛ كقوله في عيسى: «قد وُحِّيت» إلى غير ذلك . فلا يسمى أحد راخا إلا بأن يعلم من هذا النوع كتما بحسب ما قدره . وأما من يقول: إن التشابه هو المنسوخ فيستقيم على قوله لخل للراشخين في علم التطويل؛ لكن تحصيله التشابهات بهذا النوع غير صحيح .

والسوخ : الثبوت في الشيء ، وكل ثابت راسخ . وأصله في الأجرم أن يرتخ الجبل  
والشجر في الأرض . وقال الشاعر :

لقد رتخت في الصدر مني مودة • لئلي أبت آياتها أنت تتفيرا

ورسخ الإيمان في قلب فلان يرتخ رسوخا . وحكى بعضهم : رسخ التقدير غضب مآؤه ؛ حكاه  
ابن فارس فهو من الأضداد . ورتخ ورتخ ورتخ ورتخ ورتخ ورتخ ورتخ ورتخ ورتخ ورتخ  
الله عليه وسلم عن الراشدين في العلم فقال : « هو من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه » .  
فإن قيل : كيف كان في القرآن منسأبه والله يقول : « وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ  
إِلَيْهِمْ » فكيف لم يجعل كله واضحاً ؟ قيل له : الحكمة في ذلك — والله أعلم — أن يظهر  
فضل العلماء ؛ لأنه لو كان كله واضحاً لم يظهر فضل بعضهم على بعض . وهكذا يفعل من  
يصنف تصنيفاً يجعل بعضه واضحاً وبعضه مشكلاً ، ويترك للجشوة موضعا ؛ لأن ما هان  
وجوده قل بهائه . والله أعلم .

التاسعة — قوله تعالى : ( كُلُّ مِنْ عِنْدَ رَبِّنَا ) فيه ضمير مائد على حجاب الله تعالى محكيه  
ومتشابهة ، والتقدير كله من عند ربنا . وحذف الضمير لدلالة « كل » عليه ؛ إذ هي لفظة  
مقتضى الإضافة . ثم قال : ( وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ) أي ما يقول هذا ويؤمن ويقف  
حيث وقف ويدع اتباع التشابه إلا ذولب ، وهو العقل . ولب كل شيء خالصه ؛ فلذلك  
قبل للعقل لب . و « أولو » جمع ذو .

قوله تعالى : رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ  
وَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨٥﴾

فيه سائلان :

الأول — قوله تعالى : ( رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا ) في الكلام حلف تهديره بقولون .  
وهذا حكاية عن الراشدين . ويموز أن يكون المعنى قل يا محمد . ويقال : إزاعة القلب فسأله

(١) كما وردت هذه الكلمة في أكثر الأصول ، وفي بعض الأصول وردت بغير الهمزة من غير إمام .

وميل عن الدين، أفكأنا يخافون وقد هُدُوا أن ينقلهم الله إلى الفساد؟ فالجواب أن يكونوا  
 سالوا إلهدهم الله ألا يظلمهم بما ينقل عليهم من الأعمال فيعجزوا عنه؛ نحو «وَأَوَّأْنَا كَتَبَتَا  
 عَلَيْهِمَ إِنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ». قال ابن كيسان: سالوا ألا يزيعوا فيزيغ الله  
 قلوبهم؛ نحو «فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» أي شَبَّنَا على هدايتك إذ هديتنا وألا تزيع فلستحق  
 أن تُزيغ قلوبنا. وقيل: هو منقطع مما قبل؛ وذلك أنه تعالى لما ذكر أهل الزين عقب ذلك  
 بأن علم عباده الدماء إليه في ألا يكونوا من الطائفة الذميمة التي ذكرت وهي أهل الزين.  
 وفي الموطأ عن أبي عبد الله الصنابحي أنه قال: قَدِمْتُ المدينة في خلافة أبي بكر الصديق  
 فصليت وراءه المغرب، فقرأ في الركعتين الأوليين بآم القرآن وسورة من قصار المفصل،  
 ثم قام في الثالثة، فدنوت منه حتى إن ثيابي لتكاد تمس ثيابه، فسمعت يقرأ بآم القرآن وهذه الآية  
 «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا» الآية. قال العلماء: قراءته بهذه الآية ضرب من القنوت والدماء  
 لما كان فيه من أمر أهل الردة. والقنوت جائز في المغرب عند جماعة من أهل العلم، وفي كل  
 صلاة أيضا إذا دهم المسلمين أمر عظيم يزعجهم ويخافون منه على أنفسهم. وروى الترمذي  
 من حديث شهر بن حوشب قال قلت لأُمّ سلمة: يا أُمّ المؤمنين، ما كان أكثر دعاء رسول الله  
 صل الله عليه وسلم إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي  
 عَلَى دِينِكَ». فقلت: يا رسول الله، ما أكثر دعائك يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟  
 قال: «يَا أُمّ سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء  
 أزاغ». فلا معاذ<sup>(١)</sup> «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا». قال: حديث حسن. وهذه الآية  
 حجة على المعتزلة في قولهم: إن الله لا يضل العباد. ولو لم تكن الإزاغة من قبله لما جاز  
 أن يدعى في دفع ما لا يجوز عليه فعله. وقرأ أبو واقد الجراح «لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا» بإسناد القعل إلى  
 القلوب، وهذه رغبة إلى الله تعالى. ومعنى الآية على القراءتين ألا يكون منك خلق الزين

فَمَا تَزِغُ

الثانية - قوله تعالى : (وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً) أى من عندك ومن قبلك تفضلاً  
لا عن سبب منا ولا عمل . وفي هذا استسلام وتطاريح . وفي «لَدُنْ» أربع لغات : لَدُنْ يفتح  
اللام وضم الدال وجرم النون ، وهى أفصحها ؛ و يفتح اللام وضم الدال . وحذف النون ؛ و يضم  
اللام وجرم الدال وفتح النون ؛ و يفتح اللام وسكون الدال وفتح النون . ولعل جهال المتصوفة  
وزنادقة الباطنية يشبهون بهذه الآية وأمثالها فيقولون : العلم ما وجه الله ابتداء من غير كسب ،  
والنظر فى الكتب والأوراق حجاب . وهذا مردود على ما يأتى بيانه فى هذا الموضع .  
ومعنى الآية : هب لنا نعيماً صادراً عن الرحمة ؛ لأن الرحمة راجعة الى صفة الذات فلا يتصور  
فيها المحبة . يقال : وهب يهب ، والأصل يوهب بكسر الهاء . ومن قال : الأصل يوهب  
يفتح الهاء فقد أخطأ ؛ لأنه لو كان كما قال لم تحذف الواو ، كما لم تحذف فى يوجل . وإسما  
حذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة ؛ ثم فتح بعد حذفها لأن فيه حرفاً من حروف الحلق .  
قوله تعالى : رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ

لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٤١﴾

أى باعثهم وعيهم بعد تفرقهم . وفى هذا إقرار بالبعث ليوم القيامة . قال الزجاج :  
هذا هو التأويل الذى علمه الراشعون وأقرؤا به ، وخالف الذين اتبعوا ما تشابه عليهم من أمر  
البعث حتى أنكروه . والرب الشك ، وقد تقدمت محاملة فى البقرة . والميعاد مفعول من الوعد

قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ  
مَنْ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٤٢﴾

معناه يبن . أى لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً . وقرأ السلمي  
«لَنْ يُغْنِيَ» بالياء لتقدم الفعل ودخول الحائل بين الاسم والفعل . وقرأ الحسن «يُغْنِي» بالياء  
وسكون الياء الآخرة للتخفيف ؛ كقول الشاعر :

(١) راجع ج ١ ص ١٠٩ طبة ثانية : ٢٠٢ . (٢) السلمي (يعلم السلمي) هو قوله الرحمن  
ابن الحسين العمري الأزدي - (من تذكرة الحفاظ تأليف إسماعيل) .

كَفَى بِالْإِيمَانِ مِنْ أَسْمَاءٍ كَافِي \* وَلَيْسَ لِسُقْمِهَا إِذْ طَالَ شَافِي

وكان حقّه أن يقول كافياً، فأرسل الياء . وأنشد الفراء في مثله :

كَانَ أَيْدِيَهُنَّ بِالْفَاعِ الْفَرْقُ • أَيْدَى جَوَارٍ يَتَعَاطَلْنَ الْوَرَقُ

الْقُرْبَى وَالْقَرَّةَ لَنُفَنِّ فِي الْقَاعِ . وَ « مَن » فِي قَوْلِهِ « مَن اللَّهِ » بِمَعْنَى عِنْدَ ؛ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ .  
 ( أَوْلَيْتُكُمْ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ) وَالْوُقُودُ اسْمٌ لِلْحَطَبِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي « الْبَقَرَةِ » . وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَبِجَاهِهِ  
 وَظَلَمَهُ بَنُ مَصْرَفٍ « وَقُودٌ » بِضَمِّ الْوَاوِ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ تَقْدِيرُهُ حَطَبٌ وَقُودُ النَّارِ .  
 وَيُحْوِزُ فِي الْعَرَبِيَّةِ إِذَا ضَمَّ الْوَاوُ أَنْ تَقُولَ أَقُودُ مِثْلَ أَقَتُّ . وَالْوُقُودُ بِضَمِّ الْوَاوِ الْمَصْدَرُ ؛  
 وَقَدَّتِ النَّارُ تَقْدُ إِذَا اشْتَعَلَتْ . وَخَرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ مِنْ حَدِيثِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ قَالَ  
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَظْهَرُ هَذَا الدِّينَ حَتَّى يُجَاوِزَ الْبَحَارَ وَحَتَّى تُخَاطَ الْبَحَارُ  
 بِالْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ثُمَّ يَأْتِي أَقْوَامٌ يَقْرءُونَ الْقُرْآنَ فَإِذَا قَرعوه قَالُوا مَنْ أَقْرَأَ مِنَّا  
 مَنْ أَعْلَمَ مِنَّا . ثُمَّ انْتَفَتْ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : هَلْ تَرَوْنَ فِي أَوْلَيْتُكُمْ مِنْ خَيْرٍ ؟ » قَالُوا لَا . قَالَ :  
 « أَوْلَيْتُكُمْ مِنْكُمْ وَأَوْلَيْتُكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَوْلَيْتُكُمْ هُمْ وَقُودُ النَّارِ » .

قوله تعالى : كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
فَآخَذْنَاهُمْ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾

الدُّبُّ العادة والشأن . ودُّب الرجلُ في عمله يَدُّبُ دَبًّا ودُّوبًا إذا جَدَّ واجتهد ،  
 وَأَدَّبْتُهُ لَنَا . وَأَدَّبَ بَعِيرُهُ إِذَا جَهَّدَهُ فِي السَّيْرِ . والدُّبَّانِ اللَّيْل والنَّهَار . قال أبو حاتم :  
 وَصَحَّحْتُ وَصَوَّبْتُ يَذْكُرُ « كَدَّابٌ » يَضَعُ الهمزة ، وقال لي وأنا غُلِيْمٌ : هل أَيْتُ شَيْءٌ يَحْسُوزُ  
 « كَدَّابٌ » ؟ فقلت له : أَظَلْتَهُ مِنْ دَبِّ يَدُّبُ دَبًّا . فقبل ذلك مِنِّي وَتَجَبَّ مِنْ جُودَةِ  
 هَمِيرِي عَلَى صَفْرَى ؛ وَلَا أَدْرِي أَقَالَ أَمْ لَا . قال النحاس : « وهذا القول خطأ ، لا يقال

﴿ ٢٤ ﴾ كما في الأصول . والذي يدل شانه الصرب وغيره من سميات الفة أنه الفرق (فتح القاف وكسر الراء) والفرق في فتح القاف والإفراد في الفرق (بكسر القاف وسكون الراء) . والقاع الفرق : الطيب الذي لا حارة فيه .

(۱) طرح و اجرای کارهای ساختمانی.



البَّتَّةَ دَيْبَ: وإنما يقال: دَابَّ يَدَابُّ دُؤْبًا [وَدَابًّا]؛ هكنا حكى الصَّوِيون، منهم الفراء  
 حكاها في كتاب المصايد؛ كما قال امرؤ القيس:

كَدَّابِكَ مِنْ أَمِّ الْحَوْرِيَّتِ قَبْلَهَا \* وَجَارَتِهَا أُمُّ الرِّبَابِ بِمَا سَلَّ

فأما الدَّابُّ فانه يجوز؛ كما يقال: شَعَرٌ وَشَعْرٌ وَنَهْرٌ وَنَهْرٌ؛ لأن فيه حرفا من حروف الخلق. .  
 واختلفوا في الكاف؛ ف قيل: هي في موضع رفع تقديره دَابُّهُمْ كدَابَّ آل فرعون، أى صليح  
 الكفار معك كصنيع آل فرعون مع موسى. وزعم الفراء أن المعنى: كفرت العربُ ككفر  
 آل فرعون. قال النحاس: لا يجوز أن تكون الكاف متعلقة بكفروا، لأن كفروا داخلة  
 في الصلة. وقيل: هي متعلقة بأخذهم الله، أى أخذهم أخذًا كما أخذ آل فرعون. وقيل:  
 هي متعلقة بقوله «أَنْ تَنْفِي عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ» أى لم تُنْفِ عنهم غَنَاءَ كما لم تُنْفِ الأموال  
 والأولاد عن آل فرعون. وهذا جواب لمن تخلف عن الجهاد وقال: شغلنا أموالنا وأهلونا.  
 ويصح أن يعمل فيه فعلٌ مقدَّر من لفظ الوقود، ويكون التشبيه في نفس الاحتراق. ويؤيد  
 هذا المعنى: «... وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ. النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ  
 السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ». والقول الأول أرجح، واختاره غير واحد من العلماء.  
 قال ابن عرفة: «كَدَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ» أى كمادة آل فرعون. بقول: اعتاد هؤلاء الكفرة  
 الإلحاد والإعنات للنبي صلى الله عليه وسلم كما اعتاد آل فرعون من إعنات الأنبياء؛ وقال معناه  
 الأزهري: . فأما قوله في سورة (الأنفال) «كَدَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ» فالمعنى جُوزِي هؤلاء بالقتل  
 والأسر كما جُوزِي آل فرعون بالفرق والهلاك .

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) يحتمل أن يريد الآيات المنتقاة، ويحصل أن يريد الآيات  
 المنصوبة للدلالة على الوحدانية. (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) .

(١) زينة عن العرب التراكب المصغر . (٢) لم يفرق بين «م» و«هم» لم يفرق بين «م»  
 وبين ضم الكسرة؛ وكان امرؤ القيس يذهب إلى أن «م» و«هم» كلمتان مختلفتان . وضع  
 بقول: قاتل من يفرقك مل هذه الآية وقد ترك أهلها كما قبلت من أم الحوريث وجارتها . (هو شرح اللغات)

قوله تعالى : قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُونَ وَمَنْهُمْ شَرُّونَ إِلَى جَهَنَّمَ  
وَيُنْسَ إِلَهُادُ ﴿١٧﴾

يعني اليهود . قال محمد بن إسماعيل : لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا  
يئدروا قديم المدينة جمع اليهود فقال : ” يا معشر اليهود أحدروا من الله مثل ما نزل بقريش  
يوم يئدروا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرقتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم  
وعهد الله إليكم ” ، فقالوا : يا محمد ، لا يقرئك أنك قتلت أقواما أغمارا لا يعلم لهم بالحرب فاصبت  
فيهم فرصة ! والله لو قاتلنا لعرفت أننا نحن الناس . فانزل الله تعالى « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا  
سَعْيُهُمْ » ، بانه يعني اليهود ، أي يُهَيِّمُونَ « وَيُخْشِرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ » في الآخرة . فهذه رواية عكرمة  
وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس . وفي رواية أبي صالح عنه أن اليهود لما فرحوا بما أصاب  
المسلمين يوم أُحُد نزلت : فالعن على هذا « سيفلون » ، بانه يعني قريشا ، « ويخشرون » ، بالياء  
فهما ، وهي قراءة نافع .

قوله تعالى : ﴿ وَبُئْسَ الْمِهَادُ ﴾ يعنى جهنم ؛ هذا ظاهر الآية . وقال مجاهد : المعنى  
بئس ما مهدوا لأنفسهم ، فكان المعنى : بئس فعلهم الذى أذاهم إلى جهنم .

قوله تعالى : قَدْ كَانَ لَكَ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الثَّقَفَانِ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ  
 اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ  
 يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ أى علامة . وقال « كان » ولم يقل « كانت » لأن  
 الآية « تأنيهاً غير حقيق . وليل : وقعا الى اليان ، أى قد كان لكم بيان ، فذهب الى المعنى  
 قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ نَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾

بِرَهْمَةٍ رَّوْدَةٍ وَخَصَّةٌ • تَعْرِوْبَةُ الْبَايَةِ الْمُتَقَطِّرِ<sup>(١)</sup>

ولم يقل المتقطرة؛ لأنه ذهب إلى التضييب . وقال الفراء : ذكره لأنه فرق بينهما بالصفة ، فإسما حالت الصفة بين الاسم والفعل دُكِّرَ الفعل . وقد مضى هذا المعنى في البقرة في قوله تعالى : « كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ »

(فِي فَيْتَيْنِ التَّقَاتِ) معنى المسلمين والمشركين يوم بدر (رُفَّةٌ) قرأ الجمهور «فئة» بالرفع ، بمعنى إحداها فئة . وقرأ الحسن ومجاهد «فَيْةٌ» بالخفض . وأثرى كَافِرَةٌ على البدل . وقرأ ابن أبي عملة بالنصب فيما . قال أحمد بن يحيى : ويجوز النصب على الحال ، أى التقنا مختلفين مؤمنة وكافرة . قال الزجاج : النصب بمعنى أعمى . وسميت الجماعة من الناس فئة لأنها يُمَاهِها إليها ، أى يرجع إليها في وقت الشدة . وقال الزجاج : الفئة للفرقة ، مأخوذة من فَاوَتْ رأسه بالسيف — ويقال : فآيته — إذا فلقته . ولا خلاف أن الإشارة بهاتين الفئتين هي إلى يوم بدر . واختلف من المخاطب بها ؛ فقليل : يحتمل أن يُخاطَب بها المؤمنون ، ويحتمل أن يُخاطَب بها جميع الكفار ، ويحتمل أن يُخاطَب بها يهود المدينة ؛ وبكل احتمال منها قد قال قوم . وفائدة الخطاب للمؤمنين تثبيت النفوس وتشجيعها حتى يُقَدِّمُوا على ملهم وأمثالهم كما قد وقع . قوله تعالى : (يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ) والله يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ) قال أبو علي : الرؤية في هذه الآية رؤية عين ، ولذلك تأملت إلى مفعول واحد . قال مكى والمهدوى : يدل عليه «رَأَى الْعَيْنِ» . وقرأ نافع «رَوْنَهُمْ» بالياء والباقون بالياء . (مِثْلَيْهِمْ) نصب على الحال من الهاء والميم في «رَوْنَهُمْ» . والجمهور من الناس على أن الفاعل يترون هم المؤمنون ، والضمير المتصل هو للكفار . وأنكر أبو عمرو أن يُفسرَ

(١) البرهمة : الرقيقة الجدة ، أو هي الهاء المترجعة . والرودة والزودة : الثابتة الحسة السريعة الشباب مع حسن فداء . والخصّة : الهيئة الخلق . والعروبة : التضييب النض البدن . والباية : واحد شمير البان . والمتقطر : المتشقق . يقال : قد انقطر الرد إذا انشق وأخرج روده . (من شرح الديوان) . (٢) راجع آية ١٨٠ ج ٢ ص ٢٥٧ ، وآية ١٨١ ص ٢٦٨ طبع ثانية . (٣) القى في تفسيره غرائب القرآن للسياهري . «رَوْنَهُمْ يُمَاهِها الخطاب أبو جعفر ونافع وعبد يعقوب الباكون بالياء» .

« تَرَوْنَهُمْ » بالنساء؛ قال : ولو كان كذلك لكان مثليكم . قال النعاس : وما لا يلزم ، ولكن يجوز أن يكون ينقل أصحابكم . قال مكي : « تَرَوْنَهُمْ » بالنساء جرى على الخطاب في « لكم » فيحسن أن يكون الخطاب للمسلمين ، والماء والميم للمشركون . وقد كان يلزم من قرأ بالنساء أن يقرأ مثليكم بالكاف ، وذلك لا يجوز لخالفه الخط ؛ ولكن جرى الكلام على الخروج من الخطاب إلى الغيبة ؛ كقوله تعالى : « حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجَرَّ يَمِينُهُمْ » ، وقوله تعالى : « وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ » فخطب ثم قال : « فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْمِقُونَ » فرجع إلى الغيبة . فلهاء والميم في « مثليهم » يحتمل أن يكون للمشركون ، أى ترون أيها المسلمون المشركين مثل ما هم عليه من العبد ؛ وهو بعيد في المعنى ؛ لأن الله تعالى لم يذكر المشركين في عين المسلمين بل أطلعنا أنه قللهم في عين المؤمنين ، فيكون المعنى ترون أيها المؤمنون المشركين مثليكم في العدد وقد كانوا ثلاثة أمثالهم ، قلل الله المشركين في عين المسلمين فأراهم إياهم مثلي عيتهم لتقوى أنفسهم ويقع التجاسر ، وقد كانوا أغلوا أن المائة منهم تغلب المائتين من الكفار ، وقل للمسلمين في عين المشركين ليجترأ عليهم فيخذ حكم الله فيهم . ويحتمل أن يكون الضمير في « مثليهم » للمسلمين ، أى ترون أيها المسلمون المسلمين مثلي ما أنتم عليه من العدد ، أى ترون أنفسكم مثلي عددكم ؛ فعل الله ذلك بهم لتقوى أنفسهم على لقاء المشركين . والتأويل الأول أولى ؛ يدل عليه قوله تعالى : « إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَتَابِكِ قَلِيلًا » وقوله : « وَإِذْ يُرِيكُهُمُ إِذْ تُتَفَتِّحُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا » . وروى عن ابن مسعود أنه قال : قلت لرجل إلى جاني : أراهم صبيح ؟ قال : أظنهم مائة . فلما أخذنا الأسارى أخبرونا أنهم كانوا ألفا . وحكى الطبري عن قوم أنهم قالوا : بل كثرة الله عدد المؤمنين في عيون الكافرين حتى كانوا عندهم ضعفهم . وضمف الطبري هذا القول . قال ابن عطية : وكذلك هو مردود من جهات . بل قلل الله للمشركين في عين المؤمنين كما تقدم . ومثل هذا التأويل كان يكون « ترون » للكافرين ، أى ترون أيها الكافرين المؤمنين مثليهم ، ويحتمل مثليكم ، على ما تقدم . وهذا الفراء أصل المعنى تخضع عليهم ثلاثة أمثالهم . وهو بعيد فيه معروف في اللغة . قال الزجاج : وهذا باب النطق

فيه غلط في جميع المقاييس؛ لأننا إنما نقول مثل الشيء مساوياً له ، ونقول مثله ما يساويه مرتين . قال ابن كيسان : وقد بين الفراء قوله بأن قال : كما تقول وعندك عبد : أحتاج إلى مثله ، فانت محتاج إليه وإلى مثله . وتقول : أحتاج إلى مثله ، فانت محتاج إلى ثلاثة . والمعنى على خلاف ما قال واللغة . والذي أوقع الفراء في هذا أن المشركين كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين يوم بدر، فتوهم أنه لا يجوز أن يكونوا يرونهم إلا على مثلهم . وهذا بعيد وليس المعنى عليه . وإنما أراهم الله على غير عينتهم لجهتين : إحداهما أنه رأى الصلاح في ذلك ؛ لأن المؤمنين تقوى قلوبهم بذلك . والأخرى أنه آية للنبي صلى الله عليه وسلم . وسيأتي ذكر وقعة بدر إن شاء الله تعالى . وأما قراءة الياء فقال ابن كيسان : الهاء والميم في « يرونهم » حائثة على « وأخرى كآخرة » والهاء والميم في مثليهم حائثة على « فَيَكُونُ تَقَاتُلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » وهذا من الإحصار الذي يدل عليه سياق الكلام ، وهو قوله : « يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ » . فدل ذلك على أن الكافرين كانوا مثلي المسلمين في رأى العين وثلاثة أمثالهم في العدد . قال : والرؤية هنا لليهود . وقال مكى : الرؤية للفئة المقاتلة في سبيل الله ، والمرئية الفئة الكافرة ؛ أى ترى الفئة المقاتلة في سبيل الله الفئة الكافرة مثلى الفئة المؤمنة ، وقد كانت الفئة الكافرة ثلاثة أمثال المؤمنة ، فقللهم الله في أعينهم على ما تقدم . والخطاب في « لكم » لليهود . وقرأ ابن عباس وطلحة « تَرَوْنَهُمْ » بضم التاء ، والسلمى بالناء مضمومة على ما لم يسم فاعله .

(وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ) تقدم معناه والمحمد لله .

قوله تعالى : زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١١﴾

(١) في قوله تعالى : « ولقد نصركم الله بدر » آية ١٢٣ من هذه السورة .

فيه إحدى عشرة مسألة :

الأولى - قوله تعالى : ( زَيْنَ النَّاسِ ) زَيْنٌ من التزين . واختلف الناس في المزين ؛ فقالت فرقة : الله زين ذلك ؛ وهو ظاهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ذكره البخاري . وفي التزييل : « إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا » ؛ ولما قال عمر : الآن يارب حين زينتها لنا نزلت « قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِمِثْرِهِمْ مِنْ ذَلِكَ » . وقالت فرقة : المزين هو الشيطان ؛ وهو ظاهر قول الحسن ، فإنه قال : مَنْ زَيْنَهَا ؟ ما أحد أشد لها ذمًا من خالقها . فترين الله تعالى إنما هو بالإيمان والتهبة للارتفاع وإنشاء الحيلة على الميل إلى هذه الأشياء . وتزين الشيطان إنما هو بالوسوسة والخديعة وتحسين أخذها من غير وجوها . والآية على كلا الوجهين ابتداء وعظ لجميع الناس ، وفي ضمن ذلك توبيخ لمعاصري عهد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم . وقرأ الجمهور « زَيْنَ » على بناء الفعل للفعول ، وروى « حُب » . وقرأ الضحاك ومجاهد « زَيْنَ » على بناء الفعل للفاعل ، ونصب « حُب » . وحركت الهاء من « الشَّهَوَاتِ » فوقًا بين الاسم والتمت . والشهوات جمع شهوة ، وهي معروفة . ورجل شهوان للشيء ، وشيء شهوي أي مُشْتَهَى . وأتباع الشهوات مُرِيدٌ وطاعتها مهلكة . وفي صحيح مسلم : « حَقَّقَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم . وفائدة هذا التمثيل أن الجنة لا تُنال إلا بقطع مفاوز المكاريه وبالصبر عليها ، وأن النار لا يُفْتَحِي منها إلا بترك الشهوات وإفطام النفس عنها . وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « طريق الجنة حَزَنٌ وبرودة وطريق النار سهل بسهوة » ، وهو معنى قوله : « حَقَّقَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » . أي طريق الجنة صعب المسلك فيه أعلى ما يكون من الزواجر ، وطريق النار سهل لا يغلظ فيه ولا وعورة ، وهو معنى قوله « سهل بسهوة » وهو بالسين المهملة .

(١) فلمعانة المصاح الذي يعتمد عليه المؤلف كثيرا . وفي الأصول : « الجهوان للشيء » .

(٢) الحزن ( يفتح فسكون ) : المكان اللطيف الخشن . والبرودة ( بالضم والفتح ) : ما ارتفع من الأرض . والسهوة : الأرض التي التربة .

الثانية - قوله تعالى: (من النساء) بدأ بـ (من) لكثرة تنويف الغوس اليهن، لأنهن حائل الشيطان وفتنة الرجال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تركتُ بدى فتنة أشدَّ من الرجال من النساء » أخرجه البخارى ومسلم . ففتنة النساء أشدَّ من جميع الأشياء . ويقال : في النساء فتنتان ، وفي الأولاد فتنة واحدة . فاما اللتان في النساء فأحدهما أن تؤدى إلى قطع الرحم ؛ لأن المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأمهات والأخوات . والثانية يُتَبَلَّى بجمع المال من الحلال والحرام . وأما البنون فإن الفتنة فيهم واحدة، وهو ما أُتَبَلَّى بجمع المال لأجلهم . وروى عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تُسْكِنُوا نساءكم الغُرفَ ولا تَعْلَمُوهُنَّ الْكِتَابَ » . حذرهم صلى الله عليه وسلم ؛ لأن في إسكانهن الغرف تطلعا إلى الرجال، وليس في ذلك تحصين لهن ولا سترٌ لأنهن قد يُشْرِفُنَّ على الرجال فتعلت الفتنة والبلاء، ولأنهن قد خَلِقْنَ من الرجل؛ فهيتها في الرجل والرجل خَلِقَ فيه الشهوة وَجِئَتْ سَكَنًا له ؛ فغير مأمون كل واحد منهما على صاحبه . وفي تعلُّمهن الكتاب هذا المعنى من الفتنة وأشد . وفي كتاب الشَّهَاب عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أَعْمَرُوا النِّسَاءَ بِزَيْنِ الْحِجَالِ » . فعلى الإنسان إذا لم يصبر في هذه الأزمان أن يبحث على ذات الدين ليسلم له الدين . قال صلى الله عليه وسلم : « عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبْتُ بِذَاكَ » . أخرجه مسلم عن أبي هريرة . وفي سُنَنِ أبْنِ مَاجَةَ عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحَسَنِهِنَّ فَعَسَى حَسَنُهُنَّ أَنْ يَزِيدَهُنَّ وَلَا تَزَوَّجُوهُنَّ لِأَمْوَالِهِنَّ فَعَسَى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْلِقَهُنَّ وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ وَلَأَمَّةٌ سَوْدَاءُ خَرَاءَ ذَاتِ دِينٍ أَفْضَلُ » .

الثالثة - قوله تعالى: (وَالَّذِينَ) عطف على ما قبله . وواحد البين أين . قال الله تعالى غفرا عن نوح : « إِنْ أَتَيْتَ مِنْ أَهْلِ . وتقول في التصغير « بَنَى » كما قال لُحْيَان . وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للأشعث بن قيس : « هَلْ لَكَ مِنْ ابْنَةِ حَمْزَةٍ مِنْ »

(١) ترب الرجل : افتقر ، أى نقص بالراب ؛ وأرب إذا استحق . وهذه الكلمة جارية على اسم الرب ؛ لا يريدون بها الدعاء على الخاطب ولا ترفع الأمر به ؛ كما يقولون : فاته الله في مقام التاء والمذبح .

(٢) خرماء : مقطوعة بعض الأضف ومقطوعة الأذن .

وله " قال نعم ، على منها غلام ولدت أكل به جفنة من طعام أطلعها من بي من بجيلة .  
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لئن قلت ذلك لائم ثمره القلوب وكثرة الأيمان وإني مع ذلك  
ليؤخّرني عنه " .

الرابعة - قوله تعالى : ( وَالْقَنَاطِيرُ ) القناطر جمع قنطار ، كما قال تعالى : " وَأَنْتُمْ  
أَعْدَانٌ قَنَاطِرًا " وهو القنطرة الكبيرة من المال ، وقيل : هو اسم للبار الذي يوزن به ،  
كما هو الرطل والربع ، قال لبا : بلغ ذلك الوزن : هذا قنطار ، أي بدل القنطار . والعرب  
يقلون : قنطرة الرجل إذا بلغ ماله [ أ ب ] يوزن بالقنطار . وقال الزجاج : القنطار مأخوذ  
من قنطرت الشيء ، وإحكامه ، تقول العرب : قنطرت الشيء إذا أحكمته ، ومنه سميت القنطرة  
لإحكامها . قال طرفة :

كقنطرة الرومي أقسم ربها \* لتكتفن حتى تُسَادَ بقرميد

والقنطرة الموقدة ؛ فكان القنطار قنطرا مال . واختلف العلماء في تحريك حده كم هو هل أقوال  
متباينة . فروى أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " القنطار ألف أوقية  
مما سأ أوقية " ، وقال بذلك معاذ بن جبل وعبد الله بن عمرو أبو هريرة وبخاعة من العلماء .  
قال ابن عسلة : « وهو أصح الأقوال . لكن القنطار على هذا يختلف باختلاف البلاد في قنطرو  
الأوقية . » وقيل : ثلثا عشر ألف أوقية ؛ أسنده البستي في مسنده الصحيح عن أبي هريرة  
لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " القنطار اثنا عشر ألف أوقية الأوقية خير مما بين  
السهم والأرض " . وقال يثاق القول أبو هريرة أيضا . وفي مسند أبي محمد الدارمي عن  
أبي حنيفة الخنذري قال : « من قرأ في ليلة عشر آيات كتب من الذاكرين ، ومن قرأ بمائة آية  
كتب من القانتين ، ومن قرأ بحماسة آية إلى الألف أصبح له قنطار من الأجر . » قيل :  
وما القنطار ؟ قال : ملء مسك ثوب ونحوها . موقوف ؛ وقال به أبو نضرة العبدي . وذكر

(هـ) أي في الألباء يمشون بهم يحترقون من الكرم فيبأب أباهم اليوم والام ، ويعلمونهم يملون فلا يغفون  
فيبأب كذا يفتق فيه ابتداء لم بالماء يمشونهم يحترقون عليهم انفسهم مرض ونحوه .

(٦) الترمذ : الأجر والحاجة .



ابن سبَّه أنه هكنا بالسريانية . وقال النقاش عن ابن الكلبي أنه هكنا بلفظة الروم . وقال  
ابن عباس: والضحاك والحسن: ألف ومائتا مثقال من الفضة ، ورفعه الحسن . وعن  
ابن عباس: اثنا عشر ألف درهم من الفضة ، ومن الذهب ألف دينار دية الرجل المسلم ؛  
وروى عن الحسن والضحاك . وقال سعيد بن المسيب : ثمانون ألفا ، قتادة : مائة رطل  
من الذهب أو ثمانون ألف درهم من الفضة . وقال أبو حزة التَّمَالِي : القنطار بإفريقية  
والأندلس ثمانية آلاف مثقال من ذهب أو فضة . السُّدِّي : أربعة آلاف مثقال . مجاهد :  
سبعون ألف مثقال ؛ وروى عن ابن عمر . وحكى مكي قولاً أن القنطار أربعمائة أوقية من  
ذهب أو فضة ؛ وقاله ابن سبَّه في المحكم ، وقال : القنطار بلفظة بَرِّر ألف مثقال . وقال الربيع  
ابن أنس : القنطار المال الكثير بعبءه على بعض ؛ وهذا هو المعروف عند العرب ، ومنه قوله :  
« وَأَتَيْتُمْ لِحَدَاهُنَّ قِنْطَارًا » أى مالا كثيرا . ومنه الحديث : « لَنْ صَفْوَانٌ بِنِ أُنَيْسَةَ قَنْطَرِ  
فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَقَنْطَرُ أَبُوهُ » أى صار له قنطار من المال . وعن المحكم : القنطار هو ما بين السماء  
والأرض . واختلفوا في معنى « الْمُقَنْطَرَةِ » فقال الطبري وغيره : معناه المضعفة ، وكانت القناطير  
ثلاثة والمقنطرة تسع . وروى عن الفراء أنه قال : القناطير جمع القنطار ، والمقنطرة جمع إجماع ،  
فيكون تسع قناطير . السُّدِّي : المقنطرة المضروبة حتى صارت دنانير أو دراهم . مكي :  
المقنطرة المكعبة ؛ وحكاها الهروي ؛ كما يقال : بَدْرٌ مَبْدَرَةٌ ، وآلافٌ مَوْلَقَةٌ . وقال بعضهم :  
ولمَّا سُمِّيَ الْبِنَاءُ الْقَنْطَرَةُ لَتَكَثُفِ الْبِنَاءِ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ . ابن كيسان والفراء : لا تكون  
المقنطرة أقل من تسعة قناطير . وقيل : الْمُقَنْطَرَةُ إشارة إلى حضور المال وكونه حينئذ .  
وفي صحيح البُخَارِيِّ عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ قَامَ  
بِعَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَائِمِينَ وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ  
مِنَ الْمُقَنْطَرِينَ » .

الخامسة - قوله تعالى : ( **مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ** ) الذهب مؤنثة ، يقال : هي الذهب الحسنة ، جمعها ذهَابٌ وذهُوبٌ ، ويموز أن يكون جمع ذهبة ، ويجمع على الأذهاب . وذهب فلان مذهباً حسناً . والذهب : مِكْالٌ لأهل اليمن . ورجلٌ ذهب إذا رأى مَعْدِنَ الذهب فذهش . والفضة معروفة ، وجمعها فِضْضٌ . فالذهب مأخوذةٌ من الذهب ، والفضة مأخوذةٌ من انفض الشيء تفرق ، ومنه فَضِضْتُ القوم فانفضوا ، أى فزقتم ففزعوا . وهذا الاشتقاق يُشعر بزوالمها وعدم ثبوتها كما هو مشاهد في الوجود . ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى قول بعضهم :

النار أنتر دینار نطقت به • والمم أنتر هذا الدرهم الجارى  
والمرء بينهما إن كان ذا ورع • مُعْدَب القلب بين المم والنار

السادسة - قوله تعالى : ( **وَالنَّحْلِ** ) النحل مؤنثة . قال ابن كيسان : حدثت عن أبي صيدة أنه قال : واحد النحل خائل ، مثل طائر وطير ، وضائن وضين ، ونمى القرس بذلك لأنه يخال في شبيهه . وقال غيره : هو اسم جمع لا واحد له من لفظه ، واحده قرس ، كالقوم والرهط والنساء والإبل ونحوها . وفي الخبر من حديث عليّ عن النبي صلى الله عليه وسلم : " **إن الله خلق القرس من الريح ولذلك جعلها تطير بلا جناح** " . وهب بن منبه : خلقها من ریح الجنوب ، قال وهب : فليس تسبيحة ولا تكبيرة ولا تهليلة يكبرها صاحبها إلا وهو يسمعها فيجيبه بمثلها . وسيأتى ذكر النحل ووصفها في سورة «الأفال» ما فيه كفاية إن شاء الله تعالى . وفي الخبر : " **إن الله تعالى عرض على آدم جميع الدواب ، فقيل له : اختر منها واحدة فاختار القرس ، فقيل له : اخترت مِرْكاً ، فصار اسمه الخبر من هذا الوجه . وسميت خبلاً لأنها موصومة بالعز فمن ركبها اعتز بخيلة الله له ويخال به على أعداء الله تعالى . وسمي فرساً** " .

(١) هذا رأى المؤلف ، وقد ذكره شارح القاموس (في مادة ذهب) . والمشهور أن الذهب يذكر ويؤنث كما هو مفصل في سميات الله .

(٢) هذا ما ورد في الأصول : والتي في سميات الله أن الذهب يجمع على أذهاب وذهوب وذهبان (بكرامه) كقوله حيرتان وذهبان (بضم الهاء) كقول رجلان . قل «ذهاباً» التي وردت في الأصول بحرة من «ذهبان» .

لأنه يفترس مسافات الجوف اقتراس الأسد وثباتاً ، ويقطعها كالإتهام يسديه على شيء خطأ  
وتأولاً . وسُمي عربياً لأنه جى به من بعد آدم لإسماعيل براء عن دفع قواعد اليث ه  
واسماعيل مرياً ، فصارت بحلة من الله فسمي عربياً . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه  
وسلم : " لا يدخل الشيطان داراً فيها فرس عتيق " . وإنما سمي عتيقاً لأنه قد تخلص من الهبابة<sup>(١)</sup>  
وقد قال صلى الله عليه وسلم : " خير الخيل الأدمم الأفوح الأدمم<sup>(٢)</sup> [ثم الأفوح المحجل<sup>(٣)</sup>] طلق  
اليمين فإن لم يكن أدمم فكُتبت على هذه البنية " . أخرجه الترمذي عن أبي قتادة . وفي مسنده  
الداري عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إنى أريد أن اشتري فرساً [فأبى] اشتري ؟ قال ه  
" اشتري أدمم أدمم محجلاً طلق اليمتى أو من الكُتبت على هذه الشية تقم وتسلم " . وروى  
النسائي عن أنس قال : لم يكن أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء من  
الخيول . وروى الأئمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الخيل ثلاثة  
لرجل أجروا لرجل ستر ورجل وزر " الحديث بطوله ، شهرته أغنت عن ذكره . وسأيت ذكر  
أحكام الخيل في «الأفقال» و «النحل» بما فيه كفاية إن شاء الله تعالى .

السابعة — قوله تعالى : (المسومة) بنى الراعية في المروج والمسارح ؛ قاله سعيد  
ابن جبير . يقال : سامت الدابة والشاة إذا سرحت تسوم تسوماً فهي سامعة وإسمتها إذا تركتها  
لذلك فهي مسامة . وسومتها تسوماً فهي مسومة . وفي سنن ابن ماجه عن علي قال : جى

(١) المعين الذي ولده يرفضه من حصان عربي .

(٢) الأفوح : ما في جبهه فرحة ، وهي يبيض بسرقي وجه القرس دون الترة . والأدمم : أبيض الآف والشفة العليا . والمحجل : أن تكون قوائم الأربع بيضا يبلغ منها ثلث الوظيف (سندق الذراع والساق أو ما فوق الرسغ إلى الساق) أو نصفه أو ثلثيه بعد أن يجاوز الأوساغ ولا يبلغ الركبتين والرقوبين . وطلق اليمين : لا تحجبل فيها . والكبت : ما لونه بين السواد والحمر . والشية : كل لون يخالف معظم لون القرس وغيره .

(٣) زيادة عن سنن الدارمي .

(٤) زيادة عن سنن الترمذي .

(٥) في مسند الدارمي والأموال : «محجل» .

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السَّوْمِ قبل طلوع الشمس ، وعن ذبح ذوات النحر . السَّوْمُ  
هنا في معنى الرُّعْي . وقال الله عز وجل : « فِيهِ تُسَيِّمُونَ » ، قال الأخطل :  
مثل ابن بَزْعَة أو كاتَرَمَثِلِه <sup>(١)</sup> . أَوَّلَى لَكَ ابْنُ مُسَيْمَةَ الْأَجَالِ <sup>(٢)</sup>

أراد ابن رابعة الإبل . والسَّوَام : كل بيمة ترى ، وقيل : المُعَدَّة للجهاد ؛ قاله  
ابن زيد . مجاهد : المُسَوِّمَةُ المُطَهَّمَةُ الحَسَنُ . وقال عكرمة : سَوِّمَهَا الحُسْنُ ؛ واختاره  
النحاس ، من قولم : وجِلَّ وَسِيم . وروى عن ابن عباس أنه قال : المُسَوِّمَةُ المُطَهَّمَةُ  
بشبات الخليل في وجوهها ، من السيا وهي العلامة . وهذا مذهب الكِسَائِيِّ وأبي عبيدة .

قلت : كل ما ذكر يحتمله اللفظ ، فتكون رابعة مُعَدَّة حَسَنًا مُطَهَّمَةً تُعْرَف من غيرها .  
قال أبو زيد : أصل ذلك أن تجعل عليها صوفة أو علامة تخالف سائر جسدائها لئلا يخطئ من غيرها  
في المرعى . وحكى ابن فارس اللغوي في مُجَمَلِه : المُسَوِّمَةُ المُرْسَلَةُ وعليها رُكبانها . وقال المؤرِّج <sup>(٣)</sup> :  
للمُسَوِّمَةِ المُكَيَّفَةِ . المبرد : المعروفة في البلدان . ابن كيسان : البُلُق . وكلها متقارب من  
السَّيَا . قال النابغة :

يَضْمُرُ كَالْقِدَاحِ سَوِّمَاتٍ \* عليها تَعْمُرُ أَشْبَاهُ جَنِّ

الثامنة - قوله تعالى : ( وَالْأَنْعَامُ ) قال ابن كيسان : إذا قلت نَعَمْ لم تكن إلا للإبل ،  
فإننا قلت أَنْعَامَ وقعت للإبل وكل ما يرعى . قال الفراء : هو مَذَكَّرٌ ولا يؤنث ؛ يقولون :

(١) في حاشية السدي كل ستن ابن ماجه والسان ( مادة سوم ) عند الكلام عن هذا الحديث : « السوم »  
لأنه يسمو بسمه ، ومنه عن ذلك في ذلك الوقت لأن وقت يذكر الله فيه فلا يشتغل بغيره . ويحتمل أن المراد بالسوم  
الرعي ؛ لأنها إذا رعت الرعى قبل شروق الشمس طيسه وهو تروأ ما يابى من حدة غلظها ، وذلك سرور عند أهل المال  
من العرب . (٢) كذا في ديوانه . ورواية الأثافي ( جلد ١ ص ٢٦٩ طبع دار الكتب المصرية ) :  
« كَابِنُ الْبَزَيْمَةِ » ، والقي في الأصول : « ضَلَّ ابْنُ بَزْعَةَ » ، وبنى ابن بَزْعَةَ : شَدَادُ بْنُ الْمُتَرَاخَا حَصِينُ  
الْقَدْحِ . وقوله « كَاتَرَمَثِلِه » بنى حوشب بن دُرَيْج . (٣) أولئك : جعل الله فيهم كلمة تطلق مقام  
التبديد والرميد . وقال الأصبغ : حيتاء قاري ما يملكه ، أي يتركه .

(٤) المؤرِّج ( كسند ) : أمير فهد مبرور بن الحارث السديني المصري في الحاشية الثانية للأدب .

هَذَا تَمَّ وَارِدٌ ، وَيَجْعَ أَنْصَابًا . قَالَ الْحَرَوِيُّ : « وَالنَّهْمُ يَذْكُرُ وَثُتٌ ، وَالْأَنْصَابُ الْمَوَاضِي مِنْ  
الْإِبِلِ وَالْبَعَرِ وَالْفَنَمِ ، وَالْأَكْبِلُ وَالنَّمِ فَهُوَ الْإِبِلُ خَاصَّةً . » وَقَالَ حَسَّانٌ  
وَكُنْتُ لَا يَزَالُ بِهَا أَيْسُ . » خِلَالُ مَرْجُوعِهَا تَمَّ وَثُتٌ

وَفِي سَنَنِ ابْنِ مَاجَهٍ عَنْ عُرْوَةَ الْبَارِقِيِّ يَرْفَعُهُ قَالَ : « الْإِبِلُ عِزٌّ لِأَهْلِهَا وَالْفَنَمُ بَرَكَةٌ وَالْخَيْرُ مَعْقُودٌ  
فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . وَفِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
« الشَّاةُ مِنْ دَوَابِّ الْجَنَّةِ » . وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : « أَمْرٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
الْأَغْنِيَاءَ بِاتِّخَاذِ الْفَنَمِ ، وَالْفُقَرَاءَ بِاتِّخَاذِ الدَّجَاجِ ، » وَقَالَ : « عِنْدَ اتِّخَاذِ الْأَغْنِيَاءِ الدَّجَاجِ يَأْذَنُ اللَّهُ بِهَلَاكِ  
الْفَرَى . » وَفِيهِ عَنْ أُمِّ هَانِيٍّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا : « اتَّخِذِي فَنَمًا فَإِنَّ فِيهَا بَرَكَةً » .  
فَأُخْرِجَهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ وَكِيعٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أُمِّ هَانِيٍّ ، إِسْنَادُ  
صَحِيحٍ .

التاسعة - قوله تعالى : ( وَالْحَرْثُ ) الْحَرْثُ هُنَا اسْمٌ لِكُلِّ مَا يَحْتَرُ ، وَهُوَ مَصْدَرٌ  
سَمِّيَ بِهِ ، تَقُولُ : حَرَّثَ الرَّجُلُ حَرْثًا إِذَا أَثَارَ الْأَرْضَ بِمَعْنَى الْفِلَاحَةِ ، وَفِيهِ اسْمُ الْحِرَاةِ عَلَى  
زَوْجِ الْحُبُوبِ وَعَلَى الْجَنَاحَاتِ وَعَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نَوْعِ الْفِلَاحَةِ . وَفِي الْحَدِيثِ : « حَرَّثَ لَدُنْيَاكَ  
كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا » . يَقَالُ حَرَّثْتُ وَاحْتَرَمْتُ . وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ « حَرَّثُوا هَذَا الْقُرْآنَ »  
أَيَّ قَنَسُوهُ . قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الْحَرْثُ التَّفْتِيشُ . وَفِي الْحَدِيثِ : « أَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ الْحَارِثُ »  
لِأَنَّ الْحَارِثَ هُوَ الْكَاسِبُ . وَاحْتَرَمْتُ الْمَالَ كَسْبُهُ . وَالْحَرْثَاتُ مُسْعِرُ النَّارِ . وَالْحَرْثَاتُ  
بِجَرَى الْوَتْرِ فِي الْقَوْسِ ، الْجَمْعُ أَحْرِيَةٌ . وَأَحْرَثَ الرَّجُلُ نَاقَتَهُ حَرَّهَا . وَفِي حَدِيثِ مَعَاوِيَةَ  
مَا فَعَلْتُ نَوَاصِحَكُمْ ؟ قَالُوا : حَرَّثْنَا يَوْمَ بَدْرٍ . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : يَعْنُونَ حَرَّزْنَاهَا ، يَقَالُ  
حَرَّثْتُ الدَّابَّةَ وَأَحْرَثْتُهَا ، لِقَتَانٍ . وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ وَقَدْ رَأَيْتُ سِكَّةً<sup>(١)</sup>

(١) النَّوَاصِخُ مِنَ الْإِبِلِ الَّتِي يَسْتَقِي عَلَيْهَا وَوَاحِدُهَا نَاصِخٌ . وَالْخَطَابُ لِلْأَنْصَارِ ، وَقَدْ قُدِّرَ عَنْ تَلْقَائِهِمْ لِمَا سَجَّ ، وَارَادَ  
مَعَاوِيَةَ بِذِكْرِ نَوَاصِحِهِمْ تَقَرُّبًا لَمْ تَعْرِضْ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ زَوْجِ حَرْثٍ وَسَقٍ ، فَأَجَابَهُ بِمَا سَكَنَهُ فَنَهْمٌ مَعْدُونٌ  
بِقَوْلِهِمْ « حَرَّزْنَا يَوْمَ بَدْرٍ » التَّرِيضُ بِقَتْلِ أَشْيَاخِهِ يَوْمَ بَدْرٍ . ( مِنْ نَهْيَةِ ابْنِ الْأَثِيرِ )  
(٢) السِّكَّةُ بِكَسْرِ السِّينِ وَتَقْدِيدِ الْكَافِ الْمَفْتُوحَةِ : الْحَدِيدَةُ الَّتِي تَحْرَثُ بِهَا الْأَرْضَ .

شيئا من كلة الحوت فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا يخلل حيا  
يت حوم إلا دخله النمل " . إذا النمل هنا ما يلزم أهل الثقل بالحوت من حقوق الأرض التي  
يطلبها بها الأئمة والسلاطين . وقال للملأب : معنى قوله في هذا الحديث والله أعلم الحش  
على معالي الأحوال وطلب الرزق من أشرف الصناعات ؛ وذلك لما خشي النبي صلى الله  
عليه وسلم على أئمة من الاشتغال بالحوت وتضييع ركوب الخيل في سبيل الله ؛ لأنهم إن  
اشتغلوا بالحوت غلبتهم الأمم الراكبة لقبيل المتعيشة من مكاسبها ؛ فخصهم على التعيش من الجهاد  
لا من الخلود إلى عمارة الأرض ولزوم المهنة . ألا ترى أن عمر قال : تمعدوا واخشوشنوا<sup>(١)</sup>  
واقطعوا الركب ويثوا على الخيل وثبا لا تغلبكم طيأرة الإبل . فامرهم بملزمة الخيل ،  
ورعاية أبلانهم بالوثوب عليها . وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله  
عليه وسلم : " ما من مسلم غرس غرسا أو زرع زرعاً فبا كل منه طيراً أو إنساناً أو بهيمة  
إلا كان له به صدقة " .

قال العلامة : ذكر الله تعالى أربعة أصناف من المال كل نوع من المال يجوز به  
صنف من الناس . أما الذهب والفضة فيتمول بها التجار . وأما الخيل المسومة فيتمول بها  
للولك . وأما الأنعام فيتمول بها أهل البوادي . وأما الحوت فيتمول به أهل الرساتيق . فتكون  
فئة كل صنف في النوع الذي يجوز به . وأما النساء والبنون ففئة للجميع .

الماشرة - قوله تعالى : ( ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) أي ما يتمتع به فيما ثم يذهب ولا يبقى .  
وهذا منه ترهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة . روى ابن ماجه وغيره عن عبد الله بن عمر أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من  
المرأة الصالحة " . وفي الحديث : " إزهد في الدنيا يُحَبِّك الله " أي في متاعها من الجاه  
والمال الزائد على الضروري . قال صلى الله عليه وسلم : " ليس لابن آدم حق في سوى هذه

(١) الفة القصص من الإخلاء . (٢) قال : تمعد الغلام إذا شب وظل . وقيل بل زاد تشبها  
بمن معه من مدان وكانوا أهل ظلمة ومقتضى أي كونوا مشبهين ودعوا التمس وذى الصمم . (٣) في مسند الإمام  
أحمد بن حنبل . (٤) قالوا الركب . ولم يبق إلا الرادحة . (٥) قال الرساتيق والبراد والقرى والطاحنا وما شابهها .

الحِصَالِ بَيْتٍ يَسْكُنُهُ وَتُوبَ يُوَادِي حُورَهُ وَيُطْفِئُ الْخَبْزَ وَالْمَاءَ<sup>(١)</sup> أَخْرَجَهُ التَّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ  
الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ . وَسُئِلَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : بِمَ يُسْهَلُ عَلَى الْعَبْدِ تَرْكُ الدُّنْيَا وَحُكْمُ  
الشَّهَوَاتِ ؟ قَالَ : بِشَاغِلِهِ بِمَا أُسْرِبَهُ .

الحادية عشرة - قوله تعالى : ( وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَالِ ) ابتداء وخبر . والمآب  
المرجع ؛ آب يؤوب إياها إننا رجع . قال امرؤ القيس :  
وَقَدْ طَوَّقْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى . رَضِيتُ مِنَ التَّغْنِيَةِ بِالْإِيَابِ  
وقال آخر :

وَكُلُّ ذِي نَبِيَّةٍ يُرُوبُ • وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُرُوبُ

وأصل مآب مأروب ، قلبت حركة الواو إلى الهمزة وأبدلت من الواو ألف ، مثل مقال . ومعنى  
الآية تقول الدنيا وتحقيعها والتزويج في حسن المرجع إلى الله في الآخرة .

قوله تعالى : قُلْ أَؤْتِنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ آمَنُوا عِندَ رَبِّهِمْ  
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ  
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ يُصَوِّرُ لِلْعِبَادِ<sup>(٢)</sup>

منتهى الاستفهام عند قوله : « مِنْ ذَٰلِكُمْ » . « لِلَّذِينَ آمَنُوا » خبر مقدم ، « وَجَنَّاتٌ »  
رفع بالابتداء . وقيل : متناه « عِندَ رَبِّهِمْ » ، و « جَنَّاتٌ » على هذا رفع بإسحار مضمرة لظن  
ذلك جَنَات . ويجوز على هذا التأويل « جَنَّاتٌ » بالتحقيق بدلاً من « خَيْرٍ » ولا يجوز ذلك  
على الأول . قال ابن عطية : وهذه الآية والتي قبلها نظير قوله عليه السلام : « تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ<sup>(٣)</sup>  
لِأَرْبَعِ مِائَاتٍ وَحَسْبُهَا وَجَاهُهَا وَدِينُهَا فَاطْلُقْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ بِذَلِكَ » ترجمه مسلم وغيره .  
فقوله « فَاطْلُقْ بِذَاتِ الدِّينِ » مثال لهذه الآية . وما قبل مثال للأولى . فذكر تعالى هذه  
تسلياً عن الدنيا وتقويةً لنفوس تاركها . وقد تقدم في البقرة معاني ألفاظ هذه الآية .

(١) الجلف (بكر فكون) : الخبز وحده لأدم منه ، وقيل : هو الخبز النبط اليابس .

(٢) راجع حاشية ١ ص ٢٩ من هذا الجزء .

وَالرَّضْوَانُ مَصْدَرٌ مِنَ الرِّضَا، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْحَيَةِ الْحَيَّةَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ "تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ" ؟ فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا وَآيُ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ؟ فَيَقُولُ : "رَضَايَ فَلَا أُخْطِئُ عَلَيْكَ بَعْدَهُ أَبَدًا" خَرَجَهُ مُسْلِمٌ . وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : «وَاللَّهُ يَصِيرُ بِالْعِبَادِ» وَعَدُّ وَوَعِيدٌ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَعْمَانَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٦٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿٦٧﴾

(الذين) بدل من قوله «لِلَّذِينَ آمَنُوا» وإن شئت كان رفعاً أي هم الذين، أو نصباً على المصحح . (رَبَّنَا) أي يَا رَبَّنَا . (إِنَّا أَعْمَانَا) أي صَدَقْنَا . (فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) دعاء بِالْمَغْفِرَةِ . (وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ) تقدم في البقرة . (الصَّابِرِينَ) يعني عن المعاصي والشهوات، وقيل : على الطاعات . (وَالصَّادِقِينَ) أي في الأفعال والأقوال . (وَالْقَانِتِينَ) الطائعين . (وَالْمُنْفِقِينَ) يعني في سبيل الله . وقد تقدم في البقرة هذه المعاني على الكمال . ففسر تعالى في هذه الآية أحوال المتقين الموعودين بالجنات .

واختلف في معنى قوله تعالى : (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) فقال أنس بن مالك : هم السائلون المغفرة . فتادة : المصلون .

قلت : ولا تناقض، فإنهم يصلون ويستغفرون . وخصَّ السَّحَرُ بالذكر لأنه مظانُّ القبول ووقت إجابة الدعاء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى غيَّباً عن يعقوب عليه السلام لبنيه : «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي» : «إنه أنزل ذلك إلى السَّحَرِ» خَرَجَهُ الترمذي وسياق . وسأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل «أي الليل أسمع» ؟ فقال : «لا أدرى غير أن العرش يهتز عند السَّحَرِ» . يقال سَحَرَ سَحْرًا، ففتح الحاء وسكونها . وقال الزجاج : السحر من حين يُدبر الليل إلى أن يطلع الفجر الثاني . وقال ابن زيد : السحر هو سُدُسُ الليل الآخِر .

(١) راجع المسألة الثانية ج ٢ ص ٢٣٢ طبة ثانية .

(٢) راجع ج ٢ ص ١٦٨ ، ١٧٩ ، ٢٢٤ ، ٣٧٦ راجع المسألة الخامسة ج ٢ ص ١٦٨ .



قلت : أجمع من هذا ما روى الأئمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
 « يُتْرَلُ الله عز وجل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك  
 أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني  
 فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر » في رواية « حتى يفجر الصبح » لفظ مسلم .  
 وقد اختلف في تأويله ؛ وأولى ما قيل فيه ما جاء في كتاب النسائي مفترماً عن أبي هريرة  
 وأبي سعيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل  
 يمهّل حتى يمضي شطرُ الليل الأول ثم يأمر مُنادياً فيقول هل من داع يستجاب له هل من  
 مُستغفر يُغفر له هل من سائل يُعطى » . صححه أبو محمد عبد الحق ، وهو يرفع الإشكال  
 ويوضح كل احتمال ، وإن الأول من باب حذف المضاف ، أي يتزل ملك ربنا فيقول . وقد  
 روى « يُتْرَلُ » بضم الياء ، وهو يبين ما ذكرنا ، والله توفيقنا . وقد أتينا على ذكره في « الكتاب  
 الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى » .

مسألة — الاستغفار مندوب إليه ، وقد أتى الله تعالى على المستغفرين في هذه الآية  
 وغيرها فقال : « وَإِلَّا تَتَذَكَّرُوا فَسْتَعْبِدُوا » . وقال أنس بن مالك : أمرنا أن نستغفر السحر  
 سبعين استغفارة . وقال سفيان الثوري : بلغني أنه إذا كان أول الليل نادى مُنادٍ لِيَقِمِ الْفَاتِنُونَ  
 فيقومون كذلك يصلّون إلى السحر . فإذا كان عند السحر نادى مُنادٍ ابن المستغفرين فيستغفر  
 أولئك ويقوم آخرون فيصلّون فيلحقون بهم . فإذا طلع الفجر نادى مُنادٍ : الْآلِئِمِ الْغَافِلُونَ فيقومون  
 من قُرُشِهِمْ كالموتى تُشِيرُوا من قبورهم . وروى عن أنس سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :  
 « إن الله يقول إني لأهمل عذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى عُمار بيوتهم وإلى التَّحَايِئَةِ في  
 وإلى المتهجدين والمستغفرين بالأنحار صرفت عنهم العذاب بهم » . قال مكحول : إذا كان في  
 ليلة خمسة عشر رجلاً يستغفرون الله كل يوم خمساً وعشرين مرة لم يؤخذ الله تلك الليلة  
 بعذاب العامة . ذكره أبو نعيم في كتاب الحلية له . وقال نافع : كان ابن عمر يقوم الليل ثم

يقول : يا نافع أَسْمَرْنَا ؟ فأقول لا . فيعاود الصلاة ثم يسأل ، فإذا قلت نَعَمْ فقد يستغفر .  
وروى إبراهيم بن حاطب عن أبيه قال : سمعت رجلا في السحر في ناحية المسجد يقوله :  
يا رب ، أَسْرَيْتَ فَأَطْلَمْتُكَ ، وهذا سحر فأغفر لي . فنظرت فإذا ابن مسعود .

قلت : فهذا كله يدل على أنه استغفار باللسان مع حضور القلب ، لا ما قال ابن زيد  
أن المراد بالمستغفرين الذين يصلون صلاة الصبح في جماعة . والله أعلم . وقال لقمان لابنه :  
”يَا بُنَيَّ لَا يَكُنْ الدَّيْكَ أَوْ كَيْسَ مِنْكَ ، يُنَادِي بِالْأَسْحَارِ وَأَنْتَ نَائِمٌ“ . والمختار من لفظ الاستغفار  
ما رواه البخاري عن شداد بن أوس ، وليس له في الجامع غير من النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : ”سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى  
عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي  
فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ إِلَّا أَنْتَ“ - قال - وَمَنْ قَامَ مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا لَمَاتٍ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ  
أَنْ يَمُوتَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا لَمَاتٍ مِنْ لَيْلِهِ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ  
فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ“ . وروى أبو محمد عبد الغني بن سعيد من حديث ابن أبي عمير عن أبي بصير  
عن أبي معاوية عن سعيد بن جبيرة عن أبي الصبيان البكري عن علي بن أبي طالب رضي الله  
عنه أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم قال :  
”إِلَّا أَطْلَمْتُكَ كَمَا تَقُولُونَ لَوْ كَانَتْ قُنُوبُكَ كَدَبَ النَّحْلِ - أَوْ كَدَبَ الذَّرَّ - لَنَفَرَهَا اللَّهُ لَكَ عَلَى  
أَنَّهُ مَغْفُورٌ لَكَ : اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ  
الذَّنْبَ إِلَّا أَنْتَ“ .

قوله تعالى : شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ  
قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾  
فيه أربع مسائل :

الأولى - قال سعيد بن جبيرة : كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنًا ، فلما نزلت هذه  
الآية تَحَرَّجَ حُجَّاجًا . وقال الكلبي : لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قدم عليه

حَبْرَانِ مِنْ أَجْبَارِ أَهْلِ الشَّامِ ؛ فَلَمَّا أَبْصَرَ الْمَدِينَةَ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : مَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ  
 وَصِفَةَ مَدِينَةِ النَّبِيِّ الَّذِي يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ! . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَرَفَهُ  
 بِالْصَّفَةِ وَالنَّمَتِ ، فَقَالَا لَهُ : أَنْتَ مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ "نَمْ" . قَالَا : وَأَنْتَ أَحْمَدُ ؟ قَالَ "نَمْ" . قَالَا :  
 فَسَأَلْنَاكَ عَنْ شَهَادَةٍ ، فَإِنْ أَنْتَ أَخْبَرْتَنَا بِهَا آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ . فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ : "مَلَأْنِي" . قَالَا : أَخْبَرْنَا عَنْ الْأَعْظَمِ شَهَادَةً فِي كِتَابِ اللَّهِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُوا الْعِلْمَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ » فَاسْلَمَ  
 الرَّجُلَانِ وَصَدَّقَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الْمُرَادَ بِأَوَّلِ الْعِلْمِ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ  
 السَّلَامُ . وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ : الْمَاهِجُونَ وَالْأَنْصَارُ . مُقَاتِلٌ : مُؤْمِنُوا أَهْلَ الْمَكَّابِ . لِمَسْتَعِي  
 وَالْكَلْبِيِّ : الْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ ؛ وَهُوَ الْأَظْهَرُ لِأَنَّهُ مَامٌ .

الثَّانِيَّةُ - فِي هَذِهِ آيَةِ دَلِيلٍ عَلَى فَضْلِ الْعِلْمِ وَشَرَفِ الْعُلَمَاءِ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ أَحَدُ الْمُتَشَرَّفِ  
 مِنَ الْعُلَمَاءِ لَقَرَنَهُمُ اللَّهُ بِاسْمِهِ وَأَسَمَ مَلَائِكَتَهُ كَمَا قَرَنَ اسْمَ الْعُلَمَاءِ . وَقَالَ فِي شَرَفِ الْعِلْمِ لَنَبِيِّهِ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » . فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَشْرَفَ مِنَ الْعِلْمِ لَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى  
 نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْأَلَ الْمَزِيدَ مِنْهُ كَمَا أَمَرَ أَنْ يَسْتَرْقِدَ مِنَ الْعِلْمِ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ : " إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ " . وَقَالَ : " الْعُلَمَاءُ أُمَّتُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ " . وَهَذَا شَرَفُ  
 الْعُلَمَاءِ عَظِيمٌ ، وَعَمَلُ لَهْمٍ فِي الدِّينِ خَطِيرٌ . وَخَرَجَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْغَنِيِّ الْحَافِظُ مِنْ حَدِيثِ بَرَكَةِ  
 ابْنِ نَشِيطٍ - وَهُوَ عَنكَالُ بْنُ حَكْرَكٍ وَتَفْسِيرُهُ بَرَكَةُ بْنُ نَشِيطٍ - وَكَانَ حَافِظًا ، حَدَّثَنَا هَمْرِيْنُ  
 الْمُؤَمَّلُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْخَصِيبِ حَدَّثَنَا عَنكَالُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنَا شَرِيكُ بْنُ  
 أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ يُحِبُّهُمْ  
 أَهْلُ السَّمَاءِ وَيَسْتَفِرُّ لَهُمُ الْحَيَاتَانُ فِي الْبَحْرِ إِذَا مَاتُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " . وَفِي هَذَا الْبَابِ [ حَدِيثٌ ]  
 عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ نَحْوَهُ أَبُو دَاوُدَ .

الثَّلَاثَةُ - رَوَى غَالِبُ الْقَطَّانِ قَالَ : أُنِيتَ الْكَوْفَةُ فِي تِجَارَةٍ فَتَرَلْتُ قَرْيَةً مِنَ الْأَعْمَشِ  
 فَكُنْتُ أَخْطِفُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةً أَرَدْتُ أَنْ أُنْخَسِرَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَأَمَّ قَتَبَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَعَرَا  
 بِسَلْسَلَةِ الْآيَةِ « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُوا الْعِلْمَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ »

العزيز الحكيم . إنا الذين عند الله الإسلام ، قال الأعمش : وأنا أشهد بما شهد الله به ،  
وأستودع الله هذه الشهادة وهي في وديعة ، وأن الذين عند الله الإسلام ، قالوا مراراً -  
فقدوت إليه وودعته ثم قلت : إني سمعتك تقرأ هذه الآية فما بالك فيها ؟ أنا عندك منذ سنة  
لم تحذني به . قال : والله لأحدثك به سنة . قال : فافت وكبت كل باب ذلك اليوم .  
قلنا مضت السنة قلت : يا أبا محمد قد مضت السنة . قال : حدثني أبو وائل عن عبد الله  
ابن صموئيل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يُحْيَا بِصَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ اللَّهُ  
تَعَالَى عَبْدِي عِيدٌ لِي وَأَنَا أَحَقُّ مِنْ وَثْقَى أَذْخَلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ" . قال أبو الفرج الجوزي :  
قال القائل هو غالب بن خطاب يروي عن الأعمش حديث "شهد الله" ، وهو حديث  
مفضل . قال ابن حبان الضعف على حديثه . وقال أحمد بن حنبل : قال بن خطاب  
القائل ثقة . وقال ابن معين : ثقة . وقال أبو يعقوب : صدوق صالح .

قلت : يكفيك من عدائه وصدقه وثقة أن نخرج له البخاري ومسلم في كتابهما ،  
وحسبك . وروى من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "مَنْ قَرَأَ شَهِدَ اللَّهُ  
لَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ حَتَّى مَكَامِهِ  
خَلَقَ اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" . ويقال : مَنْ أَقْرَبَ بِهِ الشَّهَادَةَ  
مَنْ عَقَّدَ مِنْ قَلْبِهِ فَقَدْ قَامَ بِالْمَدْلِ . وروى عن سعيد بن جبير أنه قال : كان حول الكعبة  
ثلاثمائة وستون صنماً لكل حى من أحياء العرب صنم أو صنجان ، فلما نزلت هذه الآية أصبحت  
الأصنام قد نخرت ساجدة لله .

الرابسة - قوله تعالى : (شَهِدَ اللَّهُ) أى بين وأعلم ؛ كما يقال : شهد فلان عند القاضي  
إننا بين وأعلم لمن الحق أو لمن هو . قال الزجاج : الشاهد هو الذى يعلم الشيء وبينه ؛ فقد  
شَهِدَ اللَّهُ تعالى على رسلائه بما خلق ويين . وقال أبو حنيفة : "شهد الله" بمعنى قضى الله ،  
أى أعلم . قال ابن حنبل : وهذا مردود من جهات . وقرأ اليكفاني يفتح حلقه في قوله

(١) بنى الكلام على محضه . (٢) القول من نصيب . (٣) حقه من هذه الشهادة .

« أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » وقوله « أَتَى الدِّينَ » . قال المبرد : التقدير : أَنَّ الدِّينَ عند الله الإسلام بأنه لا إله إلا هو ، ثم حذفت الباء كما قال : أمرتك الخير أى بالخير . قال الرِّسَالِي : أنصَبهما جميعاً ، بمعنى شهد الله أنه كذا ، وَأَنَّ الدِّينَ عند الله . قال ابن كَيْسَانَ : « أَتَى » الثانية بدل من الأولى ؛ لأنَّ الإسلام تفسير المعنى الذى هو التوحيد . وقرأ ابن عباس فيما حكى الرِّسَالِي : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ » بالكسر « أَتَى الدِّينَ » بالفتح . والتقدير : شهد الله أَنَّ الدِّينَ الإسلام . ثم ابتدأ فقال : إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . وقرأ أبو المهلب وكان قارئاً — شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ بالنصب على الحال ، وعنه « شَهِدَ اللَّهُ » . وروى شُعْبَةُ عن عاصم عن زُرَّ عَنْ أَبِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ : « أَنَّ الدِّينَ عند الله الْحَنِيفَةُ لَا الْيَهُودِيَّةَ وَلَا النَّصْرَانِيَّةَ وَلَا الْمَجُوسِيَّةَ » . قال أبو بكر الأنباري : ولا يخفى على ذى تمييز أنَّ هذا كلام من النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جملة التفسير ، أدخله بعض من نقل الحديث في القرآن . و ( قَائِمًا ) نصب على الحال المؤكدة من اسمه تعالى في قوله « شَهِدَ اللَّهُ » أو من قوله « إِلَّا هُوَ » . وقال الفراء : هو نصب على القطع ، كان أصله القائم ، فلما قُطِعَت الألف واللام نُصِبَ كقوله : « وَلَهُ الدِّينُ وَإِصْنَابُ » . وفى قراءة عبد الله « الْقَائِمُ بِالْفَيْسُطِ » على النعت . والفَيْسُطُ العُدْلُ . ( لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) كثر لأن الأولى حلت محل الدعوى ، والشهادة الثانية حلت محل الحكم . وقال جعفر الصادق : الأولى وصف وتوحيد ، والثانية رسم وتعليم ، بمعنى قولوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العزَّز الحَكِيم .

قوله تعالى : إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الدِّينُ أَوْتُوا  
الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ بِالْعِلْمِ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِمَا بَيَّنَّتْ  
اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٣١﴾

قوله تعالى : ( إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ) الدِّينُ فى هذه الآية الطاعة والتمسك ، والإسلام  
بمعنى الإيمان والطاعات ؛ قاله أبو العالية وعليه جمهور المتكلمين . والأصل فى معنى الإيمان

والإسلام. الثغائر؛ الحديث جبريل . وقد يكون بمعنى المرافقة، فيسمى كل واحد منهما باسم الآخر؛ كما في حديث وفد عبد القيس<sup>(١٦)</sup> وأنه أسرم بالإيمان وحده وقال: "هل تدرون ما الإيمان؟" قالوا: الله ورسوله أعلم . قال: "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا نَحْسًا من المنعم" الحديث . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان يَضَعُ وسبعون باباً فادتاها إِمَاطَةُ الأذى وأَرْفَعُهَا قَوْلُ لا إله إلا الله" أخرجه الترمذي . وزاد مسلم "والحياء شُعْبَةٌ من الإيمان" . ويكون أيضاً بمعنى التدخل، وهو أن يعلّق أحدهما ويراد به مناه في الأصل وسمى الآخر؛ كما في هذه الآية إذ قد دخل فيها التصديق والأعمال؛ ومنه قوله عليه السلام: "الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان" . أخرجه ابن ماجه، وقد تقدم . والحقيقة هو الأزل وضماً وشرعاً، وما عدها من باب التوسّع . والله أعلم .

قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ الآية . أخبر تعالى عن اختلاف أهل الكتاب أنه كان على علم منهم بالحقائق، وأنه كان بنياً وطلباً للدنيا؛ قاله ابن عمر وغيره . وفي الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: وما اختلف الذين أوتوا الكتاب بنياً بينهم إلا من بعد ما جامعهم العلم؛ قاله الأخفش . قال محمد بن جعفر بن الزبير: المراد بهذه الآية النصارى، وهو توبيخ لنصارى تجران . وقال الربيع بن أنس: المراد بها اليهود، ولفظ الذين أوتوا الكتاب يعم اليهود والنصارى؛ أي: «وما اختلف الذين أوتوا الكتاب» بمعنى في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم «إلا بين بعدما جامعهم العلم» بمعنى بيان صفته ونبوته في كتبهم . وقيل: أي وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في أمر عيسى وتفرقوا فيه القول إلا من بعد ما جامعهم العلم بأن الله إله واحد وأن عيسى مبعد الله ورسوله . و«بنياً» نصب على المفعول من أجله، أو على الحال من «الذين» . والله تعالى أعلم .

(١٦) راجع هذا الحديث في صحيح البخاري وسلم في كتاب الإيمان الجزء الأول .

(١٧) هو عبد القيس بن الغنم بن دهم، أبو قبيلة، كانوا يزلون البحرين وكان قد وجههم فتح دخل رأسهم مبعداً من خوف الألف . (راجع كتب الطبقات الكبير) . ثم كان من طبع أدبها، وخرج القسطلاني ١٩٢ ص ١٩٢ طبع بلان .

قوله تعالى : فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةِ : أَسْلَمْتُ إِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِصِيرِ الْعِبَادِ عَظِيمٌ

قوله تعالى : ( فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ) أى جادلوك بالأطويل المزمرة والمخالطات ، فاستند أمرك الى ما كُلفت من الإيمان والتبليغ وحمل الله نصرته . وقوله « وَجْهِي » بمعنى ذاتي ؛ ومنه الحديث «تجد وجهي للذي خلقه وصوره» . وقيل : الوجه هنا بمعنى القصد ؛ كما تقول : خرج فلان في وجه كذا . وقد تقدم هذا المعنى في البقرة مستوفى ؛ والأول أولى . وعبر بالوجه عن سائر الذات إذ هو أشرف أعضاء الشخص وأجمعها للمواس . وقال :

أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ • لَهُ الْمَرْزُ تَحْمِلُ عَذَابًا زَلَالًا

وقد قال حذاق المتكلمين في قوله تعالى «وَبَقِيَ وَجْهٌ رَبِّكَ» : إنها عبارة عن الذات ، وقيل : العمل الذي يقصد به وجهه . وقوله : « وَمَنِ اتَّبَعَنِ » « مَنْ » في عمل رفع حطفا على الظاه في قوله « أَسْلَمْتُ » أى وَمَنِ اتَّبَعَنِ أَسْلَمَ أيضا . وجاز المطفئ على الضمير المرفوع من غير تأكيد للفصل بينهما . وأثبت نافع وأبو عمرو ويقوب ياء « اتَّبَعَنِ » على الأصل ، وحذف الآخرون اتباعا للمصحف إذ وقعت فيه بغير ياء . وقال الشاعر :

ليس تخفى يسارى قدر يوم • ولقد تخفى شيتى إيسارى

قوله تعالى : ( وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةِ : أَسْلَمْتُ إِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِصِيرِ الْعِبَادِ ) يعنى اليهود والنصارى والأُمِّيَّة الذين لا كتاب لهم وهو مشركو العرب . « أَسْلَمْتُ » استفهام معناه التقرؤ في ضمنه الأمر ، أى أسلموا ؛ كما قال الطبري وغيره . وقال الزجاج : « أَسْلَمْتُ » تهديد . وهذا حسن ، لأن المعنى أَسْلَمْتُ أَمْ لَا . وجملة العبارة في قوله « فَقَدِ اهْتَدَوْا » بالماضي مبالغة في الإخبار بوقوع الهدى لهم

وتخصّله . و «الْبَلَاغُ» مصدر بَلَغَ تخفيف من الفعل ، أى إتمام عليك أن تبلغ . وقيل :  
لأنه مما تُسَخَّر بالجهاد . قال ابن عطية : «وهذا يحتاج إلى معرفة تاريخ نزولها ؛ وأما على  
ظاهر نزول هذه الآيات في وفد نجران فإنما المعنى فإنما عليك أن تبلغ ما أُنزل إليك بما  
فيه من قتال وغيره » .

قوله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ  
حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ  
أَلِيمٍ ١١١ أُولَئِكَ الَّذِينَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ  
مِنْ نَّاصِرِينَ ١١٢**  
فيه ست مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ ) قال أبو العباس  
المبرد : كان ناس من بني إسرائيل جاءهم النبيون يدعونهم إلى الله عز وجل فقتلوه ، فقام أناس  
من بعدهم من المؤمنين فأمرهم بالإسلام فقتلوه ، ففهم زلت الآية . وكذلك قال معقل بن  
أبي مسكين : كانت الأنبياء صلوات الله عليهم نجيء إلى بني إسرائيل بغير كتاب فيقتلونهم ، فيقوم  
قوم ممن أتبعهم فأمرهم بالقسط ، أى بالعدل ، فيقتلون ، وقد روى عن ابن مسعود قال قال  
النبي صلى الله عليه وسلم : «بئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرهم الناس بالقسط من الناس»  
بئس القوم قوم لا يأمرهم بالمعروف ولا ينهون عن المنكر بئس القوم قوم يمشى المؤمن بينهم  
بالتقية . وروى أبو حنيفة بن الجراح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «قتل بنو إسرائيل  
ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة ققام مائة رجل واثنان عشر رجلاً من عباد بني  
إسرائيل فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم وهم الذين  
ذكرهم الله في هذه الآية » . ذكره المهدوي وغيره . وروى شعبة عن أبي إسحاق عن أبي صيدة  
عن جده الله قال : كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم سبعين نبياً ثم تقوم سوتى بقلهم من آخر



النهار . فإن قال قائل : الذين وعظوا بهذا لم يقتلوا نبياً . فالجواب من هذا أنهم رَضُوا قتل  
من قتل فكانوا بمنزلة ، وأيضاً فإنهم قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومَنُوا بقتلهم ؛  
قال الله عز وجل : « وَإِذْ يَمْكُرُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ » .

الثانية - دلت هذه الآية على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجباً في الإجماع  
المتفق عليه ، وهو فائدة الرسالة وخلصة النبوة . قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم :  
« مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَهُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَخَلِيفَةُ رَسُولِهِ وَخَلِيفَةُ كِتَابِهِ » .  
وعن دُرَّة بنت أبي لهب قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال :  
مَنْ خَيْرُ النَّاسِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : « أَمَرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَقَامَ شِعْرَهُ وَأَوْصَلَهُمْ » .  
وفي التبريل : « وَالْمُتَأَقِفُونَ وَالْمُتَأَقِفَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ » .  
ثم قال : « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » .  
بفضل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمؤمنين ؛ فدل على أنه لخص  
أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأساسها الدعاء إلى الإسلام والتألي عليه .  
ثم إن الأمر بالمعروف لا يليق بكل أحد ، وإنما يقوم به السلطان إذا كانت إقامة الحُدُود  
إليه والتعزير إلى رأيه والحبس والإطلاق له والنفي والتغريب ؛ فيُصَبِّحُ في كل بلدة وجلا  
صالحاً قوياً عالماً أميناً يأمره بذلك ، ويمضي الحُدُودَ على وجهها من غير زيادة . قال الله تعالى :  
« الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ » .

الثالثة - وليس من شرط الناهي أن يكون مدلاً عند أهل السنة ، خلافاً لابتدعة حنابلة  
قول : لا يغيره إلا عدلٌ . وهذا ساقط ؛ فإن العدالة محصورة في القليل من الخلق ، والأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر عام في جميع الناس . فان تنبأوا بقوله تعالى : « لَتَأْمُرُنَّ النَّاسَ  
بِالدِّينِ وَتَنْهَوْنَ عَنْهُ » . وقوله : « كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَى » . ولحمية بله  
لم : إنا نرى التزم ما دعا على أن يكتب ما ينبغي منه لا على النهي عن المنكر . ولا شك في أنه

التي عنده من يأتيه أفصح من لا يأتيه ، ولذلك يدور في جهنم كما يدور الحمار بالرحى ، كما بيناه في البقرة عند قوله تعالى « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ » .

الراية - أجمع المسلمون فيما ذكر ابن عبد البر أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه ، وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا الأوم الذي لا يتعدى إلى الأذى فإن ذلك لا ينبغي أن يمنعه من تغييره ، فإن لم يقدر فبلسانه ، فإن لم يقدر فقبله ليس عليه أكثر من ذلك . وإذا أنكر قبله فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك . قال : والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جداً ولكنها مقيدة بالاستطاعة . قال الحسن : إنا نكلم مؤمن يربى أو جاهل يعلم ، فإنا من وضع سيفه أو سوطه فقال : اتقني اتقني فما لك وله . وقال ابن مسعود : يحسب المرء إذا رأى منكراً لا يستطيع تغييره أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره . وروى ابن أبي عمير عن الأعمش عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحسب المؤمن أن يذل نفسه » . قالوا : يا رسول الله وما إذلاله نفسه ؟ قال : « يتعزز من البلاء لما لا يقوم له » .

قلت : وخرجه ابن ماجه عن علي بن زيد بن جعدان عن الحسن بن جندب عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكلاهما قد تكلم فيه . وروى عن بعض الصحابة أنه قال : إن الرجل إذا رأى منكراً لا يستطيع التكبر عليه فليقل ثلاث مرات « اللهم إني هذا منكرو » فإذا قال ذلك فقد فصل ما عليه ، وزعم ابن العربي أن من رجا زواله وخاف على نفسه من تغييره الضرب أو القتل جاز له عند أكثر العلماء الانتقام عند هذا الضرر ، وإن لم يرج زواله فإى فائدة عنده . قال : والذي عندي أن النية إذا خلصت فليقتحم كيف ما كان ولا يزال . قلت : هذا خلاف ما ذكره أبو عمر من الإجماع . وهذه الآية تدل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع خوف القتل . وقال تعالى : « وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْرُكَ عَلَى مَا أَصَابَكَ » . وهذا إشارة إلى الإنابة .

إذا كان « القرطبي » مسجل في مجلد واحد فننزع هذه الورقة

مكتبة دار الشعب  
٩٢ شارع قصير العيخ - ت ٢٩٩٩١







Bibliotheca Alexandrina



0433289